منبر الإسلام

عدد ممتاز

مع العدد

- كتاب عن شهر رمضان المعظم
- أحكام الصيام وامساكية الشهر الكريم
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- « الفردوس » مجلة الطفل المسلم

الثمن ٢٠ قرشًا

العدد ٩ - السنة ٢٤ - رمضان ١٣٩٦ - سبتمبر ١٩٧٦

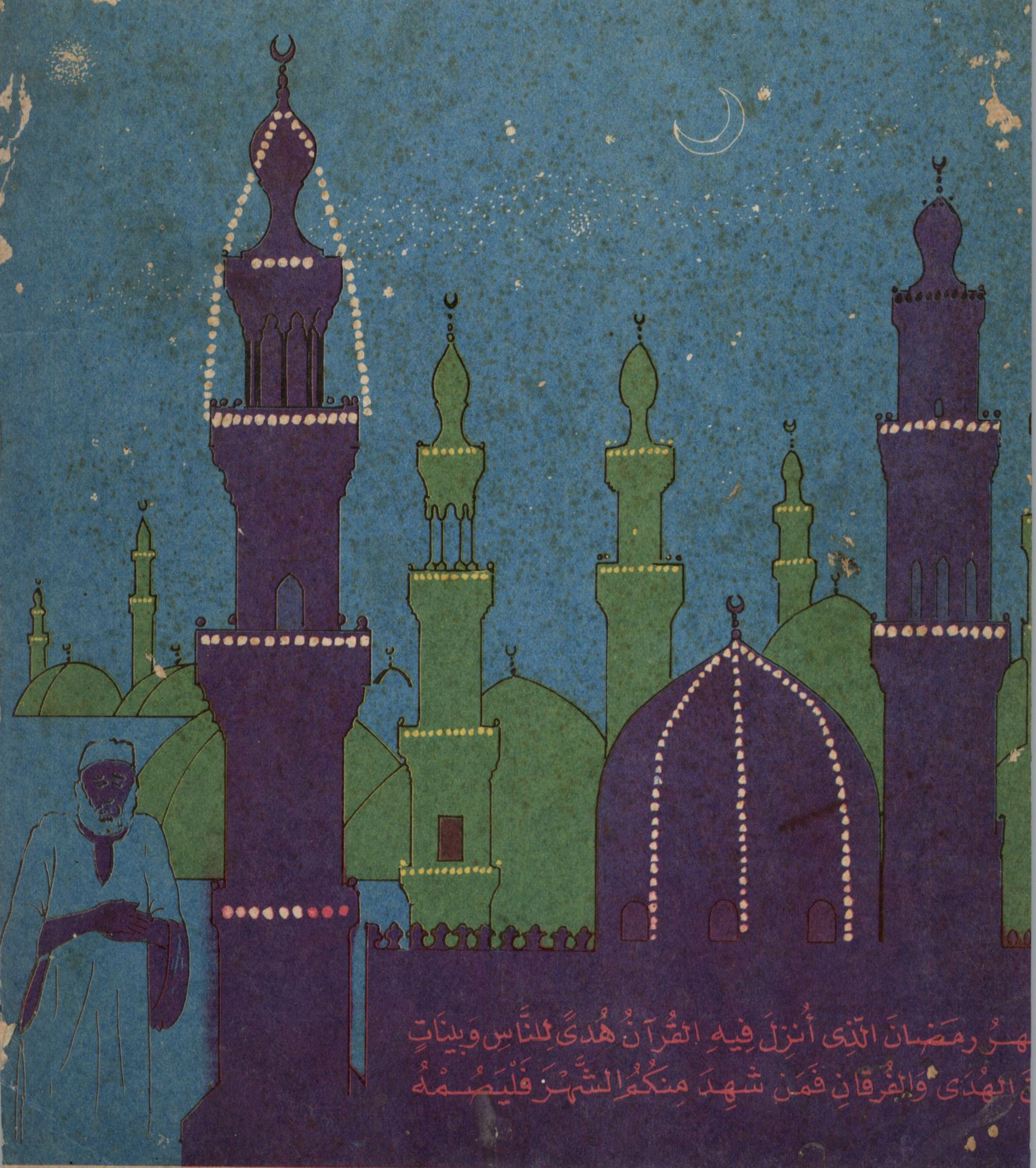

منبر الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة

كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ٩ - السنة ٣٤

رمضان ١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

- نص الخطاب التاريخى الهام الذى القاه السيد الرئيس محمد أنور السادات فى المؤتمر الخامس لاقطاب عدم الانحياز بكولومبو ١٦ ـ ٨ ـ ١٩٧٦ .
- تفسير سورة آل عمران — الاستاذ احمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .... — الشيخ عبد الجليل عيسى
- دعوات الانبياء .. — الدكتور احمد الحوفى
- خصائص القصة القرآنية — الاستاذ فتحى رضوان
- الفتح المبين ..... — الدكتور محمد القيعى
- العلم فى القرآن ... — الدكتور احمد حسنين القفل
- من اخلاق القرآن — الدكتور احمد الشرباصى
- القاهرة ودورها فى الحضارة الاسلامية ... — الدكتور عبد الرحمن زكى
- الحق فى الشرع الاسلامى — الاستاذ احمد بهجت
- مكانة العلم فى الاسلام — الدكتور عبد الحميد ابو المكارم
- خواطر عن رمضان — الاستاذ احمد زين
- نصر بدر يوم التقى الجمعان — الدكتور عبد الغنى الراجحى
- خصائص الفن الاسلامى — الاستاذة سميحة الجبالى
- الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة — الدكتورة ابتسام عبد الحليم
- المحارب الصائم [قصة العدد .... — الاستاذ محمد صالح

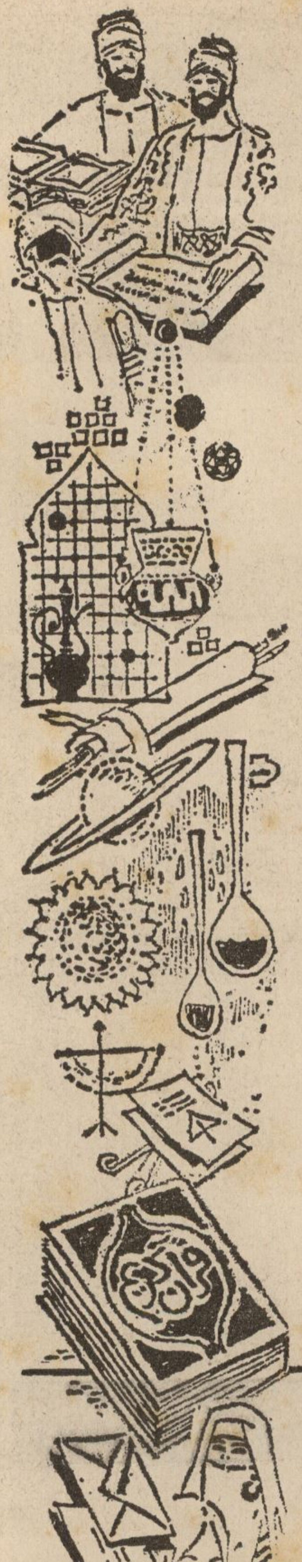

العنوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عماره بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين ..

الرئيس السادات يقول :

أمام دول عدم الانحياز فرصة تاريخية لتمنع أى طرف من الاستخفاف بارادتها

معالم الطريق

٥

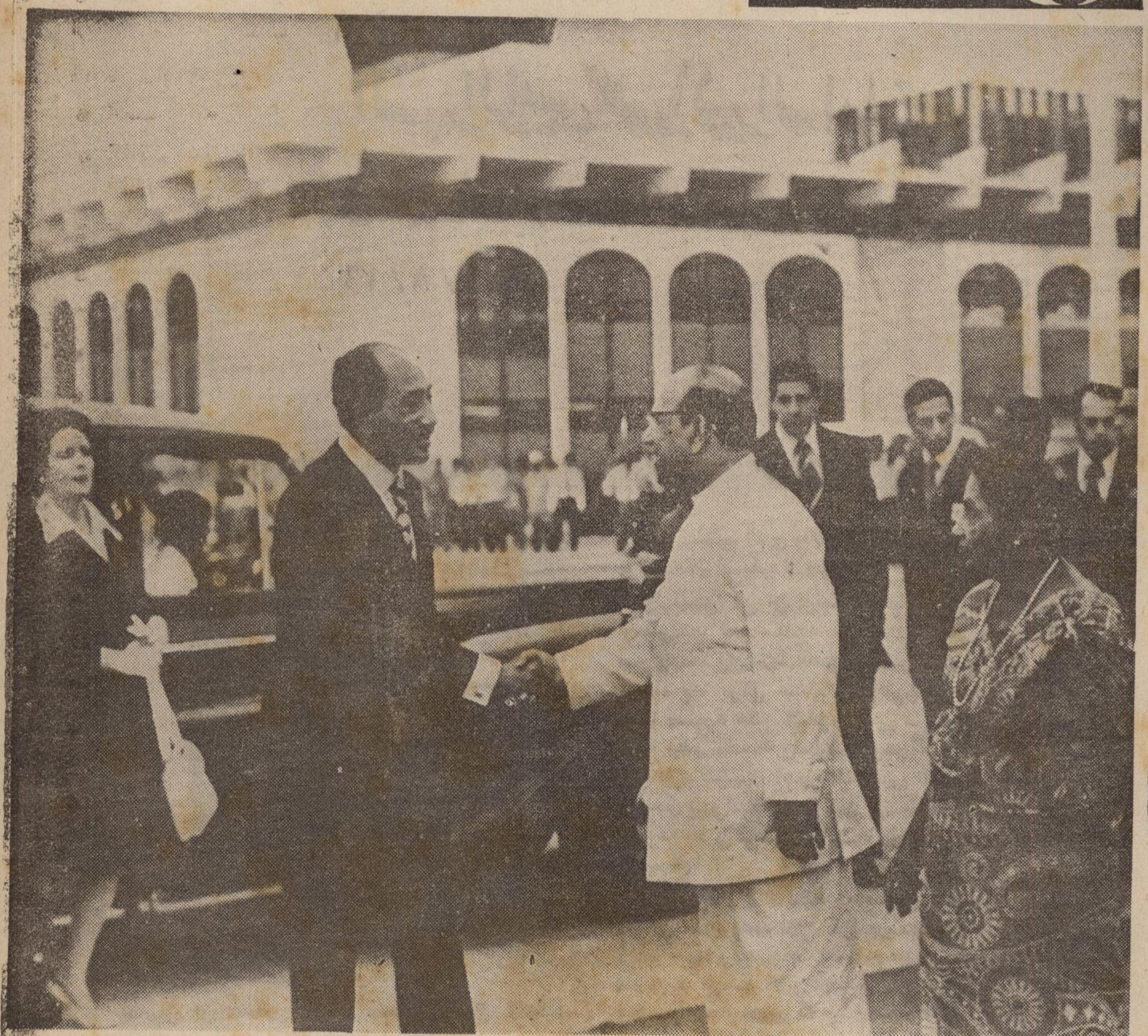

الرئيس انور السادات عند وصوله الى كولومبو ومعه السيدة جيهان السادات . حيث كان فى استقبالهما رئيس جمهورية سرى لانكا وليم جوبا لاوا

نص الخطاب التاريخى الهــام الذى ألقـاه

السيد الرئيس محمد أنور السادات

فى مؤتمر أقطاب عدم الانحياز بكولومبو

١٩٧٦/٨/١٦

ألقى الرئيس محمد أنــور السادات خطابا حاسما وبــالغ الاهمية فى يوم افتتاح مؤتمر أقطاب عدم الانحياز الذى بدأ أعمـــاله يـــوم الاحـــــد ١٥ـ٨ـ١٩٧٦ واســـتمر ٤ أيام .

وكان الرئيس السادات قد وصل ظهر الاحد الى كولومبو قادما من مسقط ليشترك فى أعمال المؤتمر الكبير .

وفيما يلى نص خطاب السيد الرئيس .

السيدة رئيسة المؤتمر .

الاخوة رؤساء الدول والحكومات .

يسرنى ان استهل كلمتى بتقديم اصدق التهنئة للسيدة باندرانيكة بمناسبة اختيارها بالاجماع رئيسة لهذا المؤتمر الهام الذى يعقد فى عاصمة بلد صديق كان فى طليعة الدول التى سلكت طريق عدم الانحياز **وظلت وفية له** ولمبادئه على مر السنين واود ان انوه بالجهد العظيم الذى بذلته فى الاعداد لمؤتمرنا هذا بما يوفر له كل أسباب النجاح .

واسمحوا لى أن اوجه لشعب سرى لانكا الصديق وحكومتها تحية قلبيه من شعب مصر الذى يكن لسرى لانكا **وقيادتها اعمق مشاعر المودة والاحترام كما تربطه بها اوثق علاقات التعاون والتآخى وتجمعه معها مسيرة عدم الانحياز التى هى عظم ما تحرص عليه مصر فلسفة وسياسة وحركة .** وما زلنا نذكر بالتقدير والتبجيل الدور التاريخى الذى قام به الزعيم الراحل **بندرانيكة** الذى كان فى مقدمة الرواد الاوائل للحركة الذين أرسوا قواعدها ووضعوا حجر الاساس فى بنيانها .

وانا موقن أننا نتفق جميعا فى الاشادة بالجهد الممتاز الذى بذله الاخ الرئيس هوارى بومدين حين تحمل عبء رئاسة هذا التجمع طوال الاعوام الماضيه فلم يترك فرصة الا واغتنمها لرفع شأن عدم الانحياز ولم يمر حدث دولى الا وكان دور عدم الانحياز بارزا فيه وعنصرا هاما فى رسم مداره وتوجيه مساره .

وجدير بنا فى هذه اللحظات ان نتذكر فضل الزعيمين الراحلين جواهر لال نهرو وجمال عبد الناصر اللذين تفانيا فى الدعوة لعدم الانحياز وتثبيت

في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة لدول عدم الانحياز في كولومبو جلس الرئيس انور السادات يستمع الى خطاب السيدة سيريمافو باندرانيكه رئيسة المؤتمر بينما ظهرت الى جانب الرئيس السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند .

دعائمها وكان لهما حظ الاشتراك في **كل هذا مع الرئيس تيتو الذى هو أعظم رمز لحركة عدم الانحياز فى حكمته وشجاعته واصالة التزامه .**

ومن دواعى الفخر والاعتزاز ايضا ان احيى الدول الصديقة التى تحضر مؤتمراتنا لاول مرة بعد ان اختارت طريق عدم الانحياز بمجرد حصولها على استقلالها وتحرير ارادتها والواقع آنها ظاهرة لا يمكن لاحد ان يتجاوزها او يغيب عنه مغزاها . ان جميع الدول التى استردت حريتها فى السنوات الاخيرة قد ارتضت عدم الانحياز عقيدة تحكم حركتها على الصعيد الدولى . وفلسفة تستوحى منها سياستها واطارا يحدد مسيرتها وأسلوب تعاملها مع مختلف القوى.. ويكفى ان اذكر انه بعد ان كانت قارتنا الافريقية المجيدة ممثلة فى مؤتمرنا الاول فى بلجراد فى سبتمبر ١٩٦١ باحدى عشرة دولة فقط أصبحنا الان نجد ثمانى واربعين دولة أفريقية تحتل مقاعدها فى هذه القاعة . وهو ما يعنى أن راية عدم الانحياز اصبحت ترفرف على كافة ربوع القارة التى تخلصت من الاستعمار والامبريالية بل انه فى الواقع اقتراع اجماعى من الشعوب التى تحررت بالثقة فى مبادئها وسياستها وحركتها .

فلسطين عضوا كاملا

وما أسعدنا اذ نرى بيننا اليوم اخوة يمثلون الشعوب الشقيقة فى موزمبيق وغينيا بيساو والرأس الاخضر وساوتومى وبرنسيب والكومور وأنجولا وسيشيل وجمهورية فيتنام الاشتراكية الموحدة وكوريا الديمقراطية .

ومن حسن الطالع كذلك أن يكون مؤتمرنا هذا اول مؤتمر تتمتع فيه منظمة التحرير الفلسطينية بالعضوية الكاملة . وهو ما يعتبر تطورا ايجابيا على الطريق القويم سواء بالنسبة للمنظمة التى اثبتت صدق تمثيلها لشعب مناضل يخوض معركة ضارية ضد قوى الاستعمار والعنصرية او بالنسبة لحركة عدم الانحياز واصرارها على التمسك بمبادئها والوفاء بالتزاماتها وتحمل مسئوليتها فى تبنى قضية الكفاح والتحرير التى هى قضية واحدة لا تتجزأ .

السيدة رئيسة المؤتمر .

الاخوة الزملاء .

ليس من المبالغة أن اقرر أن مؤتمرنا هذا يعد من أخطر المؤتمرات التى شهدها تاريخ الحركة سواء بالنظر الى المرحلة التى يمر بها عالمنا المعاصر

والمتغيرات الجديدة التى تحكم العلاقات الدولية او بالنظر الى التحديات التى تواجهها فرادى وجماعات والتغيرات العميقة النوعية والكمية التى مرت بها أسرة عدم الانحياز فى السنوات الاخيرة .

وقبل أن نسترسل فى عملية التوصل الى رؤية مشتركة لما يجب أن تكون عليه الامور وللمدار الذى تأخذه مسيرتنا الواحدة يتعين علينا ـ حتى لا نتحرك من فراغ ـ ان نلقى نظرة فاحصة على سجل انجازاتنا فى الحقبة الماضية لكى نتعرف بأسلوب علمى موضوعى ـ على نواحى القوة والضعف فى حركتنا وأوجه القصور فى آدائنا وكيفية اعطاء الحركة دفعة جديدة تكون جديدا لشبابها وعلاجا لما أسفرت عنه الممارسة والتجربة من سلبيات ومعوقات .

نقطة انطلاق للمستقبل

وليس المقصود بهذا أن نظل أسرى الماضى أو نكشف عن التطور بل ان قوانين الحركة تحتم ان نتعرف على الواقع لا لنكرسه وانما لنغيره ونطوره بما يتفق مع الحقائق والاوضاع والمفاهيم الجديده التى تطفو الى السطح كل يوم اذن فنحن نستعرض الماضى لا كقيد على حريتها وسياج لايمكن ان نتجاوزه وانما كمصدر للدرس ونقطة ننطلق منها الى المستقبل على أقدام اكثر ثباتا ورسوخا .

وليس من المعقول ولا من المقبول أن تظل حركة عدم الانحياز حبيسة المفاهيم التى سيطرت عليها فى الخمسينات والستينات لان الديناميكية الهائلة لوقائع السياسى الدولى والتفاعلات الضخمة المستمره للقوى التى تحركه وبروز العديد من المؤثرات والمتغيرات التى لم تكن قائمه انذاك تحتم علينا اليوم اجراء مراجعة جذرية لهذه المفاهيم والنتائج التى أسفرت عنها فاذا كان العالم من حولنا متغيرا متطورا وتلك حقيقه ثابتة لا مراء فيها بل هى سنة الكون وطبيعة الامور فلا يعقل أن نتخلف نحن عن الحركة والتطوير والا كان معنى هذا أن تتجاوزنا الاحداث ونهدر طاقتنا فى محاولة ملاحقه التطورات وتتسع الفجوه بين الامس والاداء .

واول ما يجدر ملاحظته فى هذا الشأن ان حركتنا ولدت فى أوج الحرب الباردة والاستقطاب الثنائى بين كتلتين متصارعان فى كل اتجاه وتؤمن كل منهما بأن أى مكسب تحققه الاخرى هو خساره محققه لها بنفس القدر ومن ثم تسابقت الكتلتان على التسليح وحيازة وسائل الدمار وأساليب الحرب التى تضمن لها التفوق وكانت الكتلتان المتصارعتان تنظران الى دول العالم الثالث على انها مجرد اداة فى صراعها وعنصر من عناصر التنافس على كسب مناطق نفوذ .

قوة فعالة ومؤثرة

وقد شعرت دولنا وشعوبنا بحق بأن هذا الوضع يشكل تهديدا خطيرا لامنها دون أن يكون لها دور فى توجيه مسار الاحداث والتحكم فيها كما انه لا يوفر أى ضمان لمصالحها بل انه يهدد بنسف مقومات استقلالها السياسى ومقدرة سيادتها الوطنية ولذلك فقد قرر الرواد الاوائل لحركتنا ببعد نظرهم وعمق رؤيتهم التاريخية انه يتعين على دول العالم الثالث ان تتجمع وتضم صفوفها فى مواجهة هاتين الكتلتين وتتحرك على المسرح الدولى طبقا لضوابط وقوانين تحميها من شظايا الحرب الباردة وغبارها وتحولها من أداة فى لعبه الكبار الى قوة فاعلة ومؤثرة لها دور ملموس فى تقرير السياسة وتحديد ميزان القوى .

وقد وجدت الدول انها بوقوفها خارج دائرة الاحلاف العسكرية ومناطق النفوذ تكون قديرة تماما على الامساك بميزان توازن القوى والدفاع عن أمنها ومصالحها ازاء العالم الخارجى فضلا عن ان تكاتفها معا بعيدا عن الارتباط بالكتلتين وصراع القوى . ينعكس ايجابيا على عملية التنمية الاقتصادية التى كانت الحلم الذى يراود العالم الثالث والامل الذى تتعلق به .

وباختصار فقد جمعت دول عدم الانحياز فى تلك الحقبة مصلحة مشتركة تتمثل فى تحقيق السلام وتجنيب العالم ويلات الحرب ومحاربة الاستعمار والعنصرية بكافة أشكالهما التقليديه والجديدة والخروج من التخلف الاقتصادى والكفاح من أجل تحقيق مستوى أفضل للافراد والجماعات .

انجازات عدم الانحياز

ورغم التحديات الضارية التى واجهتها حركتنا والمعوقات التى وضعت فى طريقها فقد تمكنت من تحقيق بعض الانجازات التى سمحت بها ظروف تلك المرحله ، اذ قامت بدور ملموس فى تجاوز أخطار الحرب الباردة وتخفيف حدة التوتر الدولى وارساء مبادىء التعايش السلمى وتصفيه الاستعمار ومحاربه التفرقه العنصرية فضلا عن تعميق مفهوم الديمقراطيه فى العلاقات الدولية وتقرير حق جميع الدول فى المشاركه فى ارساء وتطوير أسس التعامل الدولى وتلك كلها انجازات كبيرة اذا نظرنا اليها بمقاييس المرحلة التى تمت فيها وفى ظل المفاهيم التى كانت سائدة انذاك .

غير أن العالم كما ذكرت فى حالة تغير مستمر بل ان من سمات العصر الذى نعيش فيها ان التغيير أصبح يتم بسرعة أسطوريه لا مجال معها للتباطؤ أو الوقوف موقف المتفرج فان كل ساعة تمضى دون حركة ايجابيه تعتبر نكسة الى الوراء لا مجرد وقت اهدر وضاع سدى **فلابد اذن ان يجرى تحركنا بالسرعه التى تتسق مع ايقاع العصر ومع المعدل الرهيب للتطور فى شتى المجالات وفى مقدمتها العلوم والتكنولوجيا ويكفى ان نتذكر ان البيانات العلميه المتاحه فى شتى فروع العلوم الطبيعيه أصبحت تتضاعف مرة كل خمسة عشر عاما وتلك ظاهرة فريده لا يمكن ان نغفلها من حساباتنا اذا كنا حريصين على اللحاق بركب التقدم والتطور الى الامام .**

ومن المتغيرات التى ظهرت على المسرح العالمى ذلك التطور الذى حدث فى العلاقات بين الكتلتين وبالذات

اسرائيل تحتاج الى درس جديد لتبديد أوهامها

الرئيس السادات فى طريقه الى قاعة المؤتمر .

فى مجال العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى اذ انها اتجهت تدريجيا وبخطى ثابتة نحو الانفراج والوفاق . بحيث لم يعد هدف كل من الطرفين هو القضاء على الطرف الاخر أو الحاق الهزيمه الساحقة به،هو التوصل مع الطرف الاخر الى حلول وسط يتبادل الطرفان فيها تقديم التنازلات وهو مايعنى ان هاتين الدولتين اصبحتا تهتمان فى المقام الاول بترتيب العلاقات بينهما بما يحقق لهما أقصى قدر من المنفعة والمصلحة المتبادلة . وفى الحدود التى يأتى فيها الوفاق تخفيفا لحدة التوتر وابعادا لشبح الحرب النوويه فانه يكون ظاهرة ايجابية نرحب بها وقد كنا اول من سعى الى القضاء على الحرب الباردة ونادى بالانتقال الى عهد من التعاون والتضامن بين الامم والشعوب لمواجهة المشاكل الضخمة الناجمة عن تزايد السكان بمعدلات تفوق معدلات الزيادة فى الانتاج وخاصة فى مجال الغذاء وضعنا حدا معقولا من التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية لكل طفل فى انحاء العالم كل هذا فى ظل نظام دولى جديد خال من الاستغلال والسيطرة .

العناصر السلبية للوفاق

غير ان الوفاق كما هو مفهوم ومطبق حتى الان يحمل بين ثناياه بعض العناصر السلبية التى تستحق منا أن نتوقف عندها ونتتبعها بالملاحظة المدققه . لاننا اذا تغاضينا عن ذلك نكون غافلين عما يدور حولنا مقصرين فى حق انفسنا وحق الاجيال المقبلة من ابنائنا ،واول هذه العوامل السلبية المتصلة بالوفاق ان القوتين العظميين لا تنظران اليه باعتباره منهاجا جديدا يحكم العلاقات الدولية بوجه بل باعتباره ترتيبا خاصا لضبط العلاقات بينهما وتوجيهها نحو مزيد من التعاون الثنائى مع ابقاء التنافس على مناطق النفوذ ونشر المصالح الانانية لكل منهما فى مختلف انحاء العالم .

ولازلنا نسمع تصريحات تتحدث عن المناطق التى تزعم هذه القوة او تلك أن لها حقوقا تاريخيه أو تقليدية فيها بما يجعلنا بمنأى عن القوة الاخرى . وفى هذا الحديث ردة وتقهقر الى المفاهيم البالية التى يجب ألا نكتفى باعلان رفضنا لها .

بل يتعين أن نواجهها ونتصدى لها بكل حزم وصلابة وحينما واجهت مصر والامة العربية معها اتفاق الدولتين العظميين على فرض ما أسميناه بحالة الاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الاوسط عقب اجتماع قادة البلدين فى مايو ١٩٧٢ وهوماكان يعنى تكريس احتلال أراضينا وتجميد مشكلة الشرق الاوسط فلم أتردد فى اتخاذ القرار الذى أملاه على شعورى بالمسئولية الجسيمة التى أتحملها وولائى لحق الشعب المصرى وحق كافة شعوب العالم الثالث فى الحياة الحرة الكريمة .

وليس ابلغ فى التعبير عن هذا الوضع مما قاله منذ ايام صديقنا العظيم الرئيس تيتو الذى تدين له حركتنا بالكثير وستظل دائما مقترنة باسمه من أن الوفاق لازال مقصورا على مناطق معينة من العالم وأن معظم الدول لم تشعر بعد بنتائج الانفراج الدولى وان دولا عظمى معينة تستخدم الوفاق كستار لخلق مناطق نفوذ وتقنين تدخلها فى الشئون الداخلية لدول أخرى بل وتتدخل تدخلا سافرا .

سباق التسلح مازال مستمرا

ومصداقا لهذا القول فاننا نجد ان سباق التسلح لازال مستمرا . وأن التدخل فى الشئون الداخلية للدول بدأ يأخذ صورا جديدة فى غاية الخطورة كما أن اساطيل الدول الكبرى المدججة بالاسلحة الفتاكة تجوب البحار بالقرب من سواحلنا فى البحر المتوسط والمحيط الهندى مما نشعر معه بأن أمننا القومى ليس اعتبارا تتوقف عنده الدول الكبرى كثيرا .

ومن جهة أخرى فقد لجأت القوى الكبرى الى تسوية بعض المشاكل الدولية فيما بينها على انفراد . دون اللجوء الى المنظمات الدولية التى تضطلع فيها دول العالم الثالث بدور نشيط وهذا اتجاه يترتب عليه اضعاف دور عدم الانحياز فى حسم المسائل الدوليه .

وهذا عن العلاقة بين القوى الكبرى وانعكاساتها على السياسة الدولية بوجه عام ومن جهه اخرى فهناك تغييرات قد تكون متصلة بها او مستقله عنها تعرضت لها دول العالم الثالث وحركتها على الصعيد الدولى يتعين علينا ان نستعرضها بروح المصارحة الاخوية والامانة التى تمليها جسامة المسئوليه لانا لا يمكن أن نتحسس موقع أقدامنا ونحلل مسلكنا واسلوبنا فى التصرف كما أننا لا نستطيع أن نرسم طريقا للمستقبل الا من واقع التجارب التى مررنا اليها والكفاح الذى خضناه على مر السنين وفى هذا الصدد أبرز الملاحظات الاتية :

.. اولا .. ان التزايد العددى فى قائمة الدول غير المنحازة لم يصحبه تصاعد مماثل أو مقارب فى فعالية الحركة فى الفترة السابقة وقدرتها على التاثير على مجرى الاحداث اى أن الزيادة الكمية لم تترجم الى زيادة نوعية تتناسب معها .

ثانيا - أن حركة عدم الانحياز اصطبغت بطابع الشعارات الذى سيطر على كفاح الشعوب فى الفترة التى اعقبت الحرب العالمية الثانية كوسيلة لتعبئة الجماهير وراء قضية تحقيق الذات المستقلة واثبات الهوية المتميزة .

الشعارات والكلمات البراقة

واذا كانت هذه الظاهرة ضرورة لما يبررها فى الفترة الماضية فانها بيقين قد اصبحت قيدا ونقطة ضعف فى عالمنا المعاصر الذى انحسر فيه دور الشعارات والكلمات البراقة وأصبح فيه التحدى الحقيقى هو الانجاز الفعلى الذى يغير مصائر الشعوب ويؤمن مصالحها فى الحاضر والمستقبل اما اذا استسلمنا لاغراء الشعارات وهذا هو الاختيار السهل فاننا نكون قد أسهمنا فى جعل حركه عدم الانحياز مجرد شكل او رمز تاريخى خال من اى مضمون حقيقى ..

ثالثا - أن الوحده داخل أسرة عدم الانحياز لازالت أضعف من النمط الذى يسود العلاقات داخل كل من الكتلتين الشرقية والغربية مع أن هذين المعسكرين قد شهدا فى السنوات العشر الاخيرة تغييرات عميقة ابثق عنها قدر ملموس من التنوع والتعدد وتفكك الرابطة المركزية التى كانت تجعل اعضاء كل كتلة مشدودين الى قوة الجذب الرئيسية داخلها الا ان القدر الباقى من التجانس والتنسيق ووحدة الاتجاه داخل كل كتلة لازال يفوق مقدار الوحده المتوفرة داخل حركه عدم الانحياز وتلك ظاهرة لابد من معالجتها اذا كنا نريد حقا ان ندفع قضية العمل الواحدة قدما الى الامام.

رابعا .. ويتصل بهذا ان الدولتين العظميين . منذ بدأتا عملية تعزيز الجسور بينهما لجأتا الى اشعال الخلافات داخل التجمعات الدولية الخارجيه عن نطاقها وذلك كوسيله للاحتفاظ بمراكز النفوذ . أو خلق دوائر جديدة للنفوذ والتاثير نتيجه اعتماد هذا الصرف او ذلك عليها وحتى دون اسهام الدول الكبرى فى ايجاد النزاع فان الصراعات الاقليمية والمحلية فى بعض دول العالم الثالث قد دفعت بها الى الاستعانة بالقوى الكبرى لدعم مواقفها فى هذه الصراعات .

خامسا - ان التنميه الاقتصادية والاجتماعيه بكل ضغوطها ومتطلباتها الملحة كانت توجب على الدول الناميه الاعتماد على مصادر خارجية لتمويلها وهو امر استغلته الدول الكبرى لممارسه الضغط على دول عدم الانحياز والتاثير على سياستها لان من يملك العطاء والمنع دون معقب يزعم لنفسه الحق فى التدخل وممارسه النفوذ .

سادسا - ان كثيرا من المشاكل والخلافات التى ظهرت بين بلدان عدم الانحياز قد عولجت خارج اطار المجموعة وتلك ظاهرة سلبية تنعكس بالضرورة على فعالية الحركة وهيبتها على الصعيد الدولى .

سابعا - ان حركة عدم الانحياز التزمت فى تصديها للقضايا التى تهمها بالاسلوب التقليدى المتبع فى المحافل والمنظمات الدولية القائمة وهو أسلوب اصدار القرارات دون ايجاد القنوات والاطارات التى تضمن وضع هذه القرارات موضع التنفيذ وتحويلها الى سياسة تلتزم كل دولة بالدعوة لها وفرضها على العالم الخارجى .

كل هذا لا ينال من الجهد الذى قمنا به والانجازات التى حققناها وانما يتعين علينا ان نقيم التجربة بصفة مستمره حتى نضمن لها الحيويه والقدره على النمو المستمر وملاحقة التطورات السريعة التى يمر بها العالم كل يوم .

تطوير مفهوم عدم الانحياز

واسمحوا لى أيها الاخوة أن أشرككم معى فى التوصل الى تصور عام ننطلق فيه جميعا من ايماننا الذى لا يتزعزع بمبادىء عدم الانحياز واختيارنا الحر لعدم الانحياز سياسة ومنهجا يهدى مسيرتنا على الصعيد الدولى وتقديرى انه نستطيع ان نتوصل الى هذا التصور على اساس الخطوط العامة الاتيه .

■ اولا : انه اذا كان التعريف القديم لعدم الانحياز هو الامتناع عن التورط او الارتباط بالتكتلات الدوليه والاحتفاظ بحرية الحكم على تصرفات الدول والمشاركه ايجابيا فى السياسه الدوليه دون انحياز

الى معسكر دولى معين او قوة بذاتها فان هذا التعريف أصبح قاصرا غير متفق مع ظروف الربع الاخير من القرن العشرين . وانما يجب تطوير مفهوم عدم الانحياز وجوهره بحيث يرتكز على حريه الاختيار وحريه الارادة بعيدا عن ضغوط الدول الكبرى وتأثيراتها سواء أكانت هذه الضغوط سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك .

ودعونى أقرر أمامكم ان مصر قد حققت الانتصارات التى حققتها ضد قوى الاستعمار العنصرى والامبرياليه بفضل اصرارها على الاحتفاظ بارادتها المستقله وحريتها فى اتخاذ القرار الذى تمليه مصلحتها القومية والمبادىء السامية التى يؤمن بها شعبها الذى ظل غيورا على استقلاله وسيادته طوال تاريخه .

■ **ثانيا :** اننا فى تحركنا الدولى كمجموعة مترابطة يجب الا نركن الى اسلوب رد الفعل بل نعمد الى اخذ المبادأة بكل شجاعة بحيث لا نعطى القوى الاخرى الفرصة لمواجهتنا بأمر واقع تحاول فرضه علينا وتكبيلنا بكل قيود، ويتطلب هذا منا ان نعلن رأيا جماعيا واضحا وقويا فى جميع القضايا الدولية الهامة .

■ **ثالثا :** اننا يجب ان نعطى التضامن بيننا – ثنائيا وجماعيا – أولوية قصوى فى معاملاتنا الدولية فى جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، بحيث لا يسوغ ان تتقاعس دوله غير منحازة فى الوقوف الى جانب دولة شقيقه ، مراعاة صله اى منهما بالعالم الخارجى لان القوى الاجنبية اذا وجدت أننا نتعامل معها بصرف النظر عن التزاماتنا التضامنية المتبادلة ، سوف تتعامل معنا على اساس هذا التعامل ، فان التبادل فيما بيننا يجب ان ينطلق من الالتحام والتفاعل كل منا ، المساندة والتضامن والمؤازرة بلا تحفظ ولاصدقائنا خارج الحركة التفهم والتعاون والاستعداد لمد الجسور ولخصومنا المجابهة الحازمة بلا هوادة .

التدخل فى الشئون الداخلية

■ **رابعا : اننا يجب ان نتكاتف جميعا فى الوقوف بحزم ضد محاولات التدخل فى الشئون الداخليه لأى من دول عدم الانحياز ، لان هذا التدخل الذى يتصاعد فى السنوات الاخيره بدرجه خطيره واحد صورا جديده من القرصنه الدوليه والارهاب والتخريب واستخدام المرتزقه والحرب الاعلاميه والنفسيه ، هو فى الواقع تهديد موجه لنا جميعا اذا سامحنا معه او تركناه يستشرى فسوف تظن الدول الكبرى التى تلجأ اليه هى وعملاؤها الذين يأتمرون بامرها انه قد اصبح وسيله متاحه لتحقيق اطماعها .**

■ خامسا : اننا يجب الا نقنع باتخاذ القرارات واصدار البيانات التى لا يترتب عليها أى تحريك فعلى للمواقف ، وانما تكون على أحسن الفروض مخدرا يعطينا انطباعا زائفا بأننا قد واجهنا مشكلة او حسمنا موقفا ، وهو ما يعنى اننا نستبدل القول بالفعل والتحرك تاركين المجال لغيرنا للتصرف وحسم المواقف ، ويتطلب هذا ان نبحث بكل جدية مسألة ايجاد الصيغ التنفيذية الكفيلة بوضع قراراتنا موضع التنفيذ ، بحيث لا تكون هذه القرارات قصاصات ورق ، بل يكون واضحا للجميع اننا نعنى ما نقول ، وان الكلمه عندنا ليست بديلا للفعل ، بل هى مجرد تعبير عن التزام حقيقى بالفعل والحركه ، وهذا يقتضى منا ان نتخذ خطوات سياسية او عسكريه او اقتصادية محددة على نحو جماعى يضمن الا يستخف بنا احد او يظن اننا اذا اتخذنا قرارا معينا فسرعان مايسقط فى زوايا النسيان ، بعد ان ينفض جمعنا وتتفرق بنا السبل .. وأمام مؤتمرنا هذا فرصة تاريخيه لاتخاذ خطوة رائدة على هذا الطريق ، اقترح ان نركز فيها على قضيتين تخوض فيهما شعوبنا كفاحا مجيدا ضد قوى الاستعمار والعنصرية ، وهما : التصدى لاستمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربيه بالرغم من القرارات المتعاقبة الصادرة من مؤتمرات القمة المختلفة ، ومن الامم المتحدة ، وتنص على انسحاب اسرائيل من جميع تلك الاراضى العربيه .

كفاح الشعوب الافريقية

اما القضيه الثانية فهى قضية كفاح الشعوب الافريقية ضد انظمة الاقليه العنصريه فى زمبابوى وجنوب افريقيا وناميبيا فلا شك ان التصاعد فى النشاط الكفاحى للشعوب الافريقيه الشقيقه التى يقع عليها عبء المواجهة المباشرة لتلك الانظمه العنصريه الارهابيه . هذا التصاعد يجب ان يقابله التزام محدد من جانبنا جميعا بمسانده حق اشقائنا فى هذه الاقاليم فى الحياة الحرة الكريمة ومالم يشعر المعتدون بان استنكار بلدان عدم الانحياز لموقفهم سوف يترجم الى مواقف فعلية وخطوات تنفيذية سياسية وعسكرية فسوف يظنون انهم يستطيعون الاستمرار فى عدوانهم دون ان يضطروا لدفع الثمن .

وعندما اتحدث عن اتخاذ الخطوات التنفيذية المحدده فلست اتكلم أساسا عن انشاء الاجهزة الجديدة بقدر ما افكر فى اتفاقنا على تحرك منسق يقوم فيه كل منا بدور محدد فى المجالين السياسى والعسكرى بحيث يكون التزامنا واضحا فى طبيعته ومداه وابعاده . واضحا لنا ولغيرنا قبل القيام بأى تحرك او اتخاذ أى موقف .

■ **سادسا :** ويتصل بهذا اننا يجب ان نحرص فى عملنا على المتابعة المستمره حتى لا تكون لقاءاتنا حلقات متفرقة لا رابط بينها . وانما تكون سلسلة متصله وهو ما يتطلب ان نبدأ البحث فى كل لقاء من حيث انتهينا فى اللقاءات السابقة وليس من فراغ . كما انه يتطلب تقييما مستمرا لحركتنا وحصرا شاملا **لما انجزناه وما عجزنا عن تحقيقه حتى نتحرك على ارضيه صلبه وحتى يكون فى مقدورنا ان نقدم لشعوبنا التى حملتنا الامانة سجلا كاملا لعملنا .**

أيها الاخوة الاعزاء :

لقد استعرضنا فى اخر مؤتمر لنا فى الجزائر تطور العلاقات الاقتصاديه خلال الثلاثين عاما التى مضت

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام منظمة الامم المتحدة وكانت محصلة تقييمنا هى أن النظام الاقتصادى التقليدى لم ولن يسمح بتنفيذ مبادىء ميثاق الامم المتحدة أو القرارات الهامة التى اتخذتها المنظمة لتحسين مركز الدول النامية وتضييق الهوة فى مستوى دخل الفرد وفى التقدم التكنولوجى بينها وبين الدول المتقدمة وكفالة حد ادنى من الرفاهية يضمن الكرامة الانسانية لكافة البشر .

الاستقلال الاقتصادى

وقد وجدنا عندئذ ان مسئوليتنا امام شعوبنا الكادحة تتطلب منا اخذ زمام المبادرة فى اقامه نظام اقتصادى دولى جديد على أساس من العدالة والمساواة فى السيادة وتكافؤ الفرص بما فى ذلك التوزيع العادل لمنافع التجارة الدولية وثمار التقدم التكنولوجى طبقا لما يقتضيه مبدأ المنفعة المتبادلة والتكافل الدولى .

وقد شهدت السنوات الثلاث التى انقضت منذ عقد مؤتمر الجزائر اولى الخطوات نحو تحقيق هذا التحول التاريخى فى العلاقات بين الدول الصناعية والدول النامية فعقدت اول دورة اقتصادية خاصة فى تاريخ الامم المتحدة لبحث مشاكل المواد الاولية والتنمية تلبية لدعوة من شقيقى الرئيس هوارى بومدين كما ان حرب التحرير التى خضناها فى اكتوبر ١٩٧٣ كان لها اثر كبير فى اقناع الدول الصناعية ولو على مضض بمدى اعتماد اقتصادها على التعاون المتبادل مع الدول النامية المنتجة للمواد الاولية وهكذا كان لهذه الحرب المجيدة التى وقفتم معنا فيها بكل شرف دور تاريخى فى استكمال الاستقلال السياسى للدول عن طريق تثبيت استقلالها الاقتصادى الذى هو عنصر لا غنى عنه فى تحرير الارادة الوطنية والقومية .

وكان طبيعيا بعد ذلك أن يتجه المجتمع الدولى الى اعادة توزيع مكاسب التجارة الدولية والتقدم التكنولوجى على ان بلورة هذا الاتجاه فى تحول فعلى فى السياسات الاقتصادية والتجارية التى تتبعها الدول الصناعية يبتعد بها عن الاستغلال والضغط لازال خطوة ننتظرها ونعمل من أجلها ونحن نرجو بكل صدق الا تخيب آمالنا فى الجهود المبذولة حاليا من أجل دفع قضية التعاون الدولى قدما واعادة ترتيب العلاقة بين الدول النامية والدول المتقدمة صناعيا تلك الدول التى بنت نهضتها الصناعية على اكتافنا الى حد كبير .

الاعتماد على النفس

السيدة رئيسة المؤتمر ..

الاخوة الاعزاء ..

لست بحاجة لان أكرر ان قوة بلدان عدم الانحياز تكمن بالدرجة الاولى فى تضامنها ووحدتها ومصر ترحب بالطابع المميز لمؤتمر القمة الخامس وهو اعطاء هذا التضامن وتلك الوحدة دفعة عملية على الطريق نحو تحقيق الاكتفاء الذاتى الجماعى وهو ما يقتضى منا امرين .

■■ الاول ان نخطط لتطوير اقتصادنا على أساس مبدأ الاعتماد على النفس باعتباره ضمن الوسائل لاستمرار الجهد القومى وابطال مفعول اى ضغوط اجنبية .

■■ الثانى ان تكون نيتنا صادقة فى اعطاء الاولوية للتبادل الاقتصادى والتجارى فيما بيننا والسعى لتحقيق قدر متزايد من التكامل الاقتصادى .. والتعاون المتبادل الذى يجعل تجمعنا هذا مرهوب الجانب قادرا على الصمود فى وجه اى ضغوط او مؤثرات مناوئة وبهذا العمل تتحقق لمبدأ الاعتماد على النفس صفة الجماعية والتبادلية ومن ثم نستطيع ان نحقق الاكتفاء الذاتى المنشود ونحن لا ننظر الى مبدأ الاكتفاء الذاتى الجماعى كبديل للتكافل الدولى بل انه عنصر مكمل له ولا يتناقض معه بشرط أن يكون مفهوما للدول الصناعية ان التكافل اذا لم يكن قائما على أساس العدالة وتكافؤ الفرص والمساواة فى السيادة فانه يكون خرافة لامعنى لها. كما أن على هذه الدول ان تدرك ان تحقيق العدالة والمساواة فى النظام الاقتصادى الدولى هو شرط اساسى لتحقيق النمو المطرد ليس فى الدول النامية وحدها بل فى الدول الصناعية ذاتها .. وبذلك يكون احترام هذا المبدأ شرطا لاغنى عنه لاستقرار السلم والامن الدوليين وبعبارة أخرى فلا يمكن ان يكون الفقر والفاقة والحاجة هنا والرخاء والازدهار والرفاهية هناك ..

أيها الاخوة ..

ان التزام الشعب المصرى وقيادته بمبادىء وسياسة عدم الانحياز هو حجر الزاوية فى كل سياسة نرسمها وكل خطوة نخطوها . وهو المعيار الذى طبقه فى الحكم على أى تحرك على الصعيد اندونى . وينبع هذا كله من ايماننا العميق بوجود التحام مصيرى بين شعوب عدم الانحياز فى افريقيا واسيا واوروبا وأمريكا اللاتينية تلك الشعوب التى خاضت نفس التجارب النضالية وانطلقت من نفس الامانى فجمعها كفاح انسانى واحد من اجل التحرير والتنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة واذا كانت تجارب الماضى والحاضر والمشاكل المتشابهة التى واجهتنا قد جمعت بيننا ووحدت مسيرتنا فان تحديات المستقبل والامال التى تراودنا للاجيال القادمة من ابنائنا تجعل ترابطنا حتمية لا جدال فيها ..

حرب اكتوبر المجيدة

جاءت بعد شهر

من لقائنا فى الجزائر

وفى هذا الاطار المبدئى فان شعب مصر يستند الى تأييدكم فى كفاحه من أجل تحرير أرضه وتمكين الشعب الفلسطينى الشقيق من استرداد حقه فى تقرير مصيره والتعبير عن ارادته المستقلة وليس من قبيل الصدف اننا خضنا معركة التحرير المجيدة فى اكتوبر

البقية ص ١٦٢

دراسات قرآنية

تفسير
سورة آل عمران
الآيات من ١ - ٩

- مايقال حول فضل سورة آل عمران
- بحث فى مايقال عن ترتيبها فى النزول
- معجزة خلود الجنين فى الرحم
- المحكم والمتشابه
- تواضع العلم الإنسانى
- من هم الراسخون فى العلم

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الم • الله لا اله الا هو الحى القيوم • نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل • من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام • ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء • هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم • هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب • ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب • ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد •

فضل سورة آل عمران :

قيل كلام كثير فى فضل هذه السورة والذين تتبعونا فى هذا التفسير يلاحظون أننا لا نحب الافاضة فى هذا القول فجميع ما بين دفتى المصحف هو كلام الله ، وكله بركة ، وكله خير ، نسأل الله سبحانه أن ينفعنا ببركة القرآن كله وببركة تلاوته وفوق ذلك كله وقبل ذلك بفهمه والعمل بأوامره والانتهاء بنواهيه .

على ان ذلك لا يمنع ان ننقل للقارىء ماجاء فى كتب التفسير القديمة من اقتران سورة البقرة بسورة آل عمران ، وأنه أطلق عليهما وصف « الزهراوين » وأخرج مسلم حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبق لنا أن أوردناه بمناسبة الحديث عن سورة البقرة ، وقد جاء فيه : « **اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة** » .

ونحن نرى فى هذا الحديث تأييد لوجهة نظرنا وهى أن القرآن كله يشفع لصاحبه يوم القيامة ثم خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم سورتى البقرة وآل عمران لطولهما واشتمالهما بالتالى على كل مقاصد القرآن الكريم .

فليتل كل مؤمن القرآن الكريم تلاوة استيعاب وليحفظ منه ما استطاع أن يحفظ واضعا دائما نصب عينيه وذاكرته الزهراوين « **البقرة وآل عمران** » .

هل نزلت بعد الانفال :

وقد اجتهد البعض « مشكورا » فى محاولة ترتيب نزول سور القرآن ، وعندنا ان الله سبحانه وتعالى وهو القائل « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** »

والقائل لنبيه صلى الله عليه وسلم : « **لا تحرك به لسانك لتعجل به ● ان علينا جمعه وقرآنه** » .

وبناء على هذين النصين يكون جمع المصحف وترتيبه على الصورة التى هو عليها مذ جمع فى عهد أبى بكر الصديق ، أى عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة قد تم بتوفيق من الله وارشاد وتوجيه ، تحقيقا منه سبحانه وتعالى لوعده لنبيه « **ان علينا جمعه وقرآنه** » .

فاصبح من غير الجائز متابعة غير المسلمين الذين يعاملون القرآن معاملتهم لاى كتاب عادى .

خذ على سبيل المثال القول بأن هذه السورة نزلت بعد سورة الانفال كما قال بعض فضلاء المجتهدين ، ولاجدال فى ان اجزاء من السورة وخاصة تلك التى أشارت الى أحداث غزوة أحد وما تلاها ، ولما كانت سورة الانفال تحدثنا عن غزوة بدر فاصبح الحديث عن نزول هذا القسم من سورة آل عمران بعد سورة الانفال هو صحيح بلا جدال أو شبهة ، ولكن سورة آل عمران من ناحية أخرى تشتمل على آيات خاصة بيهود المدينة ، لا يعرف على التحقيق متى نزلت ، فهى من نوع المجادلات التى ورد الحديث عنها فى سورة البقرة وذلك كله فضلا عن القول بان سورة « كذا نزلت بعد سورة كذا » فيه ما يشعر أن السورة كانت تنزل وحدة واحدة متكاملة ، وهذا خلاف المتفق عليه بالاجماع من ان القرآن كان ينزل « منجما » اى على أجزاء حسب المناسبات ، وان جبريل عليه السلام كان يرشد سيدنا محمدا على موضع كل آية فى السورة الخاصة بها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه بالتالى عن موضع الايات المعينة فى كل سورة بعينها . ولقد مر بنا على سبيل المثل آياتفى سورة البقرة قيل عنها أنها كانت آخر آيات التشريع نزولا ، حيث اشتملت البقرة على ايات لايمكنالا ان تكونمن‌أول‌آيات القرآن فى المدينة نزولا .. ومن هنا ممن رأينا ان لانتحدث عن سور القرآن بعامه وعن الطويلة منها بخاصة ، باعتبارها وحدة واحدة نزلت مجتمعة فى وقت محدد ، واقصى ما نستطيعه هو ان نحدد الموقف بالنسبة لايه معينه او مجموعة من الايات ، مستندين الى الوقائع المادية الثابتة كحدوث غزوة أحد بعد غزوة بدر ، أو مما جاءت به الاحاديث الثابتة عن رسول الله وعلى هذا يكون من الصواب أن نقول ان ما اشتملت عليه سورة آل عمران من حديث عن غزوة احد فلا يمكن الا ان يكون بعد سورة الانفال ، التى هى حديث عن غزوة بدر وانتصار المسلمين بها» أما ما زاد على ذلك فعلمه عند الله .

سورة العقيدة والتوحيد

واذا كانت سورة آل عمران قد اشتملت فى نصفها الثانى على قصة غزوة احد . فان نصفها الاول يمكن وصفه بأنه كان وقفا على اخص خصائص القرآن ، وهو التوحيد المطلق الصارم ، وتنقية عقائد أهل الكتاب « اليهود والنصارى » مما غشيها من الغواشى ونالها من التحريف والتغيير والتبديل ، حيث يكشف القرآن الكريم عن أن جوهر الرسالات واحد ، على التفصيل الذى سيرد علينا عند استعراض آيات السورة الكريمة ، وبعد ذلك نقول وبالله التوفيق : الاتفاق على أنها نزلت فى المدينة .

« الم ● الله لا اله الا هو الحى القيوم » (١)

ا ، لام ، ميم : لو كان تفسيرنا هذا فى كتاب واحد لفعلنا كما يفعل المفسرون وهو أن نحيل على ما سبق ذكره ، أما ونحن نكتب فى مجلة دورية ، فلا مناص فى كل مرة من تكرار ما سبق ، ولو فى اختصار .

الحروف المقطعة فى اوائل السور :

وقد اعتبر البعض هذه الحروف المقطعة من مشكلات القرآن ، والجمهور على أنها المتشابهة التى يجب أن نفوض فيها العلم لله ، على أن الكثيرين حاولوا واجتهدوا فى تفسيرها فذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، وكان يهود المدينة اول من حاول أن يفسرها « بحساب الجمل » والذى يعطى لكل حرف قيمه رقميه ، ثم يحاولون أن يستنتجوا من المجموع الكلى استنتاجا .

واللطيف اننا قابلنا فى العصر الحديث انسانا فاضلا كد نفسه وأرهقها ليثبت أنها تدل على مجموع آيات السورة .

أما فى خارج دائرة الحساب ، فقد قال قوم أنها تحوى بين ثناياها اسم الله الاعظم ، وقال صاحب المنار ان المختار هى أنها اسماء للسور فيقال الم « البقرة » والم «آل عمران » ، ومن أطرف ما قابلنا فى هذه الابحاث قول من جمع « الر » ثم « حم » ثم « نون » فاصبحت « الرحمن » .

وكان احر ما بذل من جهد فى هذا السبيل هو استخدام العقل الالكترونى فى امريكا وانتهى صاحب البحث الى ان هذه الحروف التى تبدأ بعض السور تكون هى السائدة ، مثل ن ، ص ، ق .

ومن ناحيتنا فنحن نرتاح وينشرح صدرنا للقول القائل ، ان ذكر هذه الاحرف يعنى أن هذا القرآن المعجز يتألف من الحروف التى ألفتموها وتنطقون بها وتكتبونها ، ومما يضاعف فى ارتياحنا لهذا المعنى ان القرآن الكريم قد احتفل منذ أول كلمة نزلت منه حتى نهايته بالقراءة والكتابه فكان اول ما نزل به الوحى « **اقرأ** » و « **علم بالقلم** » وكانت « **نون ● والقلم وما يسطرون** » .

فان يقسم الله بهذه الحروف أو يلفت النظر لانها المادة التى صيغ منها القرآن فهو معنى يطمئن له قلبنا كما قدمنا وفى كل الاحوال فهو من متشابه القرآن والذى نقرر فيه بالايمان كله والخشوع كله « هو من عند الله » (٢)

الله لا اله الا هو الحى القيوم

الله ـ اسم الجلالة الذى أطلقه القرآن على الخالق المبدع لسائر الكائنات ، وقد كان العرب فى الجاهلية يعرفونه بهذا المعنى كأثر من تعاليم سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وقد سجل القرآن الكريم معرفة المشركين لهذه الحقيقة « **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله** ».

لا اله الا هو : هذا هو جوهر التوحيد ولبه ، وما يجعل الاسلام أعظم دين عرفه البشر ، ولا يعرف الكثيرون من المسلمين الطيبين أن هذه الحقيقة البسيطة التى تبدو لهم بديهية هى سر افتراق الاوروبيين والامريكان عن الدين كلما ازدادوا علما ، حيث يتمسك المسلمون بالدين ويزدادوا ايمانا على ايمانهم كلما ازدادوا علما ، فقد انتهى العلم الى وحدة القوة التى تسيطر على الوجود ، بعد أن أثبت انشطار الذرة ان المادة ليست سوى طاقة مجمده ، وأن الطاقة ليست سوى المادة فى حالة اشعاع ، وأن الضوء هو الاصل الواحد لكل شىء ، هذا الذى انتهى اليه علم اوروبا وامريكا التجريبى هو ما يحفظه كل مسلم عن ظهر قلب وهو يتلو :

« **الله نور السموات والارض** ».

وسنرى بعد قليل تفوق العقيدة الاسلامية على العلم وعلوها عليه علوا كبيرا .

وهكذا انتهى البشر الى وحدانية القدرة الخالقة « الله ».

نفى يعقبه الاثبات

وقد صيغت عقيدة التوحيد الاسلامية بالتعبير الجامع المانع « لا اله الا الله » فنفى أولا أن يوجد فى الكون كله أى قوة أو قدرة أو فاعليه من أى نوع كان ، ثم أثبتها كلها لقوة واحدة مريدة فاعلة هى « الله » ، ولكى تتم الصورة التعبيرية فى أروع صيغها من حيث البلاغة والبيان المتعارف عليهما صدر التعبير باسم الجلالة « الله » ثم أحال عليه بالضمير « هو » ، وهكذا يتحقق كمال التعبير شكلا وموضوعا فى القول « **الله لا اله الا هو** ».

الحى القيوم

جاء فى معجم الفاظ القرآن للمجمع اللغوى :

الحى ، اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى وقيل فى بعض التفاسير الحى ضد الميت فهو سبحانه لا يموت أبدا والاتفاق على أنه حى حياة تليق بكماله ولكننا وقد آلينا على أنفسنا أن نتكلم بلغة العصر التى يصفونها بأنها لغة العلم الحديث نتوقف قليلا فنقول وبالله التوفيق : قال تعالى وهو يحدثنا عن خلق آدم عليه السلام « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** » ، كما قال تعالى « **قل الروح من أمر ربى** » أى أن الروح التى هى سبب الحياة هى نفخة ربانية ، فالله سبحانه هو أصل الحياة ، هو خالق الحياة ، هو الحياة الباقية الازلية التى لا يدب اليها وهن أو ضعف فضلا عن فناء .

فكل ما فى الوجود يفنى الا هو لانه الوجود « موجود » وكل من فى السموا توالارض يموت الا هو فهو الحى الذى لا يموت ، فهو حى أبدا وكان حيا أبدا ، حياة تليق بذاته وربوبيته .

الايمان بأنه حى هو فارق ما بين الايمان والكفر

وقد لا يعرف الكثيرون أن الايمان بالله « **الحى** » هو فارق ما بين الايمان والكفر فالماديون الملحدون يعزون الى المادة كل شىء نعزوه نحن المؤمنين الى الله سبحانه وتعالى فهى واحدة وهىقديمة أوجدت نفسها بنفسها وهى بعد ذلك القوة التى خلقت كل شىء حتى الحياة هى بعض نتاج المادة ، والعقل والفكر هو نهاية تطور الحياة ، فالمادة والمادة وحدها هى خالقة كل شىء ، مادة ميتة عمياء صماء بكماء هى التى تطورت فخلقت الحياة والسمع والابصار والافئدة !!

أما نحن المؤمنين بنعمة الله فنؤمن بالله الحى الذى منحنا الحياة بكل معطياتها من سمع وبصر وفكر فالله الحى هو مصدر كل حياة ، وهو السميع البصير الحكيم المريد ، وللماديين أن يؤمنوا أنهم نتاج مادة ، وان هذه الدنيا مجرد عبث جاء بالصدفه وينتهى بالموت ، أما نحن فقد هدانا الله الى اننا من خلق اله حى حكيم ، خلقنا لغاية ، وأنا اليه راجعون فمحاسبون فاما الى جنة واما الى نار .

القيوم : أى شديد القيام وهى صيغة مبالغة من قائم ، وهو اسم يختص به الله سبحانه وتعالى ومعناه أنه القائم بشئون خلقه أبدا فلا قيام للسموات والارض الا به ، وقديما قال بعض الفلاسفة أن الله خلق الكون وخلق النواميس والسنن وترك الوجود بعد ذلك يتطور وفق هذه النواميس والسنن بدون تدخل منه ويقول الماديون اليوم مثل ذلك ، فانما هى مادة ونواميس وسنن ، أما نحن المؤمنين فنؤمن بالنواميس والسنن ، لان القرآن يعلمنا ذلك « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** » ولكنه يعلمنا فوق ذلك أن ارادته تعلو النواميس والسنن فيجريها حيث شاء ويوقفها حيث شاء وقديما قال الغزالى : ان السبب ينتج دائما المسبب الا أن يشاء الله ، فارادة الله حاضرة عند كل سبب وكل ناموس وكل سنه ، وهذا ما يجب أن نفهمه من قيوم ، أى أن كل شىء يعود اليه فى وجوده وقيامه ، والله أعلم بمراده ونستغفر الله من الخطأ والزلل .

نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل

بالحق : يقول بعض المفسرين انها تعنى بالصدق وعندنا ان ذلك هبوط بكلمة « الحق » الى كلمة الصدق ، والحق كلمة تنتفض لسماعها القلوب وتخفق الارواح فالله هو الحق ، ويكون الكتاب الذى

هو القرآن حق من حق ،ولذلك فنحن لانقر قول من حاول أن يفسر كلمة الحق بأنها تعنى الصدق ، فذلك من قبيل تعريف الكل بذكر الجزء أو الجوهر بذكر العرض .

التوراة : لفظ يعنى به القرآن ، الوحى الذى أوحى به الله سبحانه وتعالى الى سيدنا موسى وقد حاول بعض لغويى العرب ان يوجدوا اشتقاقا للكلمة من اللغة العربية فقالوا انها من كلمة « اورى »ولكن كلمة التوراة موجودة فى اللغة العبرية بمعنى الشريعة ».

الانجيل : يستعملها القرآن الكريم لتفيد معنى الوحى الذى نزل على سيدنا عيسى ، وهى فى اللغة اليونانية القديمة التى كتبت بها أقدم الاناجيل تعنى « البشارة » جاء فى القرآن الكريم « **ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** » .

والمعنى المستفاد من عموم الاية ، ان الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن الكريم ينطوى على ذات الحق والجوهر الذى تنطوى عليه الكتب السماوية السابقة وبخاصة التوراة والانجيل ويتلخص هذا الحق والجوهر فى توحيد الله والاستسلام لمشيئته ».

من قبل هدى للناس وانزل الفرقان هذه الاية الكريمة متعلقة بما قبلها من انزال التوراة والانجيل وان أنزالهما كان قبل أنزال القرآن لذات الغرض وهو هداية البشر ».

وأنزل الفرقان :

الفرقان : مصدر من مصادر فرق ، ومثله الفرق كالخسران والخسر ، واستعمل فى القرآن بمعنى الحجة وبمعنى النصر واسما للكتاب المنزل « الفرقان » .

وفى القرآن الكريم سورة بأكملها اسمها الفرقان تقطع بأن كلمه الفرقان تعنى اذا ما ذكرت مطلقة انها القرآن ، قال تعالى :

« **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » .

ومع ذلك فان العلامة الشيخ رضا يقول فى تفسير المنار ان القول بأن الفرقان هو القرآن قول « مردود » أى أنه لا يأخذ به وهو يتابع فى ذلك رأى استاذه الشيخ محمد عبده الذى قال ان الفرقان يعنى « العقل » وحجة الشيخ رشيد رضا واستاذه فى هذا الرأى انه قد قيل فى أول الاية السابقة « **نزل عليك الكتاب** » فلزم ان تكون كلمة « الفرقان » تعنى شيئا غير القرآن ، مع ان أساليب اللغة واسلوب القرآن بالذات يجعل تكرار اللفظ احيانا نوعا من بلاغة التعبير فكيف عندما يتباين اللفظان « الكتاب » و « الفرقان » ثم يكونان فى آيتين منفصلتين ، الحق انه مع احترامنا الكبير للشيخين ، نرى فيما قالا مدى اعجابهما بالعقل ، فأجتهدا فى تفسير الفرقان بأنه يعنى العقل ، ونحن نخالفهما فيما قالاه جملة وتفصيلا ونرى ان كلمة الفرقان هنا تعنى القرآن الكريم ».

ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد

وبعد ان يقرر الله سبحانه وتعالى ان جوهر الكتب السماوية ، وبخاصة التوراة والانجيل والقرآن واحد ، فكل منها يصدق الاخر ويهدف الى هداية الناس الى طريق الحق والرشاد ، فقد توعد ، سبحانه ، كل من يكفر بآيات الله وآخرها آيات القرآن التى تحكم كل ما سبقها ، توعد كل من يكفر بهذه الايات عذابا شديدا **والله عزيز ذو انتقام**

والله سبحانه وتعالى خالق الانسان والعارف بطبيعته البشرية ، يعلم ان كل نشاط انسانى انما يتم ببواعث من الرغبة والرهبة ، وان الترغيب هو النافع فى بعض الاحيان كما أن التخويف هو الاكثر نفعا فى أحيان أخرى فهو اذا كان يقرر أنه رحمن رحيم وانه يغفر الذنوب جميعا ، فهو يقرر كذلك انه عزيز أى قوى غالب . ذو انتقام : اى أنه يعاقب ويجازى ليحقق العدل بين الناس ».

وطالما أشرنا من قبل اننا يجب أن نفهم كل ما جاء فى القرآن من مثل كيد الله ومكر الله وانتقام الله انما هو خطاب للبشر بلغتهم التى يفهمون ،وعلى المؤمن الحق أن يفهم أن الله يحذره ويعلمه على أن ينزه الله عن كل المعانى الانسانية التى يعبر عنها اللفظ ، فاذا كان المعنى الانسانى لكلمة انتقام هو التشفى فيجب ان ينزه الله عن هذا المعنى ».

ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء ويمضى القرآن الكريم فى بناء العقيدة عقيدة التوحيد فالله لا شىء قبله ، ولا شىء بعده ، انه الواحد الذى لا اله غيره ، انه الحق خالق كل شىء ومدبره وحافظه « القيوم » وهو بهذه الصفه قادر على كل شىء عالم بكل شىء ، ولما كان القرآن كتاب وعظ وارشاد يخاطب الناس فى كل زمان ومكان وهم متفاوتو العقول والادراك فقد رأى ان يعرفهم وهو اذ يعرفهم يحذرهم أنه « لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء » .

عالم الفضاء

واليوم يحدثوننا عن غزو الانسان للفضاء وانه هبط بالفعل على ظهر القمر ، وان الانسان فى طريقه الى سكنى الكواكب ، بل ان بعضها قد يكون مسكونا بالفعل ، والاهم انه ايا كان ما سوف يكون عليه المستقبل بالنسبة للفضاء الخارجى «السماء» فان القرآن الكريم ما تحدث عن الارض الا وقرنها بالسماء لا يختص احداهما بحكم لا يسرى على الاخرى ، وهو فى هذه الاية الكريمة التى نحن بصددها يعلمنا انه

حيث كنا فى الارض أو فى السماء فلن تخفى عليه أدق خواطرنا فضلا عن أعمالنا ».

هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشـاء

الارحام : جمع رحم ، والرحم هو المكان المخصص لسكنى الجنين وتكونه فى جسد الانثى ».

وقد قيل على ما أشرنا من قبل ان الايات من صدر سورة « آل عمران » حتى الاية ٨٢ قد نزلت بمناسبة محاجة دارت بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين وفد من النصارى جاءه من نجران ، وسترد علينا آيات تمثل دورة هذا الحوار ، ومن هنا ذهب المفسرون القدامى الى توجيه المعنى فى أى كلمة الى هذا الجدل حول المسيح وكيف كان وتكون ثم ولد ، فيقولون ان المسيح قد تكون فى الرحم وصوره الله سبحانه وتعالى كما يصور أى جنين آخر فاستحال بذلك أن يكون الها . وعندنا ان القول هنا عام يتحدث عن معجزة الحياة المذهلة ، وقد حدثنا القرآن عنها من قبل ، وسوف يحدثنا عنها من بعد ذلك ان مجرد تاملها كفيل بالايمان بالله الواحد الاحد الحى القيوم القادر والقدرة لا تستطيع عقولنا ان تستوعب مداها فلا يبقى أمامنا الا أن نقربها بوجداننا ونستسلم أمام لا نهائيتها

وفى كتابنا الطاقة الانسانية ذكرنا فى عشرات من الصفحات ما يذكره العلماء عما يجرى داخل الرحم ، وحسبى أن اشير بايجاز جدا الى ملاحظتين حول التنوع والنمو ».

التنوع

أما الملاحظة الاولى فخاصة بالتنوع الذى يعيا العقل بتتبعه . فمعلوم ان الجنين يبدا بخليه واحده ثم تروح تنقسم وتنقسم مما سنشيرله فى ملاحظتنا الثانية ، اما هنا فحسبنا الحديث عن التنوع المذهل الذى تتنوعه الخلايا التى تنقسم اليها الخليه الاولى ، فثمة خلايا ستكون العظام وأخرى ستكون اللحم اى العضلات وثالثة ستكون الدم ورابعة ستكون الجلد وخامسة وسادسة ... الخ ثم ياتى التنوع فى اللون فمن سوداء الى حمراء الى بيضاء وصفراء ، ثم من حيث الشكل فمن مربعة الى مستطيلة ومستديرة ومخمسة ومسدسة ومثمنة ، ومن خلايا كالقرص واخرى كالانبوبة وثالثة كالكرة او اللولب او المكعب .. الخ . وثمة خلايا لتجر وخلايا لترفع ، وخلايا لتقبض واخرى لتبسط ، وخلايا لتوليد الحرارة ، واخرى لتوليد البرودة . وخلايا للمخ واخرى للقلب وهكذا ، كل هذا التنوع المذهل فى التكوين واللون والحجم والكتلة والوظيفة ... الخ ».

الانقسام وضخامته المذهلة

واذا كان العقل يعيا عن متابعة التنوع الذى تصير اليه الخلية الواحدة فان العقل يعيا مرتين بل عديد من المرات ازاء الحقيقة الثانية من حقائق تطور الجنين فى الرحم وهو مدى نمو الخلايا وتكاثرها وقد قدمت لك أن الجنين ينشا من خلية واحدة لا أريد أن أثقل عليك بذكر وزنها لان ذكر الرقم لن يفيدك شيئا هذا الجسم الذى لا يرى بالعين المجردة هو الذى سيشرع فى الانقسام والتكاثر بحيث يتحول فى خلال تسعه أشهر الى جسم يزن بضعة كيلوجرامات والان ايها القارىء الكريم استعد لاحتمال المفاجأة

وليست هذه المفاجأة الا ما يقوله لنا علماء الرياضة من أننا لو تصورنا ان جسما ما ظل يتكاثر بهذه النسبة لمدة عشرين سنة لكان مقداره مساويا لحجم الشمس وتوابعها وكل الفراغ الكائن بينها .

ولكن الذى يحدث ان الخلايا تظل تنقسم وتتكاثر وتتنوع بهذه الصوره المذهله الى ان تكون العضو المطلوب بالصوره المطلوبه ثم تتوقف عن النمو والتكاثر ، لقد أدت مهمتها وصنعت العين ، وصنعت اليد والقدم .. الخ وهذه التشوهات التى نسمع عنها فى بعض الاجنة انما هى كى يثبت فوق ثبوت انه خلف ميلاد كل طفل سوى ذكرا كان او أنثى مشيئة الخلق القائمة الى جوار تطور الجنين كل جنين .

فالله هو الذى « يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

وتختتم الاية بعد الحديث عن عظيم قدرة الخالق الذى يصور الاجنة فى الارحام كيف يشاء . بأنه واحد أحد لا ثانى له ، وهو اسقاط ونفى لما قاله نصارى نجران من ان المسيح هو الله بذاته ، ففى الاية تعريض بأن المسيح وقد ولدته امه فقد صوره الله فى رحمها كما يصور أى جنين آخر

العزيز : الغالب القوى المقتدر على كل شىء ».

الحكيم : الذى يدبر كل شىء ، ويحكم كل شىء لتحقيق ما يشاء من غايات .

هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .

محكمات : جمع محكمة ، أحكم الشىء ، أى اتقنه ، فالشىء محكم وهى محكمة والسورة المحكمة والاية المحكمة هى المتقنة « من حيث كونها واضحة الدلالة وسنزيد الامر تفصيلا فيما بعد

متشابهات : أحسن ما قيل فيها باعتبارها وصفا لبعض آيات القرآن ما جاء فى معجم الفاظ القرآن من أنها تعنى « قابلات للتأويل ، على تفصيل سنتحدث عنه

أم الكتاب : الام معروفة وعندما تنسب للكتاب «أى القرآن »يصبح معناها أصل الكتاب وجوهره .

حقيقة الايمان

فى رأينا أن هذه الاية الكريمة مفتاح الكيفية التى يتعامل بها المؤمن مع القرآن الكريم ، فالقران كتاب انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشر وتعريفهم بالطريق اليه فانطوى على كل مايعمق العقيدة بالله خالق الخلق وانه واحد لا شريك له ، وتضمن القرآن الى جوار ذلك ما يصلح من شأن العباد بتحريم الحرام وتحليل الحلال ، ورسم قواعد المعاملا بين البشر لخيرهم فى الدنيا والاخرة ، ولكن القرآن من الناحية الاخرى نزل باللغة العربية التى يفهمها الناس فاستعملها بالصيغ التى اعتادوا ان يستعملوها كالتشبيه والمجاز والكناية ، وهو فى سبيل الوعظ والارشاد تضمن قصصا عن الانبياء وغير الانبياء ووردت فيه أقوال لا نعرف اذا كانت من مقولات من يحكى عنهم القرآن ، أم هى اقوال يقررها الله عز وجل ، الى غير ذلك ، وهنا كما سوف نقرر الاية المحك لمعرفة المؤمن من غير المؤمن ، فترى المؤمن ينصاع لجوهر ماجاء به القرآن من توحيد صاف فيعتقده ، ومن اوامر فيتبعها ونواه فينتهى عنها ، وما زاد على ذلك فهو يؤمن أنه كله كلام الله ما فهمه منه فقد فهمه ، وما لم يفهمه يفوض علمه لله ، وفوق ذلك وقبل ذلك ، ثمة قسم من القرآن اختص الله بعلمه ونبه على ذلك ، كالغيب وكل ما يتصل به . هذا هو ما نفهمه من قوله تعالى عن « **آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** » ، ولا أحسب ان السلف وجدوا فى فهم هذا المعنى اى صعوبة فضلا عن أشكال

كله محكم وكله متشابه

ولكن بعض القدامى وطالما أشرنا الى ولعهم الى التشقيق والتفريع والجدل ، سرعان ما غرقوا فى بحر المحكم والمتشابه ، حتى انزلق البعض فراح يتساءل ولماذا كان فى القرآن محكم ومتشابه ، ويتصدى بعض للدفاع عن القرآن مبينا فوائد لاشتماله على المحكم والمتشابه ، وكل من المتسائل والمجيب على تساؤله انما يحكمان بعقلهما وفكرهما على القرآن حيث سيبين لنا القرآن الكريم أن ذلك كله ليس سبيل المؤمنين الراسخين فى العلم الذين يقولون فى اطمئنان ان الكل اى المحكم والمتشابه ، من عند الله ، وهم يستضيئون دائما بمقاصد القرآن واحكامه كما تبينها الايات المحكمات اللواتى هن واضحات الدلالة فكن بذلك « أم الكتاب » وقد ضرب مثل لهذه الايات ،من مثل قوله تعالى : « **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا** » الى اخر الايات ومن مثل قوله تعالى « **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه .. الى آخر الايات** »ووهم بعض فحكوا عن بعض الصحابة ما يفيد أن هذه فقط هى المقصودة مع أنه يستحيل عقلا قصر الامر على هده الايات فمثلها فى القرآن كثير ، ونحن مأمورون أمرا أن نقيم الحدود التى حدها الله وان نصدع بأوامره .

ومن هنا فلا نحب أن نغرق كما غرق بعض من سبقونا فى محاولتهم وضع تعاريف للمحكم والمتشابه .

وقد ورد فى القرآن وصف لايات القرآن انها كلها محكمة ، اى متقنة . جاء فى أول سورة هود « **كتاب احكمت آياته** » ، كما وصف القرآن كله بأنه متشابه ، جاء فى سورة الزمر : « **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها** » أى يشبه بعضه بعضا فى هدايته وبلاغته وانطباق كل آية فيه على الحق والصدق فسلم من الخلاف « « **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاكبيرا** » .

فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله .

زيغ : من الفعل أزاغ ، أى أمال ، والمعنى هنا « الميل عن الحق » .

الفتنة : الاصل فى الكلمة لغويا تعنى الاحراق ثم استعملت مجازا لتعنى الامتحان والابتلاء ، وهى هنا تعنى نشر البلبلة واشاعة الاضطراب .

تأويله : وردت كلمة التأويل فى القرآن بعديد من المعانى ولكنها تعنى فى ضوء السياق هنا الانحراف عن المعنى ليوافق غرض المتكلم ، وقد يحدث هذا عن حسن قصد ، ولكن المقصود هنا ما هو فعل ذلك عن سوء قصد لاشاعة البلبلة والاضطراب وهكذا لا تكون هناك أى صعوبة فى معرفة ما هو محكم وما هو متشابه فأى آيه يستدخمها من فى قلوبهم زيغ لتدعيم ما هم عليه من وهم وضلال او قاصدين الى اشاعة الفتنة والتشكيك فهذا هو المتشابه ، وما ليس كذلك فهو المحكم ، وقد كان آخر ما سمعناه من هذا القبيل قول أحد الملحدين : اذا كانت الجنة عرضها عرض السموات والارض ، فأين مكان النار اذن ، فيكفى أن تسمع هذا التساؤل لتدرك على الفور ان السائل ملحد ، لان المؤمن يعرف أن كل ما يتعلق علمه بالغيب، عند الله ، والمكانية الارضية والزمان هما أمران من خصوص هذه الدنيا ، أما فى الاخرة فلها قوانينها ونواميسها . والمؤمن يؤمن بكل عناصر الغيب أما الذى فى قلبه زيغ فبحجة أنه يريد أن يفهم هو فى الحقيقة يشكك .

واذا كانت هذه الايات قد نزلت بمناسبة محاججة النصارى فى الوهيـة المسيح فقد تضمنت كتب التفسير بعض الايات القرآنية التى تمسك بهـا النصارى لاثبات الوهية المسيح فيقولون : او لا يقول القران ان المسيح كلمة الله ؟ او لم يقل أن المسيح « روح الله » وهل كلمة الله وروح الله الا الله بذاته .

فهدا هو النموذج الصارخ لتعلق من فى قلبه زيغ بكلمه من هنا ، وكلمة من هناك مغفلا صريح القول بأن الله « **لم يلد ولم يولد** » وذكر القران بأن المسيح عيسى ابن مريم ليس الا عبدا من عبيد الله أرسله ليكون مبشرا ونديرا وكونه كلمة الله فشأنه فى ذلك شأن اى أمر يريده الله « **كن فيكون** » وكلمة كن هى كلمة ، وكونه من روح الله فشأنه فى ذلك شأن آدم « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** » .

اما البحث هل الله شىء غير روحه وكلمته فهذه هى الابحاث التى لا يراد بها غير الفتنة ، ولا يقول بها الا من فى قلوبهم زيغ .

ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله

وعندنا ان هذه الاية هى فيصل التفرقة بين المحكم والمتشابه ، فكل آية يجد فيها من فى قلبه زيغ سبيلا الى الفتنة عن طريق تأويل الكلمات لهذا المعنى او ذاك مما يوافق هواه «خارجا عن فهم الجماعة ، فهذا هو « المتشابه » » .

وابتغاء تأويله

ونريد أن نقف قليلا أمام هذا التعبير جاء فى معجم الفاظ القرآن :

« أول الكلام وتأوله : فسره وبين المراد منه . والتأويل : التفسـير وتبيين ما يؤول اليـه الامر من الكلام » .

وعندنا أن التأويل بمعنى التفسير لا يمكن أن يكون مفهوما هنا الا اذا تصورنا أن فى الكلام تقديم وتاخير بحيث يصبح المعنى « تفسير القرآن بما يحقق الفتنة » ولما كنا لسنا من أنصار الاسراف فى القول بالتقديم والتأخير ، فلم يبق أمامنا الا اعتبار التاويل هنا بمعنى تعمد اخراج المعنى عن هدفه .

وما يعلم تأويله الا الله

أى أن تفسير الايات المتشابهة لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى فهو وحده الذى يعرف حقيقة المقصود بهذه الكلمة أو تلك . هذا هو المعنى الذى ينشرح له صدرنا ، أى قصر المعرفة الحقة لما هو متشابه على الله سبحانه وتعالى ، وينتهى هذا القسم من الاية عند هذا الحد ، ثم يستانف القول بمعنى جديد .

والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا .

تفسير سورة آل عمران

الراسخون : الثابتون

ويكون المعنى ان الذين فى قلوبهم زيغ يحاولون تاويله « أى المتشابه » ابتغاء الفتنة زاعمين انهم يحاولون العلم ، حيث العلماء الحقيقيون الثابتون فى علمهم لا يستنكفون من الاقرار بالاستسلام وتفويض العلم لله وحبسبهم أن يعرفوا أن الايات كلها سواء منها المحكم أو المتشابه من عند الله ، وهذه هى سمة العالم الحق يعرف لنفسه حدودا يقف عندها .

واذا أردت أن تعرف سمة الجاهل من العالم فسوف تراها فى جزم الجاهل وقطعه بكل شىء ، فهذا الامر لا يمكن الا أن يكون هكذا ، ومن المحقق ومن المؤكد ومما لاشك فيه ، عندما يتحدث أمامك متحدث بمثل هذا الاسلوب ، فاعلم أنه غير عالم فالعالم اذا تحدث يعلم أنه فوق كل ذى علم عليم ، ويعلم أننا « البشر » لم نؤت من العلم الا قليلا ، ولذلك فهو عندما يتكلم يكثر من التحفظ فتراه يقول « منتهى علمى » ان الامر « هو كذا وكيت » وأغلب الظن ، وعلى الارجح ، والاقرب الى الصواب .

هذه هى اخص خصيصة العلماء وأعنى بها التواضع ، ولذلك فهم لا يشعرون بأى غضاضة ، ولا يحسون بأنه ينقص من قدر علمهم أن يقولوا اذا سئلوا عن آية من المتشابه : « **علم ذلك عند الله** » .

الله والراسخون فى العلم

هذا المعنى الذى لا ينشرح صدرنا الا له هو الذى يقلبه البعض راسا على عقب اى من معنى التواضع الى حد قرن علمهم بعلم الله ، ويصلون لهذا المعنى بجعلهم « **الراسخون فى العلم** » معطوفة على لفظ الجلالة ، فيصبح المعنى : انه لا يعرف تاويل « اى تفسير » المتشابه الا الله والراسخون فى العلم .

ولسنا نريد أن ندخل فى مناقشة القائلين بهذا القول ولذلك وقفنا عند حد القول ان الله يشرح صدرنا للمعنى الاول ، ويرجع انشراح الصدر الى الاسباب الاتيه :

١ – ان الاجماع على ان آيات الغيب مما اختص الله بعلمه وهى من المتشابه بالاجماع .

٢ – يقول الله سبحانه وتعالى « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » .

٣ – الراسخون فى العلم مرتبطة ارتباطا عضويا لا ينفصم عن ما جاء بعدها من كلام : « **يقولون آمنا به كل من عند ربنا** » حيث لا وجود لهذا الارتبـاط العضوى مع ماقبلها .

[البقية ص ٢١]

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

جرائم بني إسرائيل كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الجريمة — ٤٧ —

وبعد الفراغ مما حوته سوره البقرة من جرائم بنى اسرائيل التى بلغ عددها ٤٦ جريمة ، نقول بعد الفراغ من ذلك وقبل الدخول فيما حوته سورة آل عمران من جرائم هؤلاء الملعونين اينما ثقفوا نقول لعل الكثير من السادة قراء مجلة منبر الاسلام يدركون ان القرآن الكريم كرر ذكر بعض هذه الجرائم اكثر من مرة ، كما فى جريمة قتل الابرياء فى آية ٦١ من سورة البقرة ، وذكرت هاهنا فى آل عمران فى آية ٢١ الاتية ، وسيأتى بعدها أيضا ، وذكر بعضها مرتين ، وبعضها ذكر مرة واحدة .

سبب ذلك ، والعلم عند الله ، أن هذه الفئة الباغية ، هى الفئة الوحيدة دون خلق الله التى ذكرها سبحانه فى كتابه الكريم مع اول من خلق من ابناء آدم عليه السلام ، فى اثناء الحديث عن ولدى آدم فى مبدأ الخليقة ، اى قبل وجود ابيهم اسرائيل ، اى يعقوب عليه السلام ، بملايين السنين ، فقال سبحانه مخاطبا خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر ، قال لاقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين** آية ٢٧ من سورة المائدة . **الى ان قال: « فقتله فأصبح من الخاسرين »** ثم استمر الى أن قال : « **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا . ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون** » آية ٣٢ من سورة المائدة ثم بعد تهديدهم بعاقبة هذه الجريمة الشنعاء ، وبعد تهديدهم بأن رسله سيشهدون عليهم يوم القيامة بأنهم حذروهم من هذه الجرائم ، بعد كل ذلك هم مسرفون فى الارض بالقتل والفساد .

فالقرآن كرر افظع جرائمهم فى حق خالقهم ، ثم فى حق خاتم الرسل ، ثم فى حق أنبيائهم الذين جاءوا ليبيروا لهم طرق الخير والسلامة . فتارة يقولون على الله سبحانه وتعالى « **يد الله مغلولة** » آية ٦٤ المائدة ، وتارة يقولون « **ان الله فقير ونحن اغنياء** » آية ١٨١ آل عمران ، وتارة يقولون لنبيهم « **اجعل لنا الها كما لهم آلهة** » آية ١٣٨ الاعراف ، وقالوا « **أذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون** » آيه ٢٤ المائدة .

وممن قتلوهم من الانبياء زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ، الى غير ذلك . وبما ان القرآن ليس محفوظا كله لكل مؤمن ، اراد سبحانه أن يضع أمام كثير ممن يحفظ شيئا من القرآن بعض جرائم هؤلاء اليهود ، ليكون كل مؤمن على بصيرة بخبث طواياهم .

اكل الحسد قلوبهم حتى جبلوا على كره الخير لكل من ليس على شاكلتهم ، وهذا مرض مزمن معهم يجعلهم لا يألفون ولا يؤلفون ، الا نفاقا ، عندما يروا صيدا ثمينا عند غير اليهودى .

قال الله تعالى « **ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم**

بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب » آية ١٩ من سورة آل عمران .

فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن : وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم : فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ : والله بصير بالعباد » آية ٢٠ من سورة آل عمران .

المفردات :

« الدين عند الله الاسلام » الاسلام فى اللغة من السلامة ، وهى الامان من كل مكروه ، ترى ذلك واضحا فى كل ما جاء فى القرآن من هذه المادة ، قال سبحانه فى آية ٤٣ من سورة الانفال ، فى أثناء الحديث عن غزوة بدر ، وما كان فيها من كثرة المشركين وقلة المؤمنين : « **اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر، ولكن الله سلم ، انه عليم بذات الصدور** » .

وقال سبحانه على لسان الجن فى آية ١٤ من سورة الجن : « **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا** » ولهذا سمى سبحانه كل شريعة أنزلها على رسول من رسله ، عليهم السلام ، سماها « الاسلام » **ومن يعمل بها** سماه « مسلما » .

انظر قول نبيه سليمان وملكة سبأ فى آيتى ٤٢ و ٤٤ من سورة النمل على لسان سليمان « **واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** » وقالت هى « **قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين** » .

وبما أنه سبحانه قال فى كتابه « **ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » آية ٤٨ المائدة ، فيكون المراد بالاسلام فى الاية التى معنا هو الاصول التى اتفق على ايجابها عند جميع الرسل ، المشار اليها فى آية ١٣ من سورة الشورى وهى « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك** ... » الخ والمتفق عليه هى التوحيد ، والايمان بالرسل ، والبعث ، ومكارم الاخلاق ... الخ » .

ولما بعث خاتم الرسل عليه السلام ، ولم يكن بعد شريعته شريعة أخرى ، غلب اسم الاسلام على شريعته صلى الله عليه وسلم ، لانها جاءت مهيمنة على جميع ما قبلها ، قال تعالى مخاطبا نبينا صلى الله عليه وسلم « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب** ـ يريد كل الكتب السابقة ـ « **ومهيمنا عليه** » آية ٤٨ من سورة المائدة ومعنى « **مهيمنا عليه** » أى رقيبا على كل ما سبقه من كتب الرسل السابقين ، يقر الحق ، ويظهر خطأ ما حرفوه ، ويغير ما لا يناسب العصور المقبلة الى يوم القيامة »

« **بغيا بينهم** » البغى تجاوز حد الانصاف الناشىء عن الحسد .

« **أسلمت وجهى** » أى انقدت مخلصا بظاهرى وباطنى لله لا اشرك به غيره .

« **ومن اتبعن** » اى انقاد مثلى من اتبعنى وآمن برسالتى .

« **الاميين** » الاميون هنا يراد بهم العرب ، لان كثرتهم لا تقرا ولا تكتب ، وكانت كتبهم هى صدورهم ، لا يكاد يغيب عنها شىء ، وسيأتى لكلمة « الاميين » معنى آخر فى آية ٧٥ من سورة المائدة نفسها عند قوله تعالى عن اليهود « **وقالوا ليس علينا فى الاميين سبيل** » فان المراد بالاميين هنا كل ما ليس يهوديا .

المعنى :

ان الدين الذى رضيه الله سبحانه وتعالى لعباده هو الاسلام الذى بعث الله تعالى به جميع الرسل ، وما اختلف أهل الكتاب من اليهود فى الدين بأن وحد بعضهم ، وكفر بعضهم ، الا من بعد ماجاء العلم على لسان انبيائهم وفى كتبهم الصحيحة ، بغيا وحسدا وقع بينهم ، لا لشبهة عرضت ، ولا برهان مما بين أيديهم ومما جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، ومن يكفر بعد تلك الايات والبراهين فسيلاقى جزاء كفره حتما ، وفى أقصر وقت لان الله سريع الحساب .

فان حاجك وجادلك فى الدين أيها النبى الكافرون بعد اقامة الحجة عليهم ، فأرح نفسك من جدلهم ، وقل قد انقدت ومن آمن معى لله وحده ، وقل للكتابيين والعرب هل أسلمتم بعد تلك الحجج أم ما زلتم على عبادتكم ؟ **فان اسلموا فقد اهتدوا** الى الحق ، ونجوا بانفسهم من العذاب ، وان أعرضوا عن الاسلام فلن يضرك اعراضهم لان الذى عليك هو البلاغ بما أمرك ربك بتبليغه ، وقد فعلت ، **والله بصير بعباده** : وسيجازى كلا بما يستحق .

الجريمة ٤٨ من جرائم اليهود

« كفرهم بآيات الله الدالة على صدق خاتم الرسل بعد قراءتها فى التوراة .. الى آخر ما نراه فى بقية الجريمة » .

قال تعالى : « **ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين** » . ٢١ ـ ٢٢ من آل عمران .

المفردات : « بآيات الله » التى رأوها فى التوراة تدل على صدق خاتم الرسل « **ويقتلون النبيين** » المراد ويقتل اباؤهم النبيين كما سيأتى فى الشرح « بغير حق » زيادة فى قسوة الجريمة لان قتل البرىء بشع ، وكونه نبيا ابشع ، وكونه بغير حق اشد بشاعة القسط ، العدل « حبطت » بطلت ، « فبشرهم .. الخ . التعبير بالبشارة مكان الانذار والازعاج باشد أنواع العذاب اسلوب عربى بليغ فى التهكم بالمتحدث عنه ، كأنه يقول ليس أمامه ما يستحق ذرة من سرور وانما الذى سيستقبله هو العذاب والشقاء ، وقطع أمله فى النجاة ومنه قوله تعالى : « **وبشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما** » آية ١٣٨ من سورة النساء « **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** » آية ٣ من سورة التوبة .

الشرح : ان اليهود الذين يكفرون بآيات الله التى قرأوها فى التوراة الدالة على صدقك أيها النبى ، ويقتلون انبياء الله الذين جاءوا لهدايتهم الى الصراط المستقيم وبما أن القرآن يتحدث عن اليهود فالموجود منهم فى عهده صلى الله عليه وسلم يسمعونه فالمراد تحذيرهم مما وقع فيه آباؤهم .

والدليل على ان الخطاب موجه لليهود الموجودين فى عهده صلى الله عليه وسلم انذارهم بالعذاب الاليم ولا انذار لغير الاحياء ، والمعنى قتل آباؤهم ، ورضوا هم فعلهم هذا فكأنهم اشتركوا معهم فى القتل فاستحقوا مثل عقابهم .

ومن جرائمهم على الجرائم أيضا أنهم يقتلون المصلحين من أمتهم الذين كانوا يأمرونهم بالعدل والاستقامة ، هؤلاء هم الذين بطلت كل أعمالهم ، فلم تنقذهم من القتل والاسر والطرد من الديار . وتقطيعهم فى الارض فرقا « انظر الاية ١٦٨ من سورة الاعراف ، وفى الاخرة ليس لهم من ينصرهم بمنع العذاب عنهم .

الجريمة ٤٩ من جرائم اليهود

« انهم لا يحترمون كتاب الله الذى جاء به رسوله وهو التوراة ويحرفون منه مالا يوافق شهواتهم » .

قال تعالى فى ذلك « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون . فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** » الايات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، من سورة آل عمران .

المفردات :

ألم تر .. الخ » أيها السامع والقارىء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب المراد بهم اليهود والكتاب هو « التوراة » « ثم يتولى .. الخ » عبر بحرف ثم الدال على تراخى حصول ما بعدها عما قبلها للدلالة على انه ما كان ينبغى لعلماء اليهود أن يحصل منهم ذلك ، ويستبعد منهم وهم الذين يعرفون من كتابهم أن خاتم الرسل على حق كما تقدم فى آية ٦٩ ، ١٤٦ من سوره البقرة .

الشرح : ألم تر . أى ألم تنظر وتعجب أيها السامع لحال هؤلاء اليهود الذين آتاهم الله حظا من علم التوراة ، واذا دعوا اليها لتحكم بينهم وبين خصومهم فيما اختلفوا فيه تولى فريق منهم وهم علماؤهم وأصحاب الرياسة فيهم ، وتبعهم العوام ، وهم مصممون على الاعراض ، وهذا اشنع احتقار لكتاب أكرمهم الله تعالى به ، وذلك أنهم لما قيل لهم كيف تكفرون بمحمد ، وصفته عندكم فى التوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فى دعواكم امتنعوا . وانما استحلوا كل هذه الجرائم لزعمهم أن النار لن تمسهم الا أياما قليلة هى أربعون يوما عدد أيام عبادتهم العجل وغرهم حتى ارتكبوا ذلك ما افتروه فى دينهم من الباطل الذى يوافق أهواءهم ، فعلى أى حال يكون هؤلاء الاشرار اذا جمعناهم للحساب يوم القيامة ووفى الله كل نفس ما كسبت من خير أو شر ؟

بقية مقال « تفسير سورة آل عمران»

وما يذكر الا أولوا الالباب

وتنتهى الاية الكريمة ،بأن الهداية فى نهاية الامر هى النعمة التى يسبغها الله على اصحاب العقول والقلوب المؤمنة الصادقة ، فلا يزيغون ولا ينحرفون ، ويفهمون من كل كلمة وحرف ما يزيدهم ايمانا بالله .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا

هذا السياق يحتمل وجهين فى نظر المفسرين ، فهو اما أن يكون حكاية عما يقوله الراسخون فى العلم بمعنى انهم يسلمون بالمتشابه كما انزله الله . ويسألون الله سبحانه وتعالى أن لا يزيغ قلوبهم ، أى لا يميلها أو يصرفها عن الحق بعد اذ هداهم واما ان يكون القول هو توجيه من الله عز وجل للراسخين فى العلم أن يتوجهوا لله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء ليحميهم من وسوسة الشيطان ، الذى ينتهز فرصة بعض الايات « المتشابهة » لكى يتسلل الى النفوس .

وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

بقية الدعاء الذى يقوله الراسخون فى العلم واما أن يكون تعليما من الله ابتداء ، فهم « أى الراسخون فى العلم » يعلمون أن الامر كله لله ، فيسالونه أن يسبغ عليهم الهداية والتوفيق برحمة منه ، فهو الوهاب الذى يهب النعم لمن يشاء ويسلبها ممن يشاء .

ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه

استمرار لدعاء الراسخين فى العلم اما ابتداء واما تعليما من الله عز وجل ان يكون هذا دعاؤهم ، ولقد قلنا من قبل وتقول ان الايمان بالاخرة بمعنى يوم القيامة وما يسبقه ويعاصره ويعقبه من أحداث تبدأ بالبعث والنشور مرورا بالحساب فالجزاء اما الى الجنة واما الى النار ، هو لب التدين وجوهره فبدونه لا يكون للايمان أى أثر فضلا عن فائدة ، ومن هنا كان العلم منتهى العلم ادراك هذه الحقيقة دون أن يعتورها أى شك .

ان الله لا يخلف الميعاد

وينشط المفسرون مرة أخرى ليتساءلوا هذه العبارة « ان الله لا يخلف الميعاد » هى استمرار الكلام السابق . أم انها بدء قول يقرر به الله سبحانه وتعالى « **انه لا يخلف الميعاد** » وعندنا أن كلتا الحالتين واحدة فالله سبحانه لن يخلف **الميعاد** .

دعوات الأنبيــاء

الدكتور أحمد الحوفي

« ١٠ » سليمان

طلب سليمان عليه السلام المغفرة من ربه ، وأن يهب له ملكا عظيم الشأن لا يتاح مثله لسواه ، لانه نبى وملك فى وقت واحد ، ولم يكن فى التاريخ نبى وملك غيره من قبله ولا من بعده .

فاستجاب الله القدير الوهاب دعاء عبده سليمان ، وغفر له ، ومنحه الملك الذى طلبه .

وانه لملك عجيب ، اذ أخضع له الريح تجرى بأمره كما يشاء ، ويمتطيها الى حيث يريد ، وأخضع له الجن ، يسخر بعضهم فى بناء الحصون والدور والمعابد ، ويسخر بعضهم فى صنع ما يشاء من محاريب وتماثيل وقصاع واسعة مثل الاحواض وقدور كبار ثابتة فى مكانها لا تنزل لسعتها . ويسخر آخرين ليغوصوا فى البحر فيستخرجوا اللآلىء ، وكان منهم أسرى له مصفدين بالاغلال طوع أمره .

قال تعالى : « **قال رب اغفر لى ، وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ، انك أنت الوهاب . فسخرنا الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** » .

« ١١ » زكريا

كان زكريا عليه السلام لا ولد له ، لكنه راض بقضاء الله ، فلما وجد مريم يرزقها الله ذلك الرزق العجيب أمل فى أن يرزقه الله ولدا ، وهو شيخ كبير السن وامرأته عجوز عاقر .

فدعا ربه الفعال السميع المجيب ان يهب له ولدا صالحا ، فلم يلبث أن خاطبته الملائكة بصوت سمعه وهو قائم يصلى فى محراب عبادته الخاص به وبمناجاته لربه ، وقالت له ان الله يبشرك بولد من صلبك اسمه يحيى ، وسيكون اول المصدقين برسالة عيسى ابن مريم وعلى سنته ونهجه - يحيى وعيسى ابنا خالة - وسيكون حليما تقيا عالما شريفا معصوما من الذنوب منيعا على الشهوات .

قال تعالى : « **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يامريم انى لك هذا . قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ، انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال رب أنى يكون لى غلام ، وقد بلغنى الكبر ، وامرأتى عاقر . قال كذلك الله يفعل ما يشاء** » « ١ » .

وقال سبحانه : « **وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا ، وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له . ووهبنا له**

---

١ - سورة آل عمران ٣٨ - ٤٠ حصورا : عفيفا منيعا على الشهوات

يحيى ، واصلحنا له زوجه ، انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » .

« ١٢ » خاتم الانبياء

اما خاتم الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام فقد دعا الله تعالى فأجابه ، واستغاث به فأغاثه ، وانتصر به فنصره .

١ - فحينما هاجر من مكة الى المدينة ومعه صديقه ابو بكر ، واختبأ فى غار ثور ، وتبعهما المشركون متلهفين على الظفر بهما ، مروا بالغار ، ووقفوا امامه ، وكادوا يرونهما ، حتى أن ابا بكر اشفق على رسول الله ، وقال له : ان تصب اليوم ذهب دين الله .

فقال له عليه الصلاة والسلام : « **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** » ؟ ودعا رسول الله ربه بقوله : **اللهم أعم أبصارهم .** فجعلوا يترددون حول الغار ، ولا يفطنون الى من فيه ..

قال تعالى : « **الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم** » .

٢ - وفى غزوة بدر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل الصفوف ، ثم رجع الى العريش فدخله ، ومعه ابو بكر الصديق ، وجعل رسول الله يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : **اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .**

وكان ابو بكر يقول له : يانبى الله ، بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجز لك ما وعدك « سيرة ابن هشام ٢ -٢٧٩ » .

ولقد استجاب الله دعاء رسوله ، فنصره نصرا مبينا فى تلك الغزوة ، مع قلة العدد وضعف العدد بالنسبة الى عدد قريش وعددها .

٣ - لما تأهب لفتح مكة ، وأعلم المسلمين انه سائر اليها ، وأمرهم بالجد والاستعداد ، دعا ربه بقوله : **اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها .** « سيرة ابن هشام ٤ -٣٩ » .

٤ - حينما رجع من ثقيف سنة ثمان ، قال له رجل : يارسول الله ادع عليهم . فقال : **اللهم اهد ثقيفا وات بهم .**

فحقق الله دعوته ، اذ قدم عليه وفدهم فى شهر رمضان سنة تسع « سيرة ابن هشام ٤ - ١٣١ ، ١٨٢ » .

٥ - حينما اشرف على خيبر قال لاصحابه : قفوا ، ثم قال : **اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الارضين وما أقللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها . اقدموا باسم الله .**

وكان يقولها لكل قرية دخلها « سيرة ابن هشام ٣ -٣٤٣ » .

فحقق الله عز وجل ما طلب رسوله .

٦ - وكان يقول وهو راجع من غزوة بنى لحيان : **آيبون ، تائبون ، ان شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الاهل والمال** « السابق ٣ -٩٣ وعثاء : مشقة . كآبة : حزن » .

٧ - وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : **اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن يسارى نورا ، وفوقى نورا ، وتحتى نورا ، وامامى نورا ، وخلفى نورا ، واجعل لى نورا** « فتح المبدى ٣ -٢٧٢ » .

ومنه قوله : **اللهم انى أعوذ بك من البخل ، واعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر .**

اللهم انى أعوذ بك من طبع « الطبع بفتح الباء سوء الخلق » **يهدى الى طمع ، ومن طمع فى غير مطمع .**

اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع « الاحياء ١ -٢٩٠ » .

وقوله : **اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج ونق قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض منه وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب .**

ومن الدعاء الذى علمه ابنته السيدة فاطمة : **ياحى ياقيوم ، برحمتك أستغيث ، لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله .**

ومن الدعاء الذى علمه السيدة عائشة : **قولى اللهم انى اسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم .**

وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم .

وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل .

وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل .

وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد .

وأسألك ما قضيت لى من أمر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين « الاحياء ١ -٢٨٤ » .

٨ - ثم امره الله تعالى بتسبيحه واستغفاره وشكره فى قوله : « **اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك ، واستغفره ، انه كان توابا** » .

فأمره أن يدعو ربه مستغفرا ليكون مع عصمته قدوة لامته ، ولان الدعاء والاستغفار عبادة ، قال تعالى : « **واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما** » .

خصائص القصة القرآنية

الأستاذ فتحي رضوان

ان خاصية الايجاز المعجز ، فيما اورده القرآن الكريم من أنباء واخبار واحاديث الرسل والامم القديمة والايام الغابرة ، من الخصائص الجديرة بأن تلفت نظر الدارس ، وان يطيل التأمل فيها ، ثم الكلام عليها .

فالانسان منذ بدأ يعبر عن نفسه باللفظ والاشارة المرسومة والاشياء المصنوعة كالعصى والعرائس ، وهو يلقى فى محاولة التعبير صعوبة ومشقة وعناء ، لا يشبهها الا محاولة الطفل فى نطق الحروف والكلمات . فالطفل : هو فى واقع الامر ، الانسان البدائى ، فى تصوراته وقدراته ، ومخاوفه ومطامعه ومطامحه . ولما كانت محاولات الانسان الاولى ، فى الافصاح عما يخالج نفسه ، ويساور عقله ، غير مبينة : لانها صادرة عن عاجز يحاول أن يستكمل أدوات العمل الذى يباشره ، فقد كان مهم ما يقوله الانسان ، شاقا ومضنيا ، وعسيرا . ولذلك كان هدف الانسان المعبر بالكلام أو بالصورة او بغيرهما أن يكون تعبيره واضحا ، وان تكون الاحاطة به ميسورة . وكان هدف الانسان السامع أو القارىء أو المشاهد ، أن يتقن تلقى ما يصدر عن سواه ، وأن يحل رموزه لنفسه . وقد نجم عن هذين الجهدين المتبادلين ، أن أصبحت محاولة التعبير اتية بمحاولة اقتناص الفريسة ، حيوانا كانت ، أو طائرا . فالصائد الماهر ، يصيب هدفه بطلقة ، كذلك المعبر الماهر يصيب غرضه بلفظه . أما الصائد المتعثر أو الفاشل ، فما أكثر ما يطلقه من قذائف ، وما أقل ان تصيب قذائفه أهدافها . وقد أسفر هذا كله عن قاعدة جملتها ، ان الفن ، سواء كان تعبيريا أو تشكيليا ، أى أدبا أو رسما أو نحتا أو لحنا ، هو الاقتصاد ، لان الاقتصاد فى وسائل التعبير معناه أن الفنان متمكن تماما ، من فنه ، وانه جود استعمال وسائله ، وأدواته ، فأصبح قادرا على أن يقتنص فكرته ، ويقدمها للاخرين ، بأقل القليل من الجهد ومن المادة المستعملة .

ونحن نقف أمام المصور البارع ، فيتولانا العجب ، حينما نراه قادرا ، بخطين أو ثلاثة ان يبرز الشكل المطلوب ، وجها أو شخصا أو شيئا ، كما تتولانا الدهشة ، حينما نرى النحات ، يدير فى يده ، قطعة الصلصال ، ثم يفتح يده ، فاذا نحن أمام تمثال لا تنقصه الا اللمسات التى تزيده كمالا وان كانت لا تزيده وضوحا .

فالقائل أو الصانع أو الفنان المتمكن من أصول عمله ، لا يحتاج الا الى القليل من المادة والجهد ، لينتج أحسن ما ينتجه القائلون والصانعون والمبدعون ، ومن ثم فقد قال الله تعالى عن ذاته : « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما وما مسنا من لغوب » وقال أيضا : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » والقائل الذى يسرف فى القول ، ويقدم له المقدمات ، ويملؤه بالحواشى ، والجمل الاعتراضية ، ويضع فى سبيل سيره المتدفق ، العوائق والموانع ، هو رجل لم تسلس له اللغة قيادها ، ولم يواته الفكر ، بالصور والخواطر ،

الواضحة النقية . فالامور عنده مختلطة ، والافكار مشوبة بالخلط والاضطراب ، والالفاظ التى يختارها ليست هى الالفاظ التى تحمل الى الناس أفكاره ، لانه لا يقع على اللفظ المناسب ، ولا يكون من الالفاظ الجمل التى تترك فى النفس الاثر المطلوب .

ولما كان لله المثل الاعلى ، فقد جاءت الانباء والاخبار والاحاديث فى القران الكريم ، نموذجا من نماذج الايجاز الذى تخرج الجمل منه : قصيرة غاية القصر ، سريعة غاية السرعة ، ومن ذلك فمليئة بالوقائع ، من جهة ، وفياضة بالحركة من جهة أخرى .

وقد يحسب بعض الذين لم يكابدوا مشقات القول الملفوظ أو المكتوب ، أن الاختصار عملية سهلة ، لانها لا تعدو أن تكون حذفا أو تحفظا من الوقائع ، والحق أن الحذف سهل ، لكن على الا يقع الحذف على عضو من أعضاء الجسم ، فيتركه أبتر ، أو مشوها ، فالمثال الذى يود الاقتصاد فى الجهد والمادة ، فيستبعد من التمثال ذراعيه او احدهما ، انما يقدم عملا قبيحا ، والمطلوب ان يكون العمل جميلا وهو عمل ناقص . فوق ذلك - ولا يطابق الواقع . فعملية حذف الزوائد ، والحواشى من القول ، عملية تحتاج الى مهارة الجراح الذى يزيل هذه الزوائد من الجسم ، دون أن يتحيف الجسم نفسه فيضعفه ان لم يقتله .

وقد اخترت حديث موسى فى القرآن الكريم ، فى السور الاربعة الذى جاء فيه أكبر عناصر الحديث ، وهو سورة : الاعراف ويونس وطه والشعراء والقصص ليكون مجالا لدراسة ظاهرة الايجاز فى القرآن بعامة ، والقصة والخبر فى القرآن بخاصة .

فى سورة القصص ، يقول الله تعالى عن فرعون فى أيتين أو ثلاثة :

« ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين » .

وفى هذه الكلمات القليلة تمت سورة الحكم فى ظل « فرعون » الذى جاء الكلام فى حقه ، فقد عظمه مقامه فى الارض ، فعلا على الناس ، فأوقع بينهم الفقر ، بأن جعلهم فرقا ، منهم من يقربه ، فيقربه بالاستعلاء على غيره ، ومنهم من يبعده ويحرمه من رعايته ، فيكون هدفا لعدوان المقربين ، ثم يذبح الرجال من فريق الاقوياء ، ويستبقى النساء ، الجميلات ليكن خطايا وسبايا .

ثم يأتى حديث موسى ، فيكون على الوجه التالى فى السورة ذاتها :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ، واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لاخته قصيه ، فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فرددناه الى أمه ، كى تقر عينها ولا تحزن ، ولتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون »

فى هذه السطور القليلة ، التى لم تزد بخط كاتب هذه السطور عن العشرة ، والتى وردت فى سبع آيات قصيرة من سورة القصص ، روى القرآن الكريم ، أحداثا هائلة غريبة فى حياة نبى ، كان لتاريخه وتاريخ الدعوة التى جاء بها أثر أى أثر فى تاريخ البشريه ، وقد اوردتها التوراة التى بين يدى اليهود والمسيحيين فى صفحات ، وعنه ننقل لك مجملها ، كما أورده المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الانبياء قال :

« فى أثناء تلكم الايام العاصفة التى مرت ببنى اسرائيل كان رجل عبرانى يقال له عمران « عمرام بالعبرى » بن ماهت لاوى بن يعقوب عليه السلام ، قد تزوج من عمته يوكابد بنت لاوى كما هو مقتضى الايه ٧٠ من الاصحاح الثانى من سفر الخروج ونصها : واخذ عمران يوكابد زوجة له فولدت هارون وموسى ، وطاولته خبأته من عيون من يطلبون بنى اسرائيل لقتل ذكرانهم ، فمكث عندها ثلاثة أشهر فلما خافت افتضاح امرها اعلمها الله تعالى وحيها ان تصنع له مايشبه الصندوق وتطليه بالحمر « بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة - القطران والزفت وتلقيه فى اليم . ففعلت وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه ، وكان الله تعالى أنه راده اليها ، وجاعله من المرسلين ، فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه التقط وادخل دار فرعون . وأن عين زوجة فرعون » فى سوراه أخته ، فالقى الله عليه محبتها ، فاستحيته ، وابونه ليكون قرة عينها وعين فرعون .

والله تعالى زهده فى المراضع فلم يقبل ثدى احداهن رحمة منه تعالى بأمه ، وكانت أخته تقص أثره وتتبعه أينما سير به حتى رأت اعراضه عن الثدى ، فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امراة عبرانية ، ترضعه وتكفله ، وتكون له ناصحة مشفقة تقوم مقام الام وكان اسمه أخته مريم .

وذكر المرحوم الشيخ النجار وجوه الخلاف بين

رواية هذه الواقعة ، أو الوقائع ، فى التوراة ، وروايتها فى القرآن فقال :

وقد ذكرت التوراة قصة ولادة موسى ! رضاعه أولا ثم صنع سفط له ، وطلاءه بالزفت والقماءه ، وخرجت ابنة فرعون ومعها جواريها الى شاطىء النهر وانها نزلت تعتسل فعثرت على السفط الذى فيه موسى لانه رأته بين الحلفا فأمرت جواريها فاتين به اليها فعلمت انه عبرانى واحبته . وللحال عرضت عليهم مريم اخت موسى ، ان تاتيهم بأمها لترضعه ، فبعثتها فى ذلك فعادت بها وناطوا بها ارضاع موسى وتربيته .

فاذا أردت أن تحصى الوقائع الكبيرة التى احتوت عليها هذه الالفاظ القليله لوجدتها .

١ - الايحاء الى أم موسى ان ترضعه .

٢ - فان خافت عليه تلقيه باليم .

٣ - التقاط آل فرعون - ليكون لهم عدوا وحزنا .

٤ - ميل زوجة فرعون الى موسى وامرها ألا يقتلوه .

٥ - قلق أم موسى خوفا كاد يفقدها ضبط النفس ويدعوها الى اظهار الحقيقة التى حاولت اخفاءها بالقاء ابنها فى النيل .

٦ - أمرها لابنتها أن تتابع سير الصندوق فى النيل ، لتعرف مصيره .

٧ - تنفيذ أخت موسى أمر أمها ، ومراقبتها للصندوق عن بعد ، وكأنها لا صلة بينها وبينه .

٨ - اطمئنان أخت موسى الى مصيره اذ علمت أنه لن يصيبه شر ، فقد أحبته زوجة فرعون ، وأمرت فتشجعت فى ظل هذا الحب ، ودخلت الى قصر فرعون ، فلما علمت ان اخاها يأبى أن يرضع من ثدى المراضع اللائى احضرهن له ، اقترحت عليهن أن تحضر لهم امرأة تتولى ارضاعه .

٩ - قبول آل فرعون ، ما اقترحت اخت موسى ، وذهابها الى بيتها لتحضر أمها ، وحضور امها بالفعل ، وتسلمها الطفل ، أى اتمام بشرى الله تعالى ، برده اليها .

وهذه الوقائع وردت فى سورة طه ، فى آيات أكثر ايجازا ، فقد قال الله تعالى :

« اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن أقذفيه فى التابوت ، فاقذفيه فى اليم ، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له . وألقيت عليك محبة منى ، ولتصنع على عينى ، اذ تمشى أختك فتقول هل ادلكم على من يكفله . فرجعناك الى أمك ، كى تقر عينها ولا تحزن » .

وأول ما يستوقف نظر القارىء لهذا الحديث ، سواء فى سورة القصص أو فى سورة طه ، أنه عرضه ، مباشرة ، بلا تمهيد ، يعرفنا بأبطال وقائعه ، فموسى يذكر - كما مر القول - دون ان يصحب اسمه اى تعريف به ، أو تحديد لشخصه ، أو اشارة الى موطنه او الى زمانه ، كما لا تظفر امه ببيان يطلعنا مكانتها الاجتماعية كذكر وظيفة زوجها أو عمله بل ولا سنها ولا سنه ، ثم تبدأ الروايه ، بواقعة مثيرة للانتباه ، محركة للشعور ، لا يستطيع القارىء أو السامع بعدها ، انّ يتابع ما بعدها بفتور أو تراخ : **« وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ، ولاتخافى ولاتحزنى ، انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .** واذا أحصينا الوقائع التى تزاحمت فى هذه الكلمات ، بدت لنا صورة أم ، قلقه وطفل ، تاثر بقلق أمه ، فبكى ، فكان لابد أن ترضعه امه ، لتتم لكل منهما السكينة ، فوضع الطفل ثدى أمه فى فمه ، يبعث فيه طمأنينة ، وشعورا بالامن ، ويصرف عنه قلقه ، والام بدورها حينما تحتضن طفلها بين ذراعيها وتسلمه ثديها وتراه يرضع تحس بان الدنيا دانت لها ، فانها تملك أغلى ما فيها ، فتحس الى جانب الطمأنينة بالشجاعة ، فاذا انتقلت من حالة القلق الى حالة السكينة والهدوء والثقة جاز أن تؤمر باقصى ما تؤمر به أم . تؤمر بأن تنزع طفلها منها ، بيدها وبرضاها ، وبارادتها . وهذا قرار تتزلزل له نفس الام ، ولو لم تكن امه عبرانية ، فى ظروف تهدد كل قومها ، وهو أجدر بأن تتداعى له نفسها فى تلك الظروف المدلهمة ، والامر لا يقف عند حد انتزاع طفلها منها ، بل انه يتجاوز ذلك الى القاء هذا الطفل فى اليم . ولاتقوى ام على الاقدام على هذا العمل كله ، لولا ان أمر الله يتداركها بألا «تخافى ولا تحزنى » . ولولا ذلك لما استطاعت أن تنفذ ما ساور خاطرها ، كعمل للنجاة بابنها من الموت ؟ ولكن كملت سكينة هذه الامة الممتحنة ببشريين اولهما : انا رادوه اليك أولا . وجاعلوه من المرسلين ثانيا : وبعد ذلك ، لايصبح القاء موسى فى الماء ، شيئا مفزعا ، وينتفى كل تردد . كل هذه الحوادث الضخام جاءت فى هذه الالفاظ المعدودة ، وعلينا ان نتبين مايلى :

أولا - أن الايجاز المذهل فى ايراد الوقائع لم يأت على حساب شىء فيها ، فلم يحذف منها شىء ، ولم يرد منها بعضها ، محفوفا بالغموض ، او مقترنا باللبس . بل نطق فيها يؤدى معناه مباشرة ، بحيث لا يعيا احد فى فهمه . فالامر بالارضاع واضح ولا يختلف فيه اثنان . والامر بالالقاء فى الماء ، بين ، تفهمه هذه المرأة الساذجة كما فهمه علماء التفسير واللغة والمستشرقون بعد أن نزلت هذه الالفاظ فى أربعة عشر قرنا متصلة لم يكف الناس عن قراءتها والتأمل فيها ، وتأويلها .

والامر بعدم الخوف وبعدم الحزن . أمران جليان

ولكل منهما دوره لعدم الخوف ، شيء غير عدم الحزن ، فقد لا يكون الانسان خائفا من مجهول يتوقع حدوثه ، ولكنه يحس الحزن لامر وقع بالفعل وقد لا يكون الانسان حزينا ، ولكنه يجوز أن يكون مضطربا مشفقا من أحداث تأتى بها الايام . والله ينفى عن أم موسى الشرين .

ثم تأتى البشرى الاولى بأن موسى عائد اليها . والثانية بان الله سيصطفيه من المرسلين . ولا تدرى ام ، مهما كان نصيبها من الثروة او المكانة ، اى الامرين ، يزيدها فرحا . فعودة الطفل الى أمه ، شيء يعلو على كل جاه ومجد . واختياره للنبوة ، فوق ما تستطيع المرأة ، أن نجد له الفاظا تشكر به الله تعالى عليه . أو مشاعر بالعرفان والتحدث بالنعمة ، تفى بهذا القصص العظيم » .

فالاختصار هنا ليس مجرد حذف ، وانما هو اختيار محكم لالفاظ قليلة غاية القلة ، بسيطة غاية البساطة ، ولكنها مؤدية للمعنى ، محفوفا ومشمولا بكل ملابساته العاطفية والوجدانية .

ولقد قالت اعرابية ان هذه الاية هى من ابين دلائل المجاز فقد اشتملت على امرين « ارضعيه - والقيه فى اليم » ، وعلى نهيين : لاتخافى ، ولاتحزنى . وعلى بشريين : انا رادوه اليك . وجاعلوه من المرسلين .

ولو جاز لنا أن نحاول تقريب المعنى الذى نريد أن نوضحه ، لقلت انا لو فرضنا ان هذه الحادثة وقعت فى مكان ما من الارض هذه الايام ، واراد مراسل جريدة ان يبرق به باقل الالفاظ ، لكتب سطورا وراء سطور لينقله الى قرائه فى انحاء العالم ، ولما استطاع ان يضم الى سطوره ، ايحاءات الالفاظ ، ومشتملات المعانى ، كما فعلت هذه السطور الربانية ، على الرغم من ان صناعة هذا المراسل هو الابراق بالاخبار الكبيرة ، فى أقل الألفاظ ، فهو يمارسها مرات فى اليوم ، ولكن هذا بشر وذلك من عند الله .

فاذا انتقلنا الى الصيغة الواردة فى سورة طه ، الفينا خاصية الايجاز أكثر وضوحا ، ومع ذلك بقيت الوقائع هى هى لم تنقص .

« اذ أوحينا الى أمك ما يوحى ان أقذفيه فى التابوت ، فاقذفيه فى اليم ، فيلقه اليم بالساحل . يأخذه عدو لى وعدو له والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى » .

احصى الوقائع الواردة فى هذا النص وقارنها بالوقائع بالنص الوارد فى سورة القصص ، وستراها ، كما قلت ، نفس الوقائع ، وان خيل اليك لاول مرة ، ان هناك اسقاطا لبعض الوقائع فالوحى لام موسى بوضع ابنها فى صندوق ، وبالقاء الصندوق فى النيل ، ثم وصول هذا الصندوق بفعل الماء الى الساحل ، ليلتقط ، ثم لا يصيب الطفل الموجود فى الصندوق شر مطلقا ، وذلك بفضل ما يبعثه فى قلوب رائيه وملتقطيه من الحب الذى افاضه الله عليه .

وباقى النص فى مثل النص السالف تماما وكمالا ، ووضوحا وابانة .

« اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله ؟ فرجعناك الى أمك ، كى تقر عينها ولا تحزن » .

وبهذا الايجاز يحقق كتاب الله الكريم كل ما يريده . فانه يريد ان يتصل بعقل قارىء القران او تاليه او سامعه ، حقائق معينة بالذات ، تنير هذا العقل ، وتبعثه على التامل فى حياة نبى من أنبياء الله ، وما عرض الله منذ ولد ، لمصائب ومخاطر تكاد تودى بحياته ، فاذا به ينجو منها ، ويعلو عليها ، وببساطة ليس فيها شيء يخالف المألوف او المعقول ، فان تحب امرأة - لعلها لم تنجب الذكور - طفلا ذكرا امر يتوج الطبيعة ويسايرها ، ولا يخالفها ولايصطدم بها ، فاذا كانت هذه المرأة هى التى ضرب الله بها المثل للمؤمنين : **« وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون »** فلا غرابة ان تكون مطبوعة على الرحمة والرفق ، وان تكون رحمتها قد حفزتها الى استبقاء هذا الطفل الذى كانت ترفعه الامواج الى مصير مجهول ، ولا شك أن موسى عليه السلام ، هو ابن يهودى ناصع البشرة ناعم الشعر على عكس أبناء المصريين ذوى الوجوه السمراء والشعر الخشن كان جميل الطلعة ، صحيح البدن يبدو فى أعين المصريين جديرا بالاعجاب .

وقد استطاع موسى بهذه النجاة ، أن يبقى على قيد الحياة ، ثم يبقى فى قصر فرعون ، لترى كيف أصبح اثيرا الى فرعون ، حبيبا اليه ، لا ينتقل الى مكان الا كان معه .

وتتواصل وقائع هذه القصة الضخمة بنفس الايجاز ، وبساطة الفاظها ، ووضوح معانيها ، لتبقى القصة القرآنية ، أوماجاء فى القرآن ، من الانبياء والاحاديث ، متفردا بهذه الخاصية ، بين آثار الامم القديمة والوسيطة ، ليكون هذا الاسلوب فى الاقتصاد ، فى استعمال مادة التعبير ، وفى اختيار اللفظ القليل الموحى والمعبر عنوانا على حياة المسلمين فى كل نواحيها ، القليل المثمر ، الخالى من الفضول والزوائد ، المتسامى عن الثرثرة الضارة ، والاسراف المهلك ، الذى يحل محله ، سيطرة كاملة للحياة ووسائله ، وتجويد ، فوق ما الفه الناس ، لكل عمل يباشره المسلمون ، ثم ينعكس هذا كله على فن المسلمين ، فى البناء والرسم والتصوير والنقش والزخرف ، فيكون فنا نسيج وحده ، يبلغ فى التجريد اقصى الغاية .

والحديث موصول باذن الله

العلم فى القرآن

وفى السماء رزقكم وما توعدون

الدكتور / أحمد حسنين القفل

– ٢ –

أيها الانسان : هل فكرت قليلا فى الماء وهذا وضعه بالنسبة للحياة ، كيف أن الله وهبه لك مجانا وبدون مقابل ، وكيف ان الله حمله اليك من بعيد ، وجمع قطراته أنهارا ، ليكون من الكثرة بحيث يسد أضعاف أضعاف احتياجات البشر ، اذا هم خططوا للانتفاع به ، والتزود منه .

هل يمارى أحد بعد ذلك فى أن الماء هو « الرزق » وأن هذا الرزق يهبط علينا من السماء « السحب » أمطارا ، ومن ثم ، فان الحياة نفسها ماكانت لتكون على ظهر هذه الارض الا بهطول هذا الماء . وان كل ما تقع عليه عين الانسان من انواع النبات وصنوف الحيوان ماكانت لتكون ، وما تيسر لها أن تواصل الحياة الا بوجود الماء ..

وليس هناك ريب فى أن الانسان رزقه وحياته منوطة بهذا الماء فطعامه وشرابه ، ومأكله وملبسه ، وكل انشطته فى الحياة منوطة بذلك . وعلى الانسان أن يدرك ذلك تمام الادراك ، عليه ان يدرك هذه الحقيقة ادراكه لسماع صوته أو صوت غيره عند النطق ، ادراكه لسماع كلامه عند تحريك لسانه . والحق تبارك وتعالى يقسم بنفسه سبحانه فى تبيان هذه الحقيقة قبل ان يدركها العلم فيقول سبحانه :

« وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والارض انه لحق ، مثل ما أنكم تنطقون » .

هذا هو الحق من الله الحق ، سبق فيه القرآن علم العلماء ، والله فوق كل ذى علم عليم .

واذا علمنا أن « الطاقة التى يستخدمها الحيوان والانسان ، يستمدها من « طاقة » مخزنة فى النبات الذى لايستطيع بدوره تخزين هذه الطاقة بدون وجود الماء مع المادة الخضراء المسماة باليخضور « الكلوروفيل » واللذين بهما معا يتم تخزين الطاقة فى النبات نتيجة لعملية « البناء الضوئى » أو « التمثيل الضوئى » . اذا علم الانسان ذلك لادرك على الفور ان كل نشاط حيوى يجرى على ظهر هذه الارض ، لابد أن يكون أساسه قطرة الماء من السماء . يقول الحق تبارك وتعالى :

« الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، فاذا انتم منه توقدون » .

والفت نظر القارىء الكريم الى التدقيق فى لفظ « الاخضر » الذى يشير الى اليخضور .

ولفظ « نارا » الذى يشير الى الطاقة . فسبحان من سجل هذا العلم الدقيق فى قرآنه وما عرفه عقل الانسان ووعاه الا حديثا، وحديثا جدا .

وشاءت حكمة من خلق الارض ، وقدر فيها أقواتها ، أن يجعل المساحه المشغوله بالماء الاجاج اضعاف أضعاف مساحه اليابسه . وما كان ذلك الا لشىء يراد ، وبحكمه تتصل بحياة الاحياء جميعها من انسان وحيوان ونبات . ذلك لان اتساع رقعه الماء الاجاج فى البحار والمحيطات على هذا النحو ، يجعل الماء يتبخر بقدر كبير يكفى لمتطلبات الحياة على اليابسه . ومن ثم ، فلم تكن صدفه أن يتكون سطح الارض من ماء ويابسه على هذا النحو — ولم تكن صدفه ان يكون تبخير الماء بهذا القدر ، بل كل ذلك محسوب ومقدر ، ولله فى ذلك حكمته . يقول الحق تبارك وتعالى »•

« أنزل من السماء ماء ، فسالت أودية بقدرها » .

« وان من شىء الا عندنا خزائنه . وما ننزله الا بقدر معلوم » .

« والذى نزل من السماء ماءا بقدر ، فانشرنا به بلده ميتا ، كذلك تخرجون » .

« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ، ولكن ينزل بقدر ما يشاء ، انه بعباده خبير بصير . وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا . وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد »•

ومن فضل الله على الناس ، أن جعل دورة المياه فى الطبيعه ، فى صورة بخار يصعد من اسطح المياه المالحه الى طبقات الجو العليا « السماء » حيث يتجمع سحبا ، يسوقه الله كيف يشاء الى حيث يشاء ليوزع هذا الرزق فى ارض الله ، وبين عباد الله ومخلوقاته بالطريقه والكيفيه اللتين شاءت حكمته سبحانه أن تكونا عليهما . ومن المطر الهاطل من السماء تتكون الانهار او يستخدم مباشره لانبات الزرع ، أو يلج فى الارض ليكون مصدرا للعيون والابار وقد جعل الله مثل هذا الماء « معينا » أى قريب المنال لينتفع به الانسان وقت حاجته ، فوق انتفاعه بالمطر مباشرة أو متجمعا فى الانهار ونحوها .

أيها القارىء الكريم تدبر بامعان قول الله تبارك وتعالى :

« قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا ، فمن يأتيكم بماء معين » او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا » .

« الله الذى يرسل الرياح ، فتثير سحابا ، فيبسطه فى السماء كيف يشاء ، ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلاله ، فاذا أصاب به من يشاء من عباده ، اذا هم يستبشرون . وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين »•

« ألم تر ، أن الله يزجى سحابا ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاما . فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » .

« والله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا ، فسقناه الى بلد ميت ، فاحيينا به الارض بعد موتها ، كذلك النشور » .

« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، حتى اذا اقلت سحابا ثقالا ، سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء ، فاخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » .

« وانزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه فى الارض ، وانا على ذهاب به لقادرون . فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب ، لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون . وشجره تخرج من طور سيناء ، تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » .

أيها القارىء الكريم ، أنظر حواليك ، فى كل اتجاه ، فلن تجد طعاما يؤكل ، أو شرابا يشرب ، أو حيوانا يتحرك ، او نباتا ينبت وينمو ، الا والماء اساس له ، وأصل فيه . والماء اساسا من السماء ينزل مطرا ، ومن هنا فقد كناه الله فى قرآنه « بالرزق » تارة كما سبق القول ، كما كناه أيضا « بالطهور » و « بالمبارك » . يقول سبحانه :

« وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، وأنزلنا من السماء ماء طهورا ، لنحيى به بلده ميتا ، ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا » .

« ونزلنا من السماء ماء مباركا ، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا : كذلك الخروج »•

هل لاحظ القارىء الكريم فى الايات السابقه :

أ ـ أن الله قدم الانعام على الاناس ، ذلك لان كثيرا من الناس ، ينعمون بنعمة الله حتى أذقانهم ، ومع ذلك فهم يكفرون ولا يشكرون ، فمثل هؤلاء تفضلهم الانعام وتتميز عليهم . وفى الحديث ما يشير الى أن هؤلاء الناس « لولا البهائم لم يرزقوا » .

ب ـ أن البركة هى سر من أسرار الله سبحانه ، يضعها فى الشىء ، فاذا بفائدته وخيراته تفوق قليلا أو كثيرا جدا أضعاف ما ينتظر منه . فطعام الواحد قد يكفى عشرة ، وقس على ذلك . وحين يبارك الله فى ماء يهديه الى قوم ، فانه يبارك فى محصولاتهم وحيواناتهم وبالتالى فى أنفسهم . فتبارك الله رب العالمين ، هل يدرك كل انسان على ظهر الارض ، الغنى والفقير على سواء ، أن رزقه معلق بين السماء والارض ، فى صورة قطرة ماء ، يملكها الله ولا يملكها الانسان ، ان شاء بسطها الله له وبارك له فيها فكثرت واغدقت ، وان شاء كفها عنه فقدر عليه رزقه ، وكل هذا لحكمة يراها الخالق ولا يدركها المخلوق . يقول سبحانه :

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ».

«الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، ان الله بكل شيء عليم . ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون .

واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم ، اذا هم يقنطون . أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون .

قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين .

أولم يعلموا ، أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون .

له مقاليد السموات والارض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه بكل شيء عليم » .

والان ، ما هو موقف الغنى الذى بسط الله له فى الرزق ؟ وماهو موقف الفقير الذى قدر عليه رزقه ؟ الاجابة فى حديث مؤداه « لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء » فلو علم الغنى واسع الثروة أن رزقه الواسع معلق بخيط ، ولو علم الفقير أن رزقه الضيق أيضا معلق بنفس الخيط ، وأن الخيط هنا فى الحالتين هو قطرة الماء التى تنزل من السماء ، وان الله قادر على أن يقطع هذا الخيط فى أى لحظة شاء . لو علم الغنى والفقير كلاهما هذا الامر وتيقنا منه ، لما طغى غنى ان صار غنيا ، ولما حزن فقير أن صار فقيرا . ولوتيقن الغنى من ذلك وعلم أن المال لله وأنه مستخلف فيه فادى واجبه نحو الفقير الذى يصاحبه ، لسعد الاثنان معا ، ولما كان فى الارض محروم ولا جوعان ، ولما حقد فقير على غنى او تمنى زوال نعمته لان له فيها نصيب مفروض . ولما تكاثر المترفون بالاموال والاولاد فذلك متاع الحياة الدنيا . والحوار بين « قارون » وقومه ومن بينهم « الذين يريدون الحياة الدنيا » و « الذين أوتوا العلم » و « الذين تمنوا مكانه » وهذا الحوار يحل مشكلة الغنى والفقر . تدبر قول الله تعالى عن قصة « قارون » :

« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندى . أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون » .

وهب أن غنيا يملك أحمالا من الذهب وكنوزا ، ثم انقطع عنه الماء ، عن أرضه وحيواناته ونفسه ، فماذا هو صانع بهذا الملك العظيم ؟

هذا وان الشكر لله والاعتراف بنعمه يؤديان الى سعة الرزق ، اما الكفر والبطر فانهما يؤديان الى زواله أو اضمحلاله .

١ ـ وقد يكون ذلك على مستوى البلد برمتها وبكل أهلها ، كما حدث لاهل سبأ . يقول تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور » .

٢ ـ وقد يكون ذلك على مستوى الافراد . كصاحب الجنتين فى سورة الكهف وأرجو من القارىء الكريم أن يقرأ الايات ، ٣٢ حتى ٤٣ من هذه السورة .

٣ ـ وقد يكون ذلك على مستوى الاسرة كالحال فى أصحاب الجنة المذكورة قصتهم فى سورة « ن » وللقارىء الكريم أن يقرأ الايات « ١٧ حتى ٣٢ » .

واخيرا ...

هل تتصور أيها القارىء الكريم ، أن قطرة الماء ، تلك التى تنزل من السماء ، قد جعلها الله سلاحا ينتصر به المؤمن فى المعركة من عدة وجوه . اقرأ معى قول الله العلى القادر عن المؤمنين المحاربين فى غزوة بدر ، يوم كانوا قلة بلا سلاح وكان المشركون كثرة مع سلاح وعدد . يقول سبحانه :

« اذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ، ويثبت به الاقدام » .

ولنتأمل نحن المسلمين ، أليس الذى جعل النعاس والماء « المطر » سلاحين للنصر فى غزوة بدر ، قادر على أن يطور سلاحه كما يطور الكافرون سلاحهم حاليا وفى كل عصر بلى انه قادر ، ولكن الشرط هو قوله تعالى :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره » .

فاذا رجع الناس الى الله معدين لعدوهم ما استطاعوا من قوة . فان الله لا يخذل عبده أبدا .

والله تعالى أعلم .

قضايا فكرية

في

فهم العربية

الدكتور محمد بدري عبد الجليل

لقد حدد القدماء للمجاز علامات وامارات ومعايير بما هى طرق اثبات للتجوز حرص القوم على تسجيلها ضبطا للظاهرة وكانت هذه العلامات نوعين :

احدهما : النقل عن أهل اللغة وذلك بأن يقفنا أهلها على أنه مجاز ومستعمل فى غير ما وضع له كما وقفونا فى استعمال الاسد للشجاع دون الابخر والحمار للبليد دون صحيح الجسم فكان النزول على مقتضاها وهو التنصيص لدى الرازى فيما ينقله السيوطى ويشير اليه الشوكانى ، وهو الوضع اللغوى أو العرف اللغوى،فاذا ما كثر الاستعمال المجازى صار حقيقة عرفيه ينسى بها الاصل مثل الندى للمعروف ثم كثر حتى صار العشب ندى والوغى هو اختلاط الاصوات فى الحرب ثم كثرت وصارت الحرب وغى .. ومن ثم كان فى أحكامهم تعويل على الشهرة والذيوع والاعتياد فى العرف وهو ما لحظه الامدى فى الموازنة وابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة والرازى فى أساس التقديس ذلك ان مسألة تقسيم المدلول الى ما هو حقيقة يراد بها اداء الفكرة أداء يسيرا يصل الى الذهن عن أقرب طريق وأقصر سبيل والى مجاز يلاحق تغير المعانى واختلافها ويساير ألوان ما يخترع وضروبه ويعنى بمطالب الفكر من الارتقاء والتدرج معه تعتمد أساسا على التطور الزمنى للغة وحتى ذلك اللفظ المجازّ لا يظل مجازا على طول الزمن وانما يعرض له أن يكون حقيقة متعارفا عليها فى بيئة من البيئات او لهجة من اللهجات ، ومتى استقر فى البيئة مدلوله وتحدد معناه عاد الى ما كان عليه أولا من تسميته بالحقيقة مقيدة بعرف هذه البيئة وتواضعها ، والبحث عن تلك المجازات المنسية أمر ليس باليسير .

وللعرف مكانه هو الذى جعل الامام الشافعى يتحول من قديم بالعراق الى جديد بمصر وهو الكاشف عما أسرف فيه ابن تيمية فى عرض مسائل الطلاق وتشعبها فى المسائل والاجوبة مما له على انفلات المجتمع دلالة أو على تعدد حاجاته اشارة ، وهذا بين أيدينا فمجتمعنا اليوم لغة دالة عليه اذ نجد « انه ولد » اعجابا ، واذا ما اشتد هذا الاعجاب فهو « حتة ولد » .. و « ابن جنية » دلالة على الذكاء كما كان هناك عبقرى وغيره مما حملته المرويات فى مخالفة ظاهر اللفظ معناه كقولهم عند المدح قاتله الله ما أشعره اذ لا يراد شىء من ذلك ، ومنه هوت أمه وهبلته وثكلته تعجبا .

وأيا ما كان من أمرها الذى تناوله علماء النفس والاجتماع انما هى تعبير عن واقع المجتمع والظروف التى يعيشها .. هى ثقافة المجتمع اى أن الكلمات فيما نرى نوافذ تشع ألوان العادات والتقاليد المرتبطة

بالمجتمع المتغير دوما وعلى هدى من هذا التغيير تظهر سيم جديده ويهدر فيم احرى تتسع او تضيق . ان « رعى الغنم لم يكن صفة نقص فى الزمن الاول ولكن حدث العرف بخلافه ولا يستنكر ذلك قرب حرفة هى نقص فى زمان دون زمان وفى بلد دون بلد ويشهد لذلك كلام الفقهاء فى الكفاءه فى النكاح وفى المروءة فى الشهادات . وهذا ما لفت اليه السيوطى فى تنزيه الانبياء عن تشبيه الاغبياء والقسطلانى فى ارشاد السارى . وقد رووا عن أبى الدرداء ٣٢ هـ « معروف زمانك منكر زمان قد فات ومنكره معروف زمان لم يأت ، وهو يناط به أمور تتصل بحياة الافراد وعند التقاضى يرجع اليه ويعول عليه .

وقد تضمن القانون المدنى فى مادته الاولى أنه « اذا لم يوجد نص تشريعى حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعه الاسلامية ... » وكلنا نذكر هذى القضية التى قيلت فيها الفاظ وما كان من أمر القاضى برفض للموضوع اذ أن هدى الالفاظ قد شاعت فى المجتمع وجرت على الالسن واعتادتها الاذان ، وفقدت ما كانت تدل عليه من قذف أو ما اصطلح على تسميته بالسب العلنى اذ أن « العبارات كلما كثر دورانها على الالسن بدأت مفهوماتها المحددة تتسع وقد تنحرف الى مدلولات مغايرة من بعض الوجود لمدلولها القديم » فهى لا تعنى ما كانت تعنيه مما يوضح جانبا من عملية التطهير التى اليها اشار بيرى حدا لهذا الشيوع ولعل ذلك كان دافعا لاقتران الحركة بالكلمة ثم ما عراها من محاولة تجسيد بالمسرح .

واذا كان الفقه تنطبع عليه دائما آثار البيئة لا من حيث الاحكام المنصوصة استنباطا وانما بما هو طريقة فى التطبيق ومنهج فى تدبير الامر ليتم التواصل بين النصوص وبين الحياة عملا واقعا تتأكد به شخصيتها وتتمكن به ذاتيتها ، اذا كان ذلك كذلك فانما الامر فى اللغة أصل وبها أكد ولذلك كان المعول عليه دوما فى الحكم - الكلمه ، وها هو ذا فاسهم يؤكد ما يجرى على الالسنة ما جرت به العادةواستقر عليه العرف فيما نص عليه عبد القاهر الجرجانى فى كتابه دلائل‌الاعجاز ، « يقال فى العرف عين الله عليك معالجة لقوله تعالى « ولتصنع على عينى » فيما أشار اليه الرازى فى أساس التقديس .

ومن ثم وجدنا تعبير العرف القرآنى ومطابقته للاشتقاق اللغوى على تسمية كل ما كان موصوفا بالسمو والعلو سماء من قوله تعالى « **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** » .

وقد قرر المحدثون أنه « لا ريب فى أنه اذا كان لكل قوم عرف وعادة فذلك العرف والعادة جزء من قانونهم الطبيعى ونظامهم العام وان خلا منه القانون المسطور .

ومن ثم يكون امكان المواضعة على اللغات يعللها عبد الجبار المعتزلى بقوله « لان كل طائفة استخدمت آلة فى صناعة أو وقفت على أمور فيما تتعاطاه من العلم يستحسن وضع أسماء محدثة لها فى كل عصر وكل حال ولا يرجع أحد منهم فى طلب ذلك الاسم الى اذن أو شرع متقدم فكيف يصح أن يقال ان ذلك لا يحسن‌الاباذن .

والعرف بعد هو الموثق للجديد فيما يخص اللفظ ابتداء أو تغييرا ، ومن ثم كان حديث الغزالى عن عرفية الالفاظ بالاعتبارين اللذين أسلفنا :

أحدهما : ان يوضع الاسم لمسمى عام ثم يخصص عرف الاستعمال ..

من اهل اللغة ذلك الاسم ببعض مسميانه كاختصاص اسم الدابة بدوات الاربع مع أن الوضع لكل ما يدب ، واختصاص اسم المتكلم بالعالم بعلم الكلام مع أن كل قائل ومتلفظ متكلم وكاختصاص اسم الفقيه والمتعلم ببعض العلماء وبعض المتعلمين مع أن الوضع عام قال تعالى : « **وعلم آدم الاسماء كلها** » ٣١ م البقرة ٢ « **خلق الانسان علمه البيان** » ٣ م الرحمن ٥٥ ، وقال عز وجل « **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** » .

الاخر : أن يصير الاسم شائعا فى غير ما وضع له اولا ، بل فيما هو مجاز فيه كالغائط المطمئن من الارض والعذرة البناء الذى يستتر به وتقضى الحاجه من ورائه ، فصار اصل الوضع منسيا ، والمجاز معروفا سابقا الى الفهم بعرف الاستعمال وذلك بالوضع الاول وهو المجاز المنقول ..

وهذا كله ليس من صنع فرد وانما شأن الامور الاجتماعية تنسب للمجتمع باسره ولها سمة هذا القسر الاجتماعى ، ليس الى مخالفتها سبيل ..

وبتعبير آخر المجتمع هو المتجور وهو المالك لهذا الامر المبيح له والمانع منه .. ولذلك حينما يحاول الفرد شيئا من ذا يلق حسابا ليس باليسير ولننظر الى تطبيقات : لقد نشأت المعتزلة فى أواخر العهد الاموى على اثر انفصال واصل بن عطاء ١٣١ هـ عن حلقة الحسن البصرى ١١٠ هـ صدد خلافهم حول مرتكب الكبيرة اذ هو فاسق لدى أهل السنة كافر فى معتقد الخوارج ، وفى منزلة بين المنزلتين لدى واصل واطلق الحسن البصرى مقالته : **اعتزلنا واصل فكانت علما على هذه الفرقة .**

واذا كان علم الكلام قد عرف بأسماء علم أصول الدين والفقه اكبر وعلم النظر والاستدلال ، وعلم التوحيد والصفات بما هو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية فان هذه

« البقية ص ٤١ »

الفتح ... المبين

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » .

هذه الايات مطلع سورة الفتح ، وهى السورة التى يجىء ترتيبها فى التنزيل بعد سورة محمد أو القتال .. والتناسب واضح فى هذا الترتيب .. فمحمد هو المفتوح له ، والقتال سابق على الفتح .

وفى سورة القتال قوله جل شأنه :

« فاعلم انه لا اله الا الله ، واستغفر لذنبك ، وللمؤمنين والمؤمنات » وفى سورة الفتح تسمية « لا اله الا الله » كلمة التقوى حيث يقول الله فى سورة الفتح :

« وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها »

وفيها ايضا غفران الذنوب حيث يقول الله :

« ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »

وفى سورة القتال « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون » والفتح برهان على أن المؤمنين هم الاعلون

وفيها دعوة الى الانفاق « هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

وفى الفتح « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم » .

وقد صدرت السورة بحرف التوكيد ، والمناسب ان يكون التوكيد بعد الانكار .. وهو واضح اذا علمنا تساؤل بعض المسلمين عن اعتبار صلح الحديبية فتحا ، وانكارهم ذلك بناء على أنهم صدوا عن البيت وقبلوا بعض الشروط التى ظاهرها غبن المسلمين ، وباطنها بعد النظر وحسن السياسة .. ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم ، بذلك ، برهن لهم على ان الصلح فتح حيث جاء العدو السادر فى غيه ، يمد يد المصالحة واختلط بعض المشركين بالمسلمين ، فأثر فيهم سلوك المسلمين ، وتفتحت قلوب البعض الى الاسلام ، واسلم فى مدة يسيرة عدد يساوى عدد المسلمين وقت الصلح ..

ثم ذكرهم بيوم أحد « اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى اخراكم » .

وذكرهم بيوم الاحزاب : « واذ زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » واعترف المسلمون بأن الصلح فتح ، وزال ما فى نفوسهم من انكار .

أما « نون » العظمة بعد حرف التوكيد – فللدلالة

على أن الفتح من عمل الفتاح العليم ، القادر على كل شيء .

والفتح - ازالة الاغلاق .. ومنه ما يدرك بالبصر - كفتح الباب - وعليه قوله تعالى : « **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** » رأوا ذلك بالبصر .

ومن الفتح ما يرى بالبصيرة .. وهو ما فى نعيم الدنيا - كالمال والاولاد .

ومنه قوله تعالى : « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض** » .

ومن الفتح المدرك بالبصيرة - فتح العلوم والهدايات يقال فلان فتح بابا من العلم .

وقد تعددت أقوال المفسرين فى المراد بالفتح ، ولا مانع من قبولها جميعا حيث لا تعارض بينها . سواء اعتبر المراد بالفتح صلح الحديبية ، أو فتح خيبر ، أو غلبة الروم ، أو الفتح الاعظم لمكة المكرمة - زادها الله تعظيما وتشريفا ، أو فتح الاسلام بالحجة والبرهان ، أو فتح قلوب المسلمين لمزيد من الهدايات والعلوم ، أو الحكم والقضاء كما قال سبحانه .

« **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** » .

وقد عبر عنه سبحانه بصيغة الماضى لان افعاله فوق الزمان . فان كان قد وقع - فالماضى مناسب .. وان كان سيقع - فهو محقق الوقوع لا محالة .

وحذف المفتوح لعموم وشموله ، وليبين ان المعتنى به هو ذات الفتح لا المفتوح . ثم قال « **لك** » اعتناء بشأن المفتوح له .

وهذا هو السر فى تقديمه على المفعول المطلق ، فقال :

« **انا فتحنا لك فتحا** » .

والاصل ان يقال : « انا فتحنا فتحا لك »

لكن المهم ذكر المفتوح له وهو محمد صلى الله عليه وسلم .وله ثلاث فتوحات : **أولاها** : الفتح القريب الذى يشاركه فيه بعض المؤمنين . وبه يرتقى القلب عن النفس وتصبح النفس تابعة للقلب واليه الاشارة بقوله جل شأنه :

« **وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب** »

ثم الفتح المبين . وبه يصل القلب الى أنوار الروح ، وهو خاص به صلى الله عليه وسلم .

« **انا فتحنا لك فتحا مبينا** »

ثم الفتح المطلق من كل القيود ، فيطلعه الله على ما شاء من غير حواجز « **اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا** » .

ثم قال جل شأنه « **ليغفر لك الله** » .

جعلت المغفرة علة للفتح فى التعقل .. أو جعل الفتح علة للمغفرة فى الوجود .

والذى ينقدح فى الذهن من هذا السياق ما أنبأ عنه صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة ، من أن الله سيفتح عليه من المحامد ما لا يجيد التعبير عنه الان ، ثم يقال له : « **يامحمد ، ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعط** » .

والغفر هو الستر . والذنب هو ارتكاب مخالفة تختلف صغرا وكبرا باختلاف المذنبين . وقد أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، باعتبار احساسه نحو أمته - كالاب الرحيم نحو أولاده ، كأنه هو المذنب . ويستوى لدينا ما قيل من أنها صغائر نسبت اليه صلى الله عليه وسلم ، أو ارتكاب خلاف الاولى ، أو حسنات الابرار سيئات المقربين . فما دام الذنب قد تجاوز الله عنه - اصبح من العبث الخوض فيه .

وغفران الذنوب أدعى للشكر لدى العارفين من أن ينالهم العقاب - ففيه توفية الجزاء . وفى المغفرة عفو وتجاوز يحملان على الحياء والاستحياء وفى الحديث .

« **افلا اكون عبدا شكورا ، وقد غفر الله لى ما تقدم وما تاخر** » .

و اللام » فى **قوله** « **ليغفر لك الله** » تحتمل أن تكون للتعدية أو للتعليل .. اى ليغفر لاجلك الله .

والمتقدم ما تعلق بالامم . والمتأخر ما تعلق بتلك الامة . فله صلى الله عليه وسلم ، شفاعة لجميع البشر .

وقد ظهر لفظ الجلالة فى المغفرة والنصر ، لتتم له النعمة فى الدنيا والاخرة « **ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما** » .

والفتح من دلائل الاجابة . والمغفرة من دلائل المحبة . واتمام النعمة من دلائل الاختصاص . والهداية من دلائل التحقق بالحق . والنصر من دلائل الولاية .

وقد وصف النصر بانه عزيز . اى نادر الوجود . أو المنصور بهذا النصر غالب لا يهزم « وما النصر الا من عند الله » نصر من الله « **ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** » .

وصل الله على نبى الرحمة وامام المرسلين .

تأملات في البيان القرآني

الصورة القرآنية

• الدكتور ابراهيم عوضين •

فى تأملاتنا السابقة تعرفنا على ابرز مقومات الصورة القرآنية وأهم أنواعها · وتأملاتنا اليوم موجهة الى أغراض الصورة القرآنية رجاء أن نتعرف منها على ما يعين على اتمام البحث فى الصورة القرآنية ·

ولا شك فى ان أغراض التصوير القرآنى كثيرة ، بل ان الصورة الواحدة لتهدف الى مقاصد عديدة ، ومن ثم فسبيلنا فى هذه التأملات هو الكشف عن جانب من تلك المقاصد البيانية وراء التصوير القرآنى ، وليس الحصر ، فهذا امر لا يطيقه كائن مخلوق ·

وانما كان حصر مقاصد الصورة القرآنية امرا لا يطيقه مخلوق لان التصوير – كما هو مقرر – تعبير عن رؤية المصور لابعاد الموقف ، واذا كانت الرؤية بشرية كان هناك بين الرائى المصور وبين الدارس المتأمل قدر مشترك يتيح له القدرة على التصدى لمقاصد الصورة ··· ولكنه مع ذلك لا يستطيع الزعم بأنه فى ذلك مصيب كل الاصابة ، بل هو – حتى مع مثيله من ابناء البشر – لا يقدر على الزعم بان ما وصل اليه من الصورة متفق تماما مع مقصد صاحب التعبير ·

أقول : اذا كان الدارس البشرى يقدم على التعبير البشرى بهذا القدر من الحيطة والحذر ، فليس غريبا أن نكون أكثر حيطة وحذرا فى دراستنا لمقاصد التصوير القرآنى ، والرؤية فيه – من غير شك – تختلف عن الرؤية البشرية ، اذ هى تتميز فى القرآن بالشمول والصدق المطلق لصدورها من خالق البشر وبارئه ·

فانا فى هذا لا أتجاوز المنهج العلمى ولا أخرج عن سمت العلماء فى الدراسة والبحث الموضوعى ·

• • •

١ – يلاحظ المتأمل فى البيان القرآنى أن من أهم مقاصد الصورة القرآنية الاقناع العقلى ، والحوار الفكرى ·

ومثل هذا النوع من الصور يقدم لمتلقى البيان القرآنى قضية من قضايا الفكر من خلال الصورة ، بحيث تنساب الافكار الى العقل انسيابا ، فلا يجد المتلقى امامه بدا من الاستسلام لما تدعو اليه ، أو الاعلان عن عناده ، والمجاهرة بخروجه عن الجادة ···

مثال ذلك ما قدمه قول الله عز وجل فى سورة الاعراف ، بسطا للفطرة البشرية والكيان الادمى القائم على المعرفة البصيرة بالله ربه

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم : الست بربكم ؟

« قالوا : بلى شهدنا ·

« أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ·

« او تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم · افتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ ! » ·

فالصورة هنا تعلن عن انحراف من ينكر وجود الله ، أو يعترف به لكنه يتخبط فى الاعتراف بذاته ، فالبشر السوى لا يجد عسرا ولا صعوبة فى التعرف على الله ربه ، وما يبدو على خلاف ذلك انما هو اثر من آثار الشذوذ والخروج على أصول الفطرة ·

• • •

ومثاله كذلك ما قدمه قول الله سبحانه فى سورة الكهف توضيحا لحقيقة الحياة الدنيا ، وتبيينا لادق اسرارها ، وكشفا عن أن من أهم خصائصها الزوال حين تبدو فى العين تامة كاملة ، فهى ليست نهاية مطاف ، ولكنها مرحلة من مراحل الحياة البشرية فى هذا الكون ، ومن ثم كانت نهايتها مرهونة بتمامها ، « **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء**

أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح ٠٠ ! ٠

ولعل المتأمل يلاحظ فى رسم الصورة التى تماثلها الحياة الدنيا تلك النقلة بين اختلاط نبات الارض بماء السماء وبين صيرورة هذا النبات هشيما تذروه الرياح ٠

فالواقع يقرر أن بين هاتين المرحلتين مرحلة هى أهم مراحل الحياة ، وهى مرحلة الينع والازدهار ٠

ولكن الصورة القرآنية ـ وهى تقصد من بين ما تقصد الى بيان سرعة انقضاء الحياة الدنيا حين تتكامل ـ تتجاوز هذه المرحلة مكتفية بتقديم مثل الحياة فى حال النقص وفى حال الزوال ، ايماء الى سرعة الزوال والانقضاء ، فما بين المرحلتين مرحلة لا تكاد تذكر وهى معلومة لكل فرد من أبناء البشر لا تكاد تنكر ٠ فالحياة الدنيا بفتنتها وبما تحتويه من أسباب الاغترار بها ، وبما أتيح لها من أسباب التطور والنماء الدائم ٠٠ ليس من اليسير اقناع بنيها بأنها الى زوال ، وأن ما تغص به من مظاهر الاستمرار انما هو خداع يوشك أن ينمحى ويفنى ، فالعقل البشرى محدود بأبعاد تلك الحياة ، ومن ثم فرؤيته لا تخرج عن نطاقها ، وانطلاقه لا يتعدى اطارها ٠

ولكن البيان القرآنى فى تلك الصورة يخرج الانسان بعقله وادراكه وحسه من هذه الدائرة المحدودة التى تكاد تغلق دونه منافذ الرؤية ، وتحول بينه وبين حقائق الكون الذى يعيش فيه ويتفاعل معه ٠٠٠

ووسيلة البيان القرآنى هنا لتحقيق تلك الغاية هو تلك الصورة المؤسسة على مشهد من مشاهد الكون الدنيوى ذاته ، لكنه قريب من رؤانا ، متكرر الحدوث بين أيدينا ، بحيث يتيسر لكل جيل أن يشاهده ويتعرف عليه ٠

ويلمح المتأمل هنا روعة البيان القرآنى واعجازه اذ يجده يتوسل الى القلب بالعقل وما يتعلق به ، كما يجده فى مواقف أخرى يتوسل الى العقل بالقلب وما يتعلق به ، مقررا بذلك الوحدة بين هذين العضوين ، على خلاف البيان البشرى الذى يقوم دائما على الفصل بين منافذ المعرفة والحس لدى الانسان ٠

● ● ●

ومثال هذا النوع من الصورة العقلية القائمة على الحوار الفكرى ، قول الحق جل وعلا فى سورة النحل :

« **ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٠**

« **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ٠**

« **أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟**

« **الا ساء ما يحكمون** » ٠

فالموقف الذى تعالجه تلك الصورة من أعقد القضايا الفكرية التى عجز البيان البشرى عن الوصول فيها الى نتيجة حاسمة تعتمد على الحجة القاطعة المسكتة للخصوم ، حتى أصبحت من ميادين اللجاج الدائم الذى لا ينقطع ، اذ دعوى المشركين تقوم على نسبة البنات الى الله ، وهى ـ كما ترى ـ دعوى تقوم على مقدمة من مسلمات البشر فى دنياهم ٠

فليس معقولا أن يكون الله هو خالق الحياة ثم نتصوره محروما من الابناء وهم زهرة الحياة وزينتها ، ومفخرة الانسان وعدته ٠

ثم ليس معقولا أن يقرب الله اليه هذه الكائنات المعروفة بالملائكة ، تقوم على خدمته وتنفيذ أوامره بهذا الصدق والاخلاص ، وهى ليست ذات صفة بنوية لله ٠

اذن فالله خالق الخلق ليس محروما من الابناء ٠

واذن فأبناء الله هم ملائكته ٠

على هذا المنطق الخادع المخدوع سار هؤلاء فى تقديرهم وتصورهم لله ربهم ، وهو تقدير ـ كما ترى ـ ساذج بالغ التطرف فى السذاجة ٠

لكنه ـ مع سذاجته ـ له على نفوس هؤلاء وعقولهم سلطان لا يزيله جدل المجادلين ، ولا يؤثر فيه نقاش المناقشين ٠

ومن ثم جاء البيان القرآنى بتلك الصورة ليقطع عليهم هذا الطريق الساذج ، ويواجههم بفكر آخر غير ما قر فى أذهانهم واستولى على عقولهم ٠

ومن ثم بدأت الصورة بمطلع ساخر يقوم على مفارقة عجيبة لم يتنبهوا اليها وهم فى دوامة الصراع الفكرى ، ومحاولة الانتصار فيه لما يرون ٠

ومع أن هذه المفارقة العجيبة التى طلعت بها الصورة مفارقة تثير السخرية منهم ، فان المتأمل يلاحظ أن السخرية فيها ليست غاية ، بل هى وسيلة ايقاظ وتنبيه ٠ فهى سخرية تهزهم فى عنف ليتنبهوا من غفلتهم ، ويفيقوا من سذاجتهم ، ويفرقوا بين الخالق والمخلوق ، فليس ما يصدق على هذا بالحتم يصدق على ذاك ٠

فالمتأمل يلاحظ أن مطلع السورة هنا لا يناقش الدعويين معا ، ولكنه يفترض التسليم بالدعوى الاولى ـ وهى ضرورة أن يكون لله أبناء ـ ويناقش معهم الدعوى الثانية ـ وهى نوعية هؤلاء الابناء ـ من خلال مسلكهم وتصورهم ٠

« **ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٠**

« **واذا بشر احدهم بالانثى ظل وعهه مسودا وهو كظيم ٠**

« **يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ٠**

« **أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟**

« **الا ساء ما يحكمون ! ٠**

وهكذا تضعهم السورة بين فكى الرحا ، بحيث تريهم ما فى فكرهم من تناقض يفرض عليهم جوا من الحيرة ، لا يجد العاقل ازاءه الا أن يتمرد على تلك السذاجات ، ويلفظ تلك الترهات ، وينفر من تلك الاباطيل ، ويتجه نحو ما أوتى الى الحق الذى يقرره بيان القرآن ، وتومىء اليه السورة ٠

فاذا كانت البنات صفوة الله التى اختار منها أبناء وأعوان فكيف ترفضون أنتم هذه الصفوة وتتأبون عليها ، وتخجلون من مجرد نسبتها اليكم والتبشير بها ، وترجون أن يكون أبناؤكم من جنس الذكور ؟ !

ان كان هذا الذى تشتهونه هو الافضل ، فالاجدر بكم أن تقدروا فى الله ـ وهو مالك الملك ـ ان يختار لنفسه الافضل ، ففيم تشتهون الذكور دون الاناث اشتهاء يخرجكم عن العقل ، ويجافيكم عن العاطفة والحس ، فتسلكون ازاء التبشير بميلاد أنثى مسلكا لايقوم على فكر سليم ،ولا يعتمد على ادراك صحيح ، ولا حس صادق ، والا فبم تفسرون ما يكون عليه حالكم حين يبشر أحدكم بالانثى ؟ !

وهكذا يقيم البيان القرآنى من خلال اعادة الصورة أمامهم ـ الحجة عليهم ، من غير احتياج الى حجاج كلامى يتولد عنه حجاج ولا ينتهى الى أمر ٠

فالصورة هنا مرآة صافية صادقة يقفها البيان القرآنى فى مواجهة هؤلاء المشركين بحيث لا يكاد الواحد منهم يفتح عينيه حتى تجبيه الحقيقة من غير حاجة الى نقاش ٠

وكل ما أضافه البيان القرآنى هنا هو الاشارة الى ما بين المواقف من علاقات ٠

● ● ●

من هذه النماذج الثلاثة يتقرر : أن من أغراض التصوير القرآنى الاقناع العقلى ومعالجة القضايا الفكرية ، وليس التصوير لمجرد نقل الصورة ، ولا هو لون من الترف البيانى ، فلكل عبارة ـ بل لكل كلمة وحرف ـ فى البيان القرآنى ، رسالة تقوم على أدائها ، وهى من أجل ذلك مشحونة بكل القوى التى تحقق لها ذلك ٠ تنزيل من حكيم حميد ٠

الحالات الناشئة عن رفع الحكم المنسوخ

الدكتور محمد سعاد جلال

اذا نسخ حكم بدليل ناسخ فالاثر المترتب على هذا النسخ يتمثل فى فرضين . اما ان يثبت عن عملية النسخ هذه « بدل » عن الحكم المنسوخ او لا يثبت بدل « عنه » . فاذا ثبت « بدل » عنه ، فهذا البدل ، اما أن يكون مساويا للحكم المنسوخ فيما تمارسه طاقة المكلف ، او يكون أخف ، أو اثقل منه . فهنا مسالتان يلزم بيانهما . هل يتعين ان يكون للحكم المنسوخ بدل عنه ؟ وهل يتعين اذا وجد « البدل » ان يكون مساويا ، أو أخف ، ولا يكون أثقل ؟

المسألة الاولى مذهب الجميع جواز نسخ حكم الخطاب لا الى بدل خلافا لبعض الشذوذ ، كما يقول الامدى . واستدلوا على صحة مذهبهم بدليل العقل ، ودليل الشرع . أما دليل العقل فذلك اننا لو فرضنا وقوع النسخ بغير بدل عن الحكم المنسوخ لما ترتب على فرض ذلك محال وليس للجواز العقلى معنى الا صحة هذا الافتراض . وأما الشرع ، فقد استدلوا بوقائع من النسخ فى الكتاب والسنة تمت من غير المصير الى بدل ، من ذلك تقديم الصدقة بين دى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونسخ ادخار لحوم الاضاحى ، ونسخ وجوب الامساك بعد الفطر فى الليل فكل هذه وقائع من النسخ تمت بغير بدل : وذلك ادل الدليل على الجواز المطلوب اثباته فى المسألة . وهكذا عرض المسألة الغزالى والامدى ، وقد جازف الامدى فذكر فى اعداد الاحكام المنوخة الى غير بدل « نسخ الاعتداد بحول كامل فى حق المتوفى عنها زوجها » ونسخ ثبات الرجل لعشرة مع أن هذين الحكمين منسوخان الى بدل فى قول أهل العلم ، فبدل الحكم المنسوخ الاول اعتداد المتوفى عنها زوجها باربعة أشهر وعشر وبدل الحكم المنسوخ الثانى وجوب ثبات الرجل لاثنين بدل العشره بالايات الدالة على ذلك . فأما البعض الذين عبر عنهم الامدى « البعض الشذوذ » فقد منعوا صحة هذه المساله مستدلين بقوله تعالى « **ما ننسخ من آيه أو ننسها نات بخير منها أو مثلها** » فانها واضحه الدلاله فى ان جميع ما ينسخه الله يأت ببدل عنه خيرا منه او مثلا له . ونلاحظ من الان ان دلالة الاية فى ايجاب البدل مقصور على الاحكام المنسوخة الواقعه فى القران ، لا الاحكام المنسوخة الواقعة فى السنه ، مما هو تحرير مذهب هؤلاء « الشذوذ » ؟ **تحرير مذهب المانعين** . هل يرون ان النسخ يتعين ان يكون الى بدل فى القرآن فقط ؟ ام يكون فى القرآن والسنه معا ؟ فهذا دليلهم فى القرآن ، فاين دليلهم فى السنة ؟ هل يقولون انه لا فاصل بين القران والسنة فى هذه القضية لعدم القائل بالفصل بينهما ، ولان السنه فرع الكتاب ؟ وكما يظهر لى من جانب ان اطلاق الاصوليين لذكر المساله عنهم يفيد شمولها لمواطن المنسوخ فى الكتاب والسنة جميعا ، يظهر لى من جانب اخر ان الاقتصار فى الاستدلال على الاية المذكورة آنفا يشير الى وقوف مذهب هؤلاء المانعين عند المنسوخ فى القرآن فقط . الحق ان مذهب هؤلاء « الشذوذ » كما تنقله كتب الاصول الينا غير محرر ، وارى ان استدلالهم بالاية قوى على مذهبهم فى ان النسخ آيات القرآن يتعين ان يصير الى بدل ، وان « ردود ما سماه الامدى » مذهب الجميع ، على هؤلاء ليست قاطعه . واليكم فى ذلك محاوله الامدى ، قال الامدى : قلنا — يعنى فى نقض الاستدلال بالاية — ما ذكروه انما هو دليل لزوم البدل فى نسخ لفظ الاية ، وليس فيه دلالة على نسخ حكمها ، وذلك هو موضع الخلاف . « سلمنا دلالة ما ذكروه على نفى الحكم » . لكن لا نسلم العموم فى كل حكم . « وان سلمناه فهو مخصص بما ذكرناه من الصور . « سلمنا انه غير مخصص لكن ما المانع ان يكون رفع الحكم بدل اثباته وهو خير منه فى الوقت الذى نسخ فيه لكون المصلحه فى الرفع لا فى الاثبات » . وان سلم امتناع ذلك شرعا لكنه لا يدل على عدم « الجواز العقلى » ذكر الامدى فى هذا النص نقض الاستدلال بالاية على لزوم البدل للحكم المنسوخ ، بخمسة اوجه يترقى فى سردها من كل واحد الى ما بعده استشعارا منه الضعف قوة السابق فى تحقيق النقض المكتمل على دلالة الاية .

أولها : الادعاء بان لزوم البدل الذى دلت عليه الاية انما هو بدل لفظ بلفظ ، وان هذا هو موضع الخلاف فى المساله بين المختلفين فيها ، ولا شك ان هذا غير صحيح ، ويرده العموم الذى دل عليه لفظ « ما » ، فانه شامل لنسخ اللفظ والحكم باقسامها جميعا ، كما فهمه على هذا الوجه عامة الاصوليين ، والمفسرين وكما فهمه الامدى نفسه ، وقرره فى بعض المسائل .

ثانيهما : الادعاء بنفى افادة الاية لعموم الحكم ، وهو غير صحيح ايضا ، لان المذهب المعتمد أن « ما »

منَ الفاظ العموم والادعاء بعدم افادتها للعموم باطلَ ، أو ضعيف .

ثالثهما : الادعاء بأن هذا العموم مخصص بمواضع النسخ التى لم تعرف لها بدل ، وهذا الوجه من الدفع أفضل من غيره واقوى لوجود مثال يحتمل ذلك لكن الامدى فى تدعيمه له جاوز حد الدقة فى موضعين .

أ ـ انه تدم لنا أحكاما منسوخة من القرآن على أنها غير ذات بال ، مع أن لها بدلا كما أشرنا لذلك سابقا .

ب ـ انه ذكر له أمثلة من الاحكام المنسوخة فى السنة الى غير بدل ، وذلك ما لا يصلح ردا على موضع الاستدلال بالاية ، فان موضع الاستدلال بها خصوص المنسوخ فى القرآن كما هو الظاهر .

رابعا : الادعاء بأن محض رفع الحكم بدل اثباته يعتبر بدلا ، وهذا الادعاء فى غاية التهافت ، فان العدل المحض وان ترتب عليه خير ومصلحة لا يعتبر بدلا عن الوجود ، والاية تقول « نأت » وهو فعل يدل على استجلاب شىء موجود ولا يكون متعلق الفعل « عدما » .

خامسا : القول بأن الاية تثبت لزوم البدل شرعا ـ لا عقلا ، وبهذا التسليم الخامس يكون الامدى قد سلم بوجهة نظر هؤلاء الشذوذ » القائلين بلزوم البدل عن الحكم المنسوخ فى القرآن وان ذلك هو الثابت شرعا ، **وهذا كاف فى اثبات المسألة . فالاقرب ان أصحاب هذا القول يكتفون باثبات لزوم البدل عن الحكم المنسوخ شرعا ، ولا يعنيهم لزومه عقلا من حيث جعلوا نص الاية دليلهم . حاصل المسألة :** وحاصل هذه المسألة ان الدليل الاقوى فى جانب القول بعدم جواز النسخ الى غير بدل فى خصوص أحكام القرآن المنسوخة ، وان جواز النسخ الى غير بدل فى خصوص هذا النوع من الاحكام ممتنع شرعا ، وهو ما نقتنع به اكثر من الرأى المقابل له .

المسألة الثانية : اتفق الاصوليون على أن الحكم الواقع بدلا عن الحكم المرفوع بدليل النسخ ، يقع أخف منه ، ويقع مساويا له : يقع أخف منه كما فى نسخ تحريم الاكل بعد النوم فى ليالى رمضان بحله . ويقع مساويا له كما فى نسخ التوجه الى البيت المقدس بالتوجه الى الكعبة . واختلفوا فيما اذا كان حكما أثقل بالنسبة لطاقة المكلف ، **فذهب جمهور الفقهاء : والمتكلمين الى جوازه ، ومنع منه بعض أصحاب الشافعى ، وأهل الظاهر . استدل المانعون بدليل العقل والنقل** ، وأما العقل فلان التكليف بالاشق أبعد من مصلحة المكلفين ، لانهم ان فعلوا ما هو أشق تضرروا بالمشقة الزائدة عليهم وان تركوا فعله لمشقته عليهم تضرروا باستحقاق العقوبة جزاء المخالفة لامر الشارع ، فاستبعد من حكمه الحكيم أن ينأى عن المصلحة فى تكليف عباده على هذا الوجه . وأما النقل فبقوله تعالى **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها** » ، والمراد بالخير هنا من الايات ما كان خيرا بالنسبة لاعمال العباد فان آيات القرآن خير كلها ، وبقوله تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » وقوله « **يريد الله أن يخفف عنكم** » ، دلت الايتان على ارادة اليسر والتخفيف عن العبد فى التكاليف الشرعية ، ونقل التكليف عن الحكم الاخف الى الحكم الاشق ينافى ذلك . واستدل المجوزون بدلالة العقل ، والشرع على عرضهم : اما دلالة العقل فلانه لا يجوز أن يقاس اليسر ، والمشقة فى الاحكام الملقاة على عاتق المكلف بطاقاته فى الممارسه ، وانما ينبغى أن يكون المقياس فى وصف هذه الاحكام تحقق مصلحة المكلف بها ، وبهذا المقياس قد تكون مصلحة المكلف فى تناول الحكم الاشق كما تكون فى تناول الحكم الاخف : فان نقل المكلفين بادىء ذى بدء من الاباحة الاصلية فى تناول عامة ما يريدون من الرغبات قبل الشريعة الى مشقات الحظر والتحريم بالشريعة يتضمن مشقة ظاهرة : لكنه بالنسبة لمصلحة المكلف يتعين أن يعتبر أخف من الاطلاق الذى كانت تجرى عليه أحوالهم من قبل : ألا ترى الى الطبيب ينقل المريض لمصلحته من الدواء الحلو المستساغ أو الطعام الشهى المستطاب : الى الدواء المر ، أو ترك التغذى . أو التغذى بما لا يستساغ . وكل ذلك منظور فيه لمصلحة الشخص ، فانها المقياس لما يعتبر أخف او اشق على الحقيقة : **وأما دلالة الشرع : فذلك أن واقع الشريعة قد تضمن من وقائع النسخ ما ظهر به نقل المكلف من الاخف الى الاثقل من الاحكام :** مثل نسخ مهادنة الكفار ، والصبر على أذاهم بالامر بقتال الذين يقاتلونهم ، بقوله : « **وقاتلوا الذين يقاتلونكم** » . ثم نسخ ذلك بقتلهم كافه ، بقوله « **وقاتلوا المشركين كافه** » ، ومثل نسخ التخيير بين الصيام والفديه فى ابتداء الاسلام على ما روى ابن عمر ومعاذ : ثم نسخ هذا التخيير بايجاب الصوم عزيمة بقوله « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » : ونسخ وجوب صوم يوم عاشوراء بايجاب صوم رمضان ، فهذه الامثلة ولها نظائر فى الشريعة ، هى من قبيل نسخ الحكم الاخف والانتقال عنه الى التكليف بالحكم الاشق . فاما تمسك المانعين بقوله تعالى « **يريد الله بكم اليسر** » وقوله « **يريد الله أن يخفف عنكم** » وقوله « **نأت بخير منها او مثلها** » فمردود . أما عن الايتين الاوليين فان المراد بهما ليس عاما فى كل الصور ، بل هو مقصور على بعض الصور وليس فيهما ما يدل على الحصر . واما عن الاية الثالثة : فليس الخير المراد بها سهولة العمل ، وانما المراد بها ما يكون مصلحة واكثر ثوابا للمكلف ، فالحكم الاثقل يكون خيرا لما يترتب على فعله من كثرة الثواب . لقوله ـ صلى الله عليه وسلم « **افضل الاعمال أحمزها** » أى أشقها واكثرها ثوابا ، وقوله لعائشة « **ثوابك على قدر نصبك** » فالنصب المستزاد له من الاجر خير لفاعله من اليسر القليل اجره .

من أخلاق القرآن

النصيحة

الدكتور أحمد الشرباصي

تقول لغة العرب – وهى لغة القرآن – النصح هو تحرى فعل او قول فيه صلاح صاحبه ، وهو من قولهم : نصحت له الود أى أخلصته ، وناصح العسل خالصه . يقال نصحه ونصح له أى تحرى ما ينبغى له وما يصلح ، واراد له الخير ، واخلص له فى تدبير أمره . ونصح العبد لله أى وقف عند ما أمر وما نهى ، وفعل محابه وتجنب مساخطه ، ونصح للرسول صلى الله عليه وسلم : صدق نبوته والتزم ما جاء به ، وتخلق بأخلاقه بقدر طاقته . ونصح لنفسه ، تجنب ما يؤذيها فى الدنيا والاخرة .

والنصيحة خلق من اخلاق القرآن الكريم ، وجانب من هدى الرسول الكريم ، وفضيله من فضائل الاسلام العظيم – فالمؤمن من شأنه أن يحب الخير لنفسه واخيه ، وتجده دائما فيه نزعة الخير التى تدفعه الى التوجيه والنصح ، ليشيع الخير ويسود التعاون على البر ، فهو يدعو الى الخير ، ويامر بالمعروف ، وينهى عن المنكر : والقرآن الكريم يقول فى سورة آل عمران : **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »** .

وحسب فضيلة النصيحة علوا وشرفا أنها صفة من صفات الانبياء ، وفضيلة من فضائل الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم النماذج العليا للبشرية فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه كما جاء فى سورة الاعراف : **« أبلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون »** .

أى أبلغكم ما ارسلنى الله تعالى به اليكم من علم وحكمة ، وانصح لكم ، أى أخلص لكم فيما أعظكم به من الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، وانا على علم أوحاه الله الى ، وانتم لا تعلمون من هذا العلم شيئا ، فاذا نصحت لكم ، وأنذرتكم سوء العاقبة من كفركم واجرامكم ، وحذرتكم نقمة الله وعذابه ، فانما انصح لكم عن علم ويقين . وهذا هو هود عليه السلام يقول لقومه كما فى سورة الاعراف : **« أبلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين »** أى أبلغكم التكاليف التى ارسلت بها ، وانا لكم ناصح فيما ابلغكم اياه ، وادعوكم اليه لان فيه سعادتكم ، وأنا أمين فى نقله عن الله اليكم ، فأنا ليس من طبعى ولا من شأنى أن أكذب فكيف أكذب على الله سبحانه وتعالى .

وهذا صالح عليه السلام يقول أيضا لقومه كما جاء فى سورة الاعراف : **« فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين »** . وكذلك اهل الفساد يضيقون ذرعا بالناصحين لهم ، ولا يحبونهم ، وقد يعادونهم ويناصبونهم العداوة ، لان طعم النصح مر ، وقد يتضمن تكليف الانسان الاقلاع عن شهوة من الشهوات ، او ترك لذة من الملذات ، وهذا صعب فى العادة على النفس الامارة بالسوء الا من رحم الله .

وهذا شعيب عليه السلام يقف من قومه الموقف نفسه كما جاء فى سورة الاعراف : **« فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين »** .

انني يا قوم قد أبلغتكم ما أرسلني الله به اليكم من العقائد والمواعظ والاحكام والاداب ، ونصحت لكم بما بينته من معانيها ، والترغيب فيها ، وانذار عاقبة الكفر بها ، فكيف احزن على قوم عصاة اعذرت اليهم ، وبذلت جهدي في سبيل هدايتهم ، فأبوا الا الكفران .

ويقول الحق تبارك وتعالى : « **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ، اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** » .

ليس على الضعفاء الذين لا يقوون على الجهاد ، كالشيوخ والعجزة والزمنى ، ولا على الفقراء الذين لا يجدون مالا ينفقون منه على أنفسهم ، ليس على هؤلاء تضييق في حكم الشرع يعدون به مذنبين ، ولا اثم عليهم في القعود عن الواجب ، اذا أخلصوا لله تعالى في الايمان ، وللرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعة واداء الامانة بالقول والعمل ، ولا سيما الذي تقتضيه حالة الحرب ، فان النصيحة هي ما يصلح به الشيء ، ويكون خاليا من الغش والخلل .

والنصح لله وللرسول هنا هو كل ما فيه مصلحة الامة ، ولا سيما المجاهدين منها ، مثل كتمان الاسرار ، والحث على البر ، ومقاومة الخيانة في السر والجهر . فكل ناصح لله ولرسوله محسن ، لا سبيل الى مؤاخذته وايقاعه في الحرج .

وينبغي أن نفهم انه لا فائدة من النصح دون استعداد للتلقي ولذلك نرى نبي الله نوحا يقول لقومه كما جاء في سورة هود : « **ولاينفعكم نصحي ان اردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون** » .

وقد مضت سنة الله تعالى - كما جاء في تفسير المنار أن نفع النصح له شرطان او طرفان ، هما الفاعل للنصح والقابل له ، وانما يقبله المستعد للرشاد ، ويرفضه من غلب عليه الغي والفساد ، بمفارقه اسبابه من الغرور بالغنى والجاه ، والكبر وهو غمط الحق ، واحتقار المتكبر لمن يزدري من الناس ، وتعصبه لما دن عليه الاباء والاجداد ، واتباع الهوى وحب الشهوات المانعة من طاعة الله ، فمعنى ارادة الله تعالى لاغوائهم اقتضاء سنته فيهم أن يكونوا من الغاوين ، لا خلقة للغواية ، فيهم جزافا انفا بضمتين اى ابتداء بغير عمل ولا كسب منهم لاسبابها فان هذا مضاد لذهب أهل السنة في اثبات خلق الاشياء مقدرة بأقدارها ، ترتبط أسبابها بمسبباتها .

ومعنى قوله « **هو ربكم واليه ترجعون** » هو أنه مالك اموركم ومدبرها ومسيرها على سننه المطردة في الدنيا ، ولكل شيء عنده قدر ، ولكل قدر أجل ، واليه ترجعون في الاخرة ، فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها ، لا يظلم أحدا .

وينبغي الا نغفل عن أن الناصح قد يكون مخادعا فلا تفيد نصيحته ، وهذا الناصح المخادع قد يحس بالريبه والانكشاف ونحن نتذكر هنا ان اخوة يوسف عليه السلام قد وقفوا هذا الموقف كما جاء في سورة يوسف : « **قالوا ياآبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون** » قالوا : أي شبهة عرضت لك فجعلتك لا تأمنا على يوسف ، وكأنهم أحسوا انه قد ارتاب فيهم على حد قول القائل « كاد المريب أن يقول خذوني » .

ولعل شعورهم بارتيابه فيهم هو الذى جعلهم يؤكدون كلامهم كل هذا التأكيد .

وهذا هو الشيطان الاثيم يريد أن يظهر بمظهر الناصح فيقول القرآن الكريم في سورة الاعراف « **وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور** » .

هذا هو الشيطان اللعين يخادع فيدعى لادم وحواء عليهما السلام أنه ناصح لهما ، وأكد دعواه بأشد المؤكدات وأغلظها ، وحرضهما على الاكل من الشجرة المحرمة ، فمازال يخدعهما بالترغيب في الاكل من تلك الشجرة حتى أسقطهما ، وحطهما مما كانا عليه من سلامه الفطره ، وطاعة الخالق سبحانه ، بغروره الباطل وخداعه الكذوب ، حيث نفخ في نار الشهوة الغريزيه ، مثيرا لها فوقع آدم وحواء في الخطيئه ، بتاثير الوسوسه والتزيين . ومن هنا ينبغي للانسان أن يحذر المخادعين بالنصائح الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم . وقد ينصحون الانسان بالشيء يوهمونه انه طريقه الى النجاة والفلاح ، مع انه طريق الخراب والدمار . وقد نوه القرآن المجيد بشأن النصيحة الخالصة المخلصة حين قال في سورة القصص على لسان من اخلص النصيحه لموسى فقال : « **ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين** » .

هذا ولفضيلة النصيحة في السنة المطهرة شأن وذكر ، فقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف : « الدين النصيحة » .

قلنا لمن يا رسول الله ؟

قال : لله ولرسوله ولكتابه ، ولائمة المسلمين وعامتهم » .

وقد ذكر العلماء ان النصيحة لله هى صحة الاعتقاد في وحدانيته ، واخلاص النية في عبادته .

والنصيحة لكتاب الله هي التصديق به والعمل بما فيه .

والنصيحة للرسول هى التصديق بنبوته ورسالته ، والانقياد لما أمر به ونهى عنه .

والنصيحة للائمة هى ان يطيعهم فى الحق ولايرى الخروج عليهموالنصيحة لعامة المسلمين هى ارشادهم الى مصالحهم .

وقد روى البخارى ومسلم عن جابر قال : « **بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاةوالنصحلكلمسلم** » .

وكأن فضيلة النصيحة كانت ركنا من أركان المبايعة التى يقوم بها المسلم اذا أعطى الرسول عليه الصلاة والسلام الميثاق والعهد بأن يسير على صراط الله المستقيم .

ونفهم من السنة المطهرة ان النصيحة تصبح واجبة اذا طلبها الاخ من أخيه فى الله ، ويدل على ذلك قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « **اذا استنصح احدكم أخاه فلينصح له** » .

ولقد عنى البصراء من الصوفية بأمر النصيحة وآدابها ، فهذا هو حاتم الاصم الصوفى يقول : « النصيحة للخلق : اذا رأيت انسانا فى الحسنة ان تحثه عليها ، واذا رأيته فى معصية ان ترحمه » .

وقد جاء فى كتاب من « أدب النبوة » ان هناك طائفة من نوابغ الكلم وردت على السنة الصالحين من السلف ، فالفضيل بن عياض الزاهد يقول « **المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير** » .

ويقول : « **ماأدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وانما أدرك عندنا بسخاء الانفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للامة** » .

وقال فرقد السنجى : « **قرأت فى بعض الكتب : المحب لله عز وجل امير مؤمر على الامراء ، زمرته اول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه اقرب المجالس فيما هناك ، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل ، يحبونه ويحبون ذكره ، ويحببونه الى خلقه ويمشون بين خلقه بالنصائح ويخافون عليهم من اعمالهم يوم تبدو الفضائح ، اولئك اولياء الله وأحباؤه وصفوته ، اولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه** » .

وقال الامام الحسن البصرى : « **قال بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ان شئتم لاقسمن لكم بالله ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ، ويحببون عباد الله الى الله : ويسعون فى الارض بالنصيحة** » .

اللهم هبنا نعمة النصيحة نسمعها من المخلصين ، ونقولها خالصة للمستجيبين ، فانت نعم المولى ونعم المعين .

« بقية مقال النص والتفسير »

الاسماء كاشفة عن طبيعة موضوعه .. وكان من أهم ما دار من خلاف بين المعتزلة واهل السنة أن أهل السنة تقرر : ان لله علما حقيقيا لا مجازيا وان علمه غير مخلوق وان كلام الله قديم لم يزل ، والمعتزلة تقرر : انه علم محدث مخلوق . وكلام الله صفة فعل مخلوق ومن ثم نشأت فتنة خلق القرآن .

وأيا ما كان من أمر ابن ابى دؤاد ٢٤٠ هـ فان اعتزالية عبد الله المأمون ٢٤٠ هـ فقد كان فى اعتقاده معتزليا شيعيا حدث به أن نقله اذ « اجمع رايه على الدعاء اليه وحمل الناس عليه » الى مذهب دونه فجمع الى السلطان - فى بعداد - الرأى ، والاغلب أن هذا ملك عليه نفسه اذ ان المقريزى فى الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك يقرر بعدم ذكره له أن رغم طول مدة خلافته لم يحج ولو مرة مما له دلالته على مدى انغماسه فيما أخذ به نفسه ، وبلغ من كلفه أن كتب « لمن بعده محرضا على حمل الخلق على القول بخلق القرآن » ووقف أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلى الشيبانى ١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ علم المحدثين الذين يقفون عند المنقول فكانت فتنته فى ٢٢٠ هـ بعد تولى أخى المأمون أبى اسحق محمد المعتصم بالله الخلافة بسنتين ، ويبدو أن المعتصم ٢٢٧ هـ كان متبرما مما تورط فيه اذ يروى اعترافه : « لو انى وجدتك فى يد من كان قبلى ما عرضت لك » وتدور المناظرات .

« **انا جعلناه قرآنا عربيا** » ٣ ك الزخرف ٤٣ فهو مجعول اى مخلوق فيرد « **فجعلهم كعصف مأكول** » ٥ ك الفيل ١٠٥ أفخلقهم ؟

ومنهم من وقف عند لفظ مجعول ورفض لفظ مخلوق مثل ابن البكاء الاكبر ثم قيل :

« **قل الله خالق كل شىء** » ١٦ م الرعد ١٣ فيكون الرد : « **تدمر كل شىء بأمر ربها** » ٢٥ ك الاحقاف ٤٦ فيقال له : « **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث** » ٢ ك الانبياء ٢١ فيرد « **ص والقرآن ذى الذكر** » ١ ك ص ٣٨ وتلك ليس فيها الف ولام ..

وهكذا فان المسألة فى أساسها بسبب مسألة اللفظ وعذب الامام ما عذب وهو صائم - وكان مكثه فى السجن قد أخذ وحمل الى ان ضرب وخلى عنه ثمانية وعشرين شهرا « من أجل الاصطلاح وبسبب هذا التجوز الجديد ثم تولاها بعد ذلك أبو جعفر هارون الواثق ٢٣٢ هـ فجعفر المتوكل على الله ٢٤٧ هـ ودامت بذا خمسة عشر عاما اذ نسخها المتوكل عام ٢٣٤ هـ .

القرآن

وكيفية دلالته على الاحكام

رمضان شهر الذكريات والامجاد والبطولات ، فيه غزوة بدر الكبرى التى كانت حدا فاصلا بين الشرك والايمان ، والحق والباطل : وفيه فتح مكة التى أتم الله فيها النصر للايمان والحق ، وأعلن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سياسة الحب والصفاء والسلام ..

وفى هذا الشهر العظيم استطاعت الجيوش العربية أن تضرب المخطط الاسرائيلى ضربة قاضية ، وأن تحقق نصرا عظيما على القوى الامبريالية .. وفيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، والتى يتجلى الله فيها على عباده ، فيفتح لهم أبواب رحمته ورضوانه ومغفرته .

الدكتور عبد العزيز عزام

ومن أعظم هذه الذكريات وأسماها وأبقاها ذكرى نزول القرآن العظيم الذى أنزله الله هدى ونورا يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كريما .. وان هذا الكتاب العزيز بما تضمنه من مبادىء وتشريعات يعتبر دستورا ينتظم حياة الناس فى جميع الازمان والعصور والى أن يرث الله الارض ومن عليها . وفى ذلك يقول الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه : « كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم .. » وان الباحث فيه ليدرك أنه قد استوعب حاجة البشر من تصحيح العقائد ، وتشريع الاحكام الى غير ذلك من المباحث التى ليس محلها هنا .

ونحن فى هذا المقال بصدد الحديث عن الاحكام التى حاول العلماء استخراجها من عباراته واشاراته وظاهره ونصه ، وتأويل متشابهه وتفصيل مجمله ، وتبين ما يحتاج منه الى بيان . ورائدهم فى ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذ كان يبلغ ما أنزل عليه من الكتاب . ويبين تفسيره وتأويله ، وما لم يرد فيه عنه بيان من تفسير وتأويل مما يرجع الى شرائع الاحكام ، كان أصحابه وتابعوهم يجتهدون فيه ، لا ريب فى هذا ولا مجال فيه لشك أو جدال .

خطوات التفسير :

وتفسير القرآن بوجه عام كان يغلب عليه أول الامر التفسير بالمأثور وربما كان رأس المفسرين عبد الله بن عباس ، وتتابع التفسير بالمأثور ، وقام به اناس موثوق بهم ، وآخرون لم ينالوا الثقة كمقاتل بن سليمان ومن على شاكلته من الذين امتلأت تفاسيرهم بالمرويات الضعيفة ، وبالاسرائيليات وغيرها من الاخبار ، ثم جاء ابن جرير الطبرى فألف تفسيره العظيم الذى جمع بين المأثور الصحيح وغيره ، ثم تتابعت كتب التفسير الجامعة بين المأثور والرأى (يراجع محاضرات فى تاريخ الفقه للشيخ فرج السنهورى ص ٧٥) .

السنة تفسر القرآن :

واذا كان القرآن الكريم قد اشتمل فى الاعم الاغلب على القضايا الكلية والاحكام العامة فهو محتاج الى كثير من البيان ، فان الصلاة والزكاة والجهاد ، وأشباه ذلك لم يأت به القرآن الا مجملا فتكلفت السنة ببيان ذلك . قال تعالى : « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » سورة النحل من الاية ٤٤

ومن هذا النص القرآنى يتضح أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هى البيان ، وقد قرر الامام الشاطبى ذلك فقال : لا ينبغى فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر فى شرحه وبيانه وهو السنة . وللامام أحمد بن حنبل كلام منسوب اليه فى ذلك وهو مرتبة السنة من القرآن أهى متأخرة عنه أم مساوية له فى استنباط الاحكام .

يقول الامام أحمد : قد تكون الاية عامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم المعبر عن كتاب الله وما أراد وكذلك قال فى رواية حنبل : السنة مفسرة للقرآن وكذلك قال فى كتابه طاعة الرسول : ان الله جعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه ، وخاصه وعامه ، وناسخه ومنسوخه (مسودة الاصول لال تيمية ص ١٢٢)

واذا فمرتبة السنة متأخرة عنه من حيث الاعتبار لان القرآن هو الذى أثبت حجيتها بقوله تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » وقوله : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » الى غير ذلك من الايات الدالة على ذلك . وهذا ما قرره العلماء ، وأجمعوا عليه فليس بينهم خلاف فى ذلك ، وانما الخلاف فى استخراج الاحكام من القرآن ، هل لابد فيها من السنة أم لا ؟

فقرر الحنيفة والمالكية فيما قرروا أنهم فى استخراج الاحكام من الكتاب لا يقبلون خبر الواحد اذا تعارض مع ظاهر القرآن • ولذلك رد المالكية حديث ولوغ الكلب فى الاناء لمعارضته لظاهر القرآن • والشافعية يتفقون مع الامام أحمد فلا يردون السنة اذا عارضت ظاهر القرآن لانها تفسيره وأنها تخصص عمومه وتحمله على غير ظاهره ، ثم ساق الامام أحمد الايات الدالة على وجوب طاعة الرسول ، ورد بها على من يقدمون ظاهر الكتاب على السنة ، وقد نقل محمد بن أشرس عن الامام أحمد قوله : اذا كان الحديث صحيحا معه ظاهر القرآن وحديثان مجردان فى ضد ذلك فالحديثان أحب الى اذا صحا ، فظاهر هذا كله أن السنة تفسر القرآن وتخصصه •

وقد صنف الامام احمد رضى الله عنه كتابا فى طاعة الرسول رد فيه على من احتج بظاهر القرآن فى معارضة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الاحتجاج بها ، فقال فى أثناء خطبته : « **ان الله جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وانزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه وخاصه وعامه وناسخه ومنسوخه ، وما قصد له الكتاب ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله ، الدال على معانيه ، شاهده فى ذلك أصحابه الذين** ارتضاهم لنبيه واصطفاهم له ، ونقلوا ذلك عنه ، فكانوا هم أعلم الناس برسول الله وبما أراد من كتابه بمشاهدتهم ما قصد له الكتاب فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله وما عمل به من شىء عملنا به •

وكلام الامام أحمد يدل على أمور ثلاثة :

احدها أن السنة تخصص ظاهر القرآن

ثانيها : أن السنة بيان للقرآن ، فلا يطلب البيان من غير طريقها وبذلك يكون الرسول هو المعبر والمفسر للقرآن الكريم •

وثالثها : أن الصحابة الاجلاء هم الذين يتولون مهمة التفسير من بعده لانهم عاصروا الوحى وسمعوا التأويل ، وهم أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتفسيرهم أقرب ما يكون الى السنة •

وقد ألمح الشاطبى الى ما صدر عن الامام أحمد بالنسبة لتفسير القرآن : « واذا كان ما فيه أمور كلية كما فى شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر فى بيانه ، وبعد ذلك ينظر فى تفسير السلف الصالح له أن أعوزته السنة ، فانهم أعرف به من غيرهم • (يراجع الموافقات للشاطبى ج ٣ ص ٣٦٩) •

ومعنى هذا أن الامام أحمد يرى أن التفسير لا يكون بالرأى وانما يكون بالمأثور عن السلف • وقال بذلك ابن تيمية فى رسالته التى كتبها فى التفسير وفيها : « واذا لم تجد التفسير فى القرآن ، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الائمة فى ذلك الى التابعين وقال شعبة وغيره : أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة فى التفسير ، بمعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح • أما اذا أجمعوا على الشىء فلا يرتاب ، فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم على بعض ولا على من بعدهم حجة ، ويرجع فى ذلك الى لغة القرآن او السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة فى ذلك • فابن تيمية يقرر ما قرره الامام أحمد فى تفسير القرآن بالرأى فيستنكر ذلك ولا يراه ، وهذا الاستنكار لا يكون فى محله اذا لم يؤثر فى الاية حديث ولا قول الصحابى ، ومن غير المعقول أن تلغى مهمة العقل فى فهم القرآن لانه من البيان والوضوح بحيث يستطيع كل ذى عقل سليم ونظر مستقيم أن يدرك ما فى القرآن من حكم واحكام • اذا استكمل أدوات التفسير وملك زمام اللغة •

وما كان يمنعه الامام أحمد هو أن يقول قائل فى القرآن برأيه دون نظر فيما قرره العلماء واقتضته مهمة التفسير من علم بالنحو والاصول ، فان الرأى المبنى على قوانين العلم والنظر لا شىء فيه ولا غبار عليه • وقد قرر جواز تفسير القرآن بالرأى علماء كثيرون منهم حجة الاسلام الغزالى ، ولكن الشرط ألا يخرج القرآن تخريجا مذهبيا يخدم قضيته ومذهبه بطريق من التعسف والتكلف •

ولقد حكى القرطبى فى معنى تفسير القرآن بالرأى عن بعض العلماء قوله : « أن يكون له فى الشىء رأى واليه ميل من طبعه وهواه ، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى ، لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ، وهذا النوع لا يكون تارة مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن ليس المراد بالاية ذلك ، ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه » (يراجع تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٢ الطبعة الثالثة دار الكاتب العربى) •

وهذا ما فعله الزمخشرى أحيانا فى تفسير بعض الايات التى تمس من قريب أو بعيد مسائل تتصل ببعض آراء المعتزلة •

السنة مع الكتاب :

ونعود بعد ذلك الاستطراد لنقرر أن الامام أحمد لا يتعدى المأثور عن السلف بعد النظر فى السنة فى فهم القرآن واستنباط الاحكام منه ، وعنده أن ظاهر القرآن لا يرد السنة ، ذلك لان السنة هى التى تخصص عمومه وتقيد مطلقه ، وتفصل مجمله ، وابن القيم يوضح رأى الامام أحمد فى هذه القضية فيقول :

والسنة مع القرآن على ثلاثة اوجه :

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الادلة وتضافرها •

الثانى : أن تكون **بيانا لما اريد بالقرآن وتفسيرا له** •

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن ايجابه ، أو محرمة لما سكت عن تجريمه ولا تخرج عن هذه الاقسام • فلا تعارض القرآن بوجه ما ، فما كان منها زائدا على القرآن ، فهو تشريع مبتدأ من النبى تجب طاعته ، ولا تحل معصيته ، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله بل امتثالا لما أمر الله به من طاعة رسوله ، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطاع فى هذا القسم ، لم يكن لطاعته معنى ، وسقطت طاعته المختصة به ، وأنه اذا لم تجب الا فيما وافق القرآن ، لا فيما زاد عليه ، لم يكن له طاعة خاصة تختص به ، وقد قال الله تعالى : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » ، وكيف يمكن لاحد من أهل العلم أن لا يقبل حديثا زائدا على كتاب الله ، فلا يقبل حديث تحريم المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا حديث التحريم بالرضاعة لكل ما يحرم من النسب (يراجع أعلام الموقعين جـ ٢ ص ٣١٤ وما بعدها طبعة بتحقيق عبد الرحمن الوكيل) •

فالسنة فى نظر الامام أحمد سواء أكانت متواترة أم أحاديث آحاد حاكمة على القرآن الا أن الامام أحمد كان يتورع فى التعبير فلا يقول هذا القول ، ولكن يقول : ان

السنة تفسر الكتاب وتبينه . فاذا ورد فى القرآن ما يدل على العموم فانه لا يعمل على العموم فى الحال . بل ان الامر يتطلب البحث عن دليل التخصيص فان وجد حمل اللفظ على الخصوص وان لم يوجد حمل حينئذ على العموم .

ومن اجل هذا النظر اعتبرت السنة عند احمد حاكمة على القرآن من حيث هى بيانه ، ومقررة لاحكامه . وان الامام الشاطبى المالكى يقرر أن السنة قاضية على الكتاب وفى ذلك يقول :

(السنة عند العلماء قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة لان الكتاب يكون محتمل لامرين فاكثر ، فتاتى السنة بتعيين أحدهما ، فيرجع ويترك مقتضى الكتاب ، وايضا فقد يكون ظاهر الكتاب أمرا فتاتى السنة فتخرجه عن ظاهره .. وحسبك أنها تقيد مطلقة ، وتخصص عمومه ، وتحمله على غير ظاهره .. فالقرآن آت بقطع كل سارق ، فخصت السنة من ذلك سارق النصاب المحرز وآتى بأخذ الزكاة من جميع الاموال ظاهرا فخصصته السنة بأموال مخصوصة ، وقال تعالى : « واحل لكم ما وراء ذلكم » فأخرجت من ذلك نكاح المرأة على عمتها أو خالتها .

ومن هذا يتضح أن السنة توضح الكتاب ، وترشد الى ما يراد منه من أحكام عند الامام أحمد ولعله فى هذا المسلك قد تأثر بالامام الشافعى حين التقى به فى مكة ودرس عليه الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله . ومما يؤيد ذلك أن الامام أحمد قد أعجب بالامام الشافعى وبطريقته وهذا الاعجاب جعله يلتقى مع الشافعى فى اعتبار السنة مفسرة للقرآن ، وهذا يتفق مع نزعته الاثرية .

ولذلك فانه لا بأس اذا استعنا فى توضيح المذهب الحنبلى بما جاء فى الرسالة عن الشافعى . ولقد قسم الشافعى ما جاء فى القرآن الى قسمين :

الاول : لا يحتاج الى بيان مثل آية اللعان ، فان فيها البيان من حيث حقيقة اللعان وعدده ، وموضعه وان لم تذكر النتائج المترتبة عليه ، وهذه قد بينتها السنة ، ومنها آية الصوم ، فقد بينته السنة بيانا كاملا من حيث وقته وأعذاره أو أن السنة قد قررت هذا البيان ثم ذكرت سائر الاحكام الخاصة بالصيام .

الثانى : الا يكون البيان فى القرآن على وجه الكمال ، ويحتاج الى السنة ، وقد ضرب لهذا امثلة ، نقسمها الى ثلاثة أنواع :

النوع الاول : أن يكون الكلام محتملا احتمالين ، فتعين السنة أحدهما ومن ذلك قوله تعالى فى شأن المطلقة طلقة ثالثة « فان طلقها ، فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » فاحتمل ذلك أن يتزوجها ، غيره ولو لم يدخل بها ، وأن عقد النكاح كاف لاحلالها لزوجها الاول واحتمل الا يحلها حتى يدخل بها ، لان اسم النكاح يصدق بالاصابة كما يصدق بالعقد ، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة طلقت الثلاثة وتزوجها بعده رجل (لا تحلين له حتى تذوقى عسيلته ، ويذوق عسيلتك (تعين أن الاحلال لا يكون الا بنكاح حصل فيه دخول .

النوع الثانى : أن يكون القرآن مجملا فيذكر النبى صلى الله عليه وسلم المفصل ، وكذلك شأن أكثر الفرائض ، فالصلاة مفروضة فى القرآن اجمالا ، فى مثل قوله تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » والزكاة مفروضة اجمالا فى قوله تعالى : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ، وكذلك الحج ، وهكذا ...

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد الصلوات ، وكيف تكون فى السفر وفى الحضر ، وكذلك الزكاة بينت السنة المقادير الواجبة فى كل نوع من أنواع الاموال ، وشروط هذا الوجوب ، وبينت السنة مناسك الحج ومواقيته ، وما يتبع ، فكانت السنة فى هذا تفسيرا للقرآن .

النوع الثالث : بيان الخصوص فى العام ، فاذا كان لفظ القرآن عاما ، وجاء من السنة ما يدل على خصوصه ، كان ذلك الخصوص تفسيرا له ، وبيان أنه أريد به الخاص .

ومن عام القرآن الذى اريد به الخاص ، ودلت السنة على ذلك التخصص فى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » فهذه الاية الكريمة بعمومها تفيد أن من يسرق شيئا تقطع يده ، سواء أكان قليلا أم كثيرا ، ومهما يكن نوع المسروق ولكن سن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا قطع فى ثمر ولا كثر ، (والكثر بفتحتين : جمار النخل) والا يقطع الا من بلغت سرقته ربع دينار فصاعدا ، فكان لفظ القرآن عاما ، او ظاهره الدلالة على العموم وأريد به الخصوص بتخصيص السنة ، وهو أنه لا قطع الا من سرقة محرز وبلغت سرقته ربع دينار . ومن العام الذى أريد به الخاص آية المواريث فقد قال تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين ، فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث : فان كان له أخوة فلامه السدس .. » ثم قال تعالى : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم » .

فان هذه الايات تفيد بعمومها أن الوصيه مقدمة على الميراث أيا كان مقدارها ، فجاءت السنة وبينت ان الوصية التى تقدم على الميراث هى الوصية التى لا تزيد على الثلث فكانت الايات بذلك مخصصة اريد بها كلها الخاص وان كان اللفظ عاما . (يراجع ابن حنبل للمرحوم الشيخ محمد ابى زهرة ص ٢١٣) .

وقد اعتبر ابن حزم « أن التخصيص والاستثناء نوعان من أنواع البيان لان بيان الجملة قد يكون بتفسير كيفياتها وكمياتها دون أن يخرج من لفظها شىء يقتضيه فى اللغة ، كقوله تعالى : « وآتوا الزكاة » فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهية الزكاة المأمور بايتائها ، دون أن يخرج من لفظ الزكاة شيئا ، وكذلك ما فسر عليه الصلاة والسلام من صفات النكاح والحج وغير ذلك ؛

فاما وجوه البيان التى ذكرنا من التفسير والاستثناء والتخصيص فقد يكون بالقرآن للقرآن ، وبالحديث للقرآن ، وبالاجماع للقرآن ، وقد يكون بالقرآن للحديث ، وبالحديث للحديث وبالاجماع المنقول للحديث . (يراجع الاحكام فى أصول الاحكام لابن حزم جـ ١ ص ٧١) .

للبحث بقية ان شاء الله

العقل واللب والقلب في القرآن الكريم

الامة التى لها الحظ الاوفر من الحرية ولها ابناء يحسنون استعمالها هى ارقى الامم بلا خلاف مهما صغر اتساع اراضيها وقل عدد سكانها • فان فى ذلك قوة أدبية عظيمة تسمو بها فوق الممالك الاخرى وتضمن لها حياة طيبة وسعادة مرضية بل تحميها وتذود عن استقلالها اكثر من قوة المدفع والسلاح • وبالجملة ان الحرية (من حيث هى) ، استقلال العقل واللب والارادة ونظافة القلب وطهارة النفس وحسن الخلق من الحاكم والمحكوم وانطلاق اللسان من قيود العبودية لاى شىء ، الا لله جل جلاله فهى واجبة له سبحانه ، ولانه خالق الانسان وواهب العقل ، وهو خالق النفس البشرية التى هى ذات الانسان روحا وجسدا وعقلا ولبا وقلبا ، ومن اجمل هذه الحريات واحسنها « حرية الاعتقاد » وهى اقدسها اذ يتوجه الدين بالانسان لاخلص شعور فيه ، فيخاطب اللب ويناجى القلب ويستصرخ العقل ، والدين هو المنقى للنفس من الشوائب والادران (لا اكراه فى الدين) •

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

والعقل له ثلاث نوافذ ، نافذة فهم • ونافذة وعى ، ونافذة ادراك • فلو فتحت نافذة الفهم والادراك واغلقت نافذة الوعى كان صاحب هذا العقل (غبيا) ، ولو فتحت نافذة الوعى والادراك واغلقت نافذة الفهم كان صاحب هذا العقل (بليدا) ، ولو فتحت نافذة الفهم والوعى واغلقت نافذة الادراك كان صاحب هذا العقل سىء الخلق شريرا لايميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح لانه فقد حاسة التمييز المتولدة عن الادراك • اذا لكى يكون الانسان كاملا لابد له من فهم ووعى وادراك ، ثم بالدين الذى يقوده الى حرية أكثر فاعلية واتزانا وحسنا وكمالا وجمالا ثم منه الى خلق قويم يصل بها الى طريق الله المستقيم •

اما اللب فقد اجمعت التفاسير كلها أنه هو العقل ، ولكنه هو غير ذلك ، هو خزينة الذاكرة التى تمد العقل بالتذكر والفكر المستنير وله باب واحد ولا نوافذ فيه فان اغلق هذا الباب تاه العقل فى دوامة الغفلة والسهو والنسيان وعلى قدر انفتاح باب اللب يصيب الانسان الذكاء ويكون العمل صحيحا والاتجاه سليما (**اقتلت نفسا زكية بغير نفس**) • ولسوف نؤيد قولنا بما ورد فى كتاب الله فنقول •

هناك شىء آخر اسمه (الروح) فهل لها مع العقل واللب والقلب طريق أو سلطان نقول نعم ، الروح لها سلطان الحياة ، وبدونها لا حياة ولا عقل ولا لب ولاقلب ، ورغم ما وضح من الاية الكريمة (**قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) الا أننا نرى لعلماء الصوفية وغيرهم من العلماء من سار يسبح فى متاهات من التفاسير والشرح للروح ، وعندما تقرأ له ما كتب وما رمى اليه تخرج من الموضوع بلا موضوع ولا يزال الى اليوم لم نصل الى ماهية الروح ولن نصل •

لقد خاطب الله جل جلاله (الفكر ، واللب ، والسمع ، والعقل ، والعالم « بكسر اللام ») فى آية واحدة ، وقد جاء هذا الخطاب لكل هؤلاء مرة واحدة ، ولكل واحد درجة تنبيه ومعيار خاص لصنف خاص به فى التخاطب للايقاظ • قال الله تعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون) ، •• لم التفكر هنا ؟ لان هذه الايات ترمى الى مخلوق انسانى مرئى ملموس من جنسه ونفسه محبوب مألوف ويلفت النظر ويفتح باب اللب الذى هو مخزن الذاكرة العقل ويشد الانتباه ويوقظ الحواس ، بل فيه روحانية ظاهره هى

(المودة) لا تحتاج الى دليل ، وفيه قوة دافعة هى (الرحمة) الموجدة للمحبة التى لا ينكر أمرها . ولا ينكر تأثيرها فى الروح والقلب والعقل • فالخطاب والتوجيه هنا لقوم يتفكرون سوف يأتى بالنتيجة المطلوبة المرضية ، وعندئذ يحصل الايمان والتصديق بقدرة الله وسلطانه •

ثم قال الله تعالى (**ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين**) • لم التخاطب هنا للعالمين ؟ لانهم قوم تعلموا الكلام وتفقهوا فى البيان وتفهموا طرق البحث والتنقيب بحثا وراء المعرفة فى أى مكان وزمان ، فخاطبهم الله جل جلاله بهذا فى خلق السموات والارض لان خلقهما يحتاج الى بحث دقيق ووقت طويل ربما وصل الباحث العالم فاهتدى الى نتيجة ترضيه أو لم يهتد فحول رأيه الى طريق آخر بحثا وراء العلم ونواحيه • كذلك اختلاف الالسن ولون البشرة فى الانسان ، واختلاف الالسن فى الانسان المقصود به اللغة من حيث هى ، ولكل أمة لغة بل فى كل قرية لغة ، أما اللون فهذا أسود وذاك أبيض وآخر (أشعل) شديد البياض ، وربما كان الاب والام لونهما يميل للسواد فجاء المولود (اشعل) ولهذا كان الخطاب والتنبيه من الله جل جلاله الى (العلماء) الذين يبحثون وراء المعرفة فيتبعون فى بحثهم الطريق الى قدرة الله جل جلاله وعظمتها

وليقفوا عند حدود الادب فى بحثهم حتى يصلوا الى المقصود ٠

٠٠٠ ثم جاء بعد ذلك دور العقل فقال الله تعالى (**ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون**) ٠ انها أخطر الايات وادقها وأشقها بحثا ووقعا على الانسان ٠٠ انه البرق تارة يخيف وتارة يجعلنا محل طمع فى رحمة الله ، فمن ورائه الغيث والمطر ، ومن ورائه أيضا السيل والخطر ، ثم الماء الذى ينزل من السماء الى الارض لتحيا به فتثمر بما يحيى به الانسان والحيوان وكل كائن حى يدب عليها مهما اختلفت خلقته ونوعه (**وجعلنا من الماء كل شىء حى**) انه رزق تحت أطار الامل ، والامل يحتاج الى استعمال وظائف العقل ككل للدراسة بحكمة وتؤده وتعقل ثم يقول الله فى اية اخرى ايضا للعاقلين (**ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون**) انه ايضا أمل فى الرزق تحت سلطانه يحتاج الى استعمال العقل للدراسة بحكمة وتؤدة وتعقل واتزان فى الفكر ٠ وفى كتاب الله اكثر من ثلاثين آية بهذا المعنى ٠

٠٠٠ يقول بعض العلماء (وهذا من كلام دكتور عبد المنعم بدر) ، ان العقل محله المخ وعلى وجه التحديد فى أسفل المخ ٠ لان المخ مجمع لكل مراكز الملكات والاحساسات والذاكرة والسمع والانفعالات والعواطف العليا وارسال واستقبال حركات الجسم الارادية فهو يستمد منها ويعطيها فى تناسق تام لايجاد الكمال العقلى ٠ **اما الصوفية فقالوا ان العقل شعاع نورانى يصل القلب بالمخ ومركزه منتصف المخ**) ٠وربما كان هذا أقرب الى الصحة لحد ما ٠

ومعنى هذا أن رأينا ينطبق على هذا التحليل الذى قسمنا به العقل البشرى (**فهم ووعي وادراك**) واوضحنا مميزات كل باب منها ٠ الا اننا نقول (**والراى من عندنا**) ان اللب هو جزء فى أسفل المخ البشرى وان كان العلماء اطلقوا عليه (**جزء السمع والذاكرة والعواطف العليا**) ولب الشىء أى قلبه أو داخليته بما فيها من فوائد وثمار ٠ ولهذا كان خطاب **الله سبحانه (افلا تعقلون)** بدرجات فيما نبههم اليه وشدهم **فيه** ٠ والى (**اولى الالباب**) أيضا فيما نبههم اليه وشدهم **فيه** ٠

ان الله جل جلاله جعل للعقل اقفالا فلا يصل اليه ما ينيره ويشعل ليه ليهتدى لصاحبه الى الطاعة لله ولرسوله ولعمل الصالح المشكور المنتج قال الله تعالى « **صم بكم عمى فهم لا يعقلون**) فالصمم صاحبه لا يسمع والسمع من أبواب وصول الكلام للانسان ، والبكم أيضا يمنع الانسان من التعبير والسؤال ، والعمى أيضا وان كان المقصود به عمى القلب والبصيرة أو البصر سيان كلهذه أمور لو توفرت عند الانسان أصابت العقل بعدم التعقل ومن هنا يضل العقل بصاحبه ، **وعلى ذلك فالعقل يدرك ما يلائمه فى حدود وظائفه فقط (وما اوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون) (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون)** ٠

أما ما خاطب الله به الى أولى الألباب قال جل جلاله (**هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات**) الى أن قال (**كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب**) سورة آل عمران (٧) وقال أيضا (**ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب**) آل عمران (١٩٠) وقال أيضا (**هدى وذكرى لاولى الالباب** (الرعد ١٩ ٠ **وقال أيضا (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب**) ٠ وقال أيضا (**ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب**) غافر ٥٤ ٠ وقال ايضا (**وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الالباب**) ٠ نرى فى هذه الايات مسبوقة بكلمة (يذكر) وبعضها (ليتذكر) وبعضها (ذكرى) ومعنى هذا أن اللب هو خزينة الذكرى للعقل فان ضعف أصاب الانسان مرض السهو والنسيان والغفلة كما نرى ايضا ان الخطاب لاولى الالباب قاصر على الامور العلمية « **فالكتاب**) هو كتاب الله يحتاج الى مذاكرة ودرس وتحصيل **حتى لا ينسى** ومن مداومة هذه المذاكرة وهذا التحصيل **يحدث الايمان** والتصديق بكتاب الله وقدرة الله ورزق الله ثم الى **هدى** وصراط مستقيم ٠ ثم نجد ان هناك آية هى مثل الايات التى توجه الله بها الى أصحاب العقول وهى (**خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار**) ولم **يكن معهما شىء عن** الماء والسحاب وما ينبت فى الارض الخ مما سبق ذكره فى الايات السابقة ولهذا كان الاتجاه الى هاتين الحالتين فقطهو للثبات على الذكرى وعدم النسيان **ولانهما متلازمتان فى** الرؤية وفى البقاء وفى المشاهدة والتتابع أمام أصحاب اللب والفكر ٠ وفى استمرار التطلع اليهما وتذاكر **امرهما آيات** تبعث على التصديق بقدرة الله **جل جلاله الذى خلق كل شىء ثم هدى** ٠

ورد اسم آخر للعقل وكذلك للب قال الله تعالى (**ان فى ذلك لايات لاولى النهى** ، واولوا النهى هم اولوا الالباب ٠ وفى سورة الفجر (**هل فى ذلك قسم لذى حجر**) اى لذى عقل ٠ كما وردت كلمة الحجر فى سورة الحجر (**ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين**) ومعنى كلمة الحجر هنا ، هى واد بين المدينة والشام وليس معناها العقل ٠

ياأصحاب العقول والالباب والقلوب ورد عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال : **آمين** ، آمين ، آمين ٠

فقيل له يارسول الله انك صعدت المنبر فقلت **آمين** ، آمين ، آمين ٠ قال عليه الصلاة والسلام ان أخى **جبريل** أتانى فقال ٠

١ ـ (**من ادرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فابعده الله**) ٠ قل آمين ، فقلت آمين ٠٠ وهاهو ياأصحاب العقول والالباب والقلوب ، رمضان اتى فاغتنموا فيه الخير ٠

٢ ـ (**من ادرك أبويه او احدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فابعده الله**) ٠ قل آمين فقلت آمين ٠٠ فلعلكم ياأبناء هذا الجيل تعترفون للوالدين بحقوقهم فتبروهم بالطاعة ٠

٣ ـ (**ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله**) ٠ قل آمين فقلت آمين ٠٠فلعل قساة القلوب يعترفون ان فى الصلاة على رسول الله هى من ابواب الخير بل الصلاة عليه هى الخير كله والرزق كله والنور كله بل هى الطريق الموصل للجنة ونعيمها ٠

يانساء هذا الزمن احتشموا ولا تكن فتنة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى فالرسول الكريم رأى النار عند اسرائه فقال (**رأيت اكثر نازليها النساء**) فهذا شهر رمضان الكريم يحتاج الى أصحاب العقول وذوى الالباب والقلوب السليمة والنفوس الطاهرة لعبادة رب كريم فى شهر عظيم فتوبوا الى الله فيه واستقبلوه بالطاعة ٠

(**ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**)

ولا وقاية الابالطاعة لله ولرسوله والعمل بكتاب الله حكما وعلما واتباعا ٠

من هدى القرآن

قال تعالى « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة اناهدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين منوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »

الدكتور أحمد عمر هاشم

كان دعاء سيدنا موسى عليه السلام متضمنا معيشة حسنة والتوفيق للطاعة معللا طلب الحسنة فى الدنيا وهى ما بينا من حسن المعيشة والتوفيق للطاعة ، وطلب الجنة فى الاخرة بقوله « انا هدنا اليك » اى تبنا اليك فأجابه الله بقوله قال « عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء » اى أنها وسعت كل شىء فى الدنيا من المؤمنين والكافرين والمكلفين وغير المكلفين واما فى الاخرة فسيكتبها أى يثبتها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين آمنوا بآيات ربهم واتبعوا رسوله · الذى وجدوه مكتوبا سما وصفة فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، ويعنى ذلك أنه جاء ليخفف عنهم التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى القتل العمد والقتل الخطأ وقطع الاعضاء التى تخطىء وقرض موضع النجاسة فجاء رحمة للعالمين فالذين آمنوا به وعزروه أى عظموه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه وهو القرآن أولئك هم المفلحون ، ان هؤلاء المذكورين هم الذين يفوزون برحمة الله التى وسعت كل شىء ·

قال الراغب فى المفردات : الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الاحسان المجرد ، دون رقة نحو : رحم الله فلانا واذا وصف بها البارى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة · ولا يطلق الرحمن الا على الله تعالى من حيث ان معناه لا يصح الا له اذ هو الذى وسع كل شىء رحمة والرحيم فى غيره وهو الذى كثرت رحمته قال تعالى « ان الله غفور رحيم » وقال فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ، وقيل ان الله رؤوف رحيم وقيل : ان الله تعالى هو رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وذلك أن احسانه فى الدنيا يعم المؤمنين والكافرين وفى الاخرة يختص بالمؤمنين وعلى هذا قال « ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الخ الايات بينها على أنها فى الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين وفى الاخرة مختصة بالمؤمنين · والناظر الى رحمة الله تعالى يجد أنها سابقة ووافرة وكل سور القرآن الكريم افتتحت بوصف الرحمة لله « بسم الله الرحمن الرحيم » ومن استغفار الملائكة للمؤمنين التائبين الذين اتبعوا سبيل الله : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » ·

وقد لفت الرسول صلى الله عليه وسلم أنظار أصحابه الى رحمة الله فى صورة محسوسة يمثلها لهم عندما رأى أما تضم طفلها فى شفقة ورحمة فقال « أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ » قال أصحابه لا ، والله يا رسول الله · قال « الله أرحم بعباده من هذه بولدها كما أبرزت السنة الشريفة مقدار ما ادخره الله من رحمته يوم القيامة قال صلى الله

عليه وسلم « جعل الله الرحمة مائة جزء وانزل فى الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » رواه البخارى ٠

ولقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم خلق الرحمة فى كل سلوكه وترجمتها أقواله وأفعاله لان الرحمة سر مبعثه وجوهر رسالته قال تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقال صلى الله عليه وسلم « انما أنا رحمة مهداه » ولم تبرح الرحمة قلبه الشريف حتى فى أحلك الاوقات ومع أعدائه ، ففى يوم احد عندما حاول الكفار أن يغتالوه نظر الى أصحابه ورأى ما هم فيه من شدة وما هو فيه من شدة فقد شق خده وسقطت سنة وقيل له : ادع على المشركين فقال « اللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون » أما أصحابه صلى الله عليه وسلم فقد مثلوا المجتمع المؤمن الرحيم « أشداء على الكفار رحماء بينهم » وذكر الشدة هنا لتقويم من يخشى منه فيحصره خطره وفى هذا رحمة له وللمجتمع ٠ ومن رحمة الله بالانسان : ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » رواه الشيخان ٠

ومعنى الحديث أن الله قدر جزاء الحسنات والسيئات وأمر ملائكته بكتابة ذلك ٠ فمن هم بحسنة أى طاعة والمراد بالهم : الارادة وهى مرتبة دون مرتبة التصميم وهو يفيد ترجيح الفعل على الترك وقيل المراد بالهم العزم « فلم يعملها » بسبب أمر خارج عن ارادته فان من رحمة الله انه يكتبها له حسنة كاملة ويأمر الملائكة بكتابتها أما اذا عملها فرحمة الله أوسع من أن يأخذ ثوابها فحسب بل ان الله يكتبها عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة أما السيئة فان هم بها فلم يعملها خوفا من الله كتبها الله عنده حسنة وفى الحديث القدسى « اذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة » رواه البخارى ٠ ويحتمل أن هذا الجزاء لكل من تركها الا أن من تركها خوفا من الله جزاءه أكثر من غيره أما اذا عملها فان الله يكتبها سيئة واحدة ، قال تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون » وبهذا يتضح لنا مدى رحمة الله الواسعة فيما يتعلق بالثواب والعقاب ٠

وكما شرع الله تعالى رحمته لعباده شرع لرحمته الانسان بنفسه طرقا كثيرة ورخصا عديدة فى العبادات فشرع التيمم فى الطهارة والافطار فى الصيام للمسافر ومن به عذر والقصر والجمع والتخفيف فى الصلاة يقول صلى الله عليه وسلم « انى لاقوم الى الصلاة وأريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فاتجاوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه » ومن تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم التى تداركت الانسان بالرحمة وخلصته من التردى فى المعتقدات الفاسدة أو العدوى المهلكة من تعاليمه فى ذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الاسد » فقد نفى هذا الحديث أمورا فى نفيها رحمة للعقيدة : « لا عدوى » أى لا تؤثر بذاتها بل بارادة الله تعالى « ولا طيرة » أى لا تشاؤم بالطير فانه لا يعلم الغيب الا الله « ولا هامة » نفى لما كانوا يعتقدونه قديما وهو تمثل روح القتيل بطائر يصيح للاخذ بالثأر « ولا صفر » حيث كانوا يتشاءمون منه فلا يتاجرون ولا يتزوجون فيه ثم أمر بعد ذلك بالفرار من المجذوم - والجذام مرض يتغير منه الجلد ويتأثر وهو يعدى بمجرد القرب منه وبهذا كان الاسلام له فضل السبق على النظم الصحية فى تقرير قواعد الحجر الصحى وأما ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم فذلك ليبين أن الله هو الذى يمرض ويشفى وبيده كل شىء أو لعله الهم أنه لن يصاب بشىء وفى فعله تنبيه على أن العدوى لا تستقل بنفسها بل يفعل الله كما وجه الله تعالى عباده الى الرحمة بالوالدين قال تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ووجههم الى الرحمة بالاولاد فمما ثبت فى ذلك « أتى أبو بكر عائشة وقد أصابتها الحمى فقال كيف أنتيا بنية وقبل خدها » رواه البخارى وتقبيل الرسول صلى الله عليه وسلم للحسن أو الحسين وأما رحمة الاقارب فقد روى عبد الرحمن ابن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى ، أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبعته » أخرجه الترمذى وأبو داود ٠ والحديث بهذا يفتح للرحمة أبوابها ليقبل أهل الخير على صنائع المعروف والبر ٠

ولا تقتصر الرحمة على ما سبق بل أن الاسلام حث عليها فى شتى مجالات الحياة : الرحمة باليتيم عن أبى هريرة أن رجلا شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال « وامسح رأس اليتيم واطعم المسكين » رواه أحمد ٠

والرحمة بالمرضى وذوى العاهات قال تعالى « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » والرحمة بالخدم رفقا بهم وتجاوزا عن هفواتهم عن أبى مسعود البدرى : كنت أضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفى : اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يقول « اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار » ولا تقتصر الرحمة على الانسان بل انها تشمل الحيوان رفقا به وعطفا عليه وهكذا نرى كيف اتسعت دائرة الرحمة فى الاسلام حتى شملت القريب والبعيد والانسان والحيوان : ولا غرابة فى هذا فان الله تعالى هو الرحمن الرحيم وارسل رسوله رحمة للعالمين فالرحمة هى جوهر الرسالة السماوية وفى ظلها تنعم الامم بالامن والاستقرار ولن تستقر الامم وتسعد الشعوب برحمة ربها الا اذا طبقت مبادىء القرآن والسنة طاعة لله والرسول كما قال تعالى « واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون »

التشريع الإسلامى

التطبيق المعاصر لزكاة المال

الزكاة تكليف متعلق بالمال نفسه

اتفق الفقهاء على ان النية ليست بشرط فى زكاة الزروع والثمار ، وجمهور الفقهاء على أن النية ليست بشرط فى كل أنواع الزكوات ولم يخالف الا الحنفية فى غير الزروع والثمار • واذا كانت النية غير مشترطة فلا حاجة الى البلوغ والعقل لانهما شرطان لسلامة النية وهما مناط التكليف الدينى ، ولذلك تؤخذ زكاة المال عند جمهور الفقهاء من مال المجنون والصبى ولو كان غير مميز ، أى تؤخذ ممن لا تعتبر فيهم النية ، ولا يعتبر فيهم القصد والارادة فلا يشترط فى الاشخاص الذين تجب الزكاة فى مالهم التكليف الدينى وأساسه البلوغ والعقل •

وانما اشترط الحنفية البلوغ والعقل لوجوب الزكاة فلان التكليف لا يتحقق دونهما ولان الزكاة عندهم عبادة محضة والمجنون والصبى ليسا بمخاطبين فى العبادة فلا يجب عليهما كما لا يجب عليهما سائر أركانه ولان من شرطها النية وهى لا تتحقق منهما ولا تعتبر نية الولي لان العبادة لا تتأتى بنية الغير ولا يلزمنا الوكيل لانا لا نعتبر نيته وانما نعتبر نية الموكل •

أما جمهور الفقهاء فيرون أن البلوغ والعقل ليسا بشرط لوجوب الزكاة كقوله عليه الصلاة والسلام « ابتغوا فى مال اليتامى خيرا كى لا تأكله الصدقة » ولقوله صلوات الله وسلامه عليه « من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة » • والزكاة عندهم حق مالى فتجب فى مال المجنون والصبى كنفقة الزوجات والاقارب •

وروى عن أحمد بن حنبل ان الزكاة تؤخذ من مال الجنين ولو كان لم يخرج الى نور الوجود وأما الشافعية فقالوا أن الزكاة لا تجب فى المال المنسوب الى الجنين اذ لا وثوق بوجوده وحياته وقيل تجب فيه اذا انفصل حيا •

ويقول ابن قدامة : ان الزكاة تخالف الصلاة والصوم ، فان الصلاة والصوم تمتصه بالبدن وبنية الصبي ضعيفة منها والمجنون لا يتحقق منه نيتها ، والزكاة حق يتعلق بالمال فأشبه نفقة الاقارب والزوجات وأروش الجنايات وقيم المتلفات وتعتبر نية الولى فى الاخراج كما تعتبر النية من رب المال •

ويقول ابو عبيد : « حدثنا حجاج عن ابن جريج عن يوسف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ابتغوا بأموال اليتامى لا تذهبها الزكاة » قال : وحدثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى كلاهما عن حسين المعلم عن مكحول ، وعن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر بن الخطاب « ابتغوا بأموال اليتامى لا تذهبها الزكاة »

وقال : حدثنا عياد بن العوام عن داود عن أبى هند عن الشعبى أن عمر بن الخطاب ولى مال يتيم فقال : « ان تركنا هذا أتت عليه الزكاة » يعنى ان لم يعطه فى التجارة

الدكتور شوقى إسماعيل شحاته

ويقول : « فالامر عندنا على الاثار التى ذكرناها عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه البدريين وغيرهم ثم من بعدهم من التابعين أن الزكاة واجبة على الصبى فى ماله مع ماذكرنا من تاويل هذه الوجوه • وكذلك المعتوه هو عندى مثل الصبى فى ذلك كله • واما سائر أهل العراق سوى سفيان ومن قال بقوله فلا يرون فى مال الصغير زكاة وكذلك المعتوه عندهم وانما قاسوا ذلك بالصلاة • وقالوا انما تجب الزكاة على من وجب عليه فرض الصلاة • والذى عندى فى ذلك أن شرائع الاسلام لا يقاس بعضها ببعض لانها أمهات تمضى كل واحدة على فرضها وسنتها وقد وجدها مختلفة فى أشياء كثيرة •

١ ـ منها أن الزكاة تخرج قبل حلها ووجوبها فتجزىء عن صاحبها فى قول اهل العراق وان الصلاة لاتجزىء الا بعد دخول الوقت •

٢ ـ ومن ذلك أن الزكاة تجب فى ارض الصغير اذا كانت أرض عشر فى قول الناس جميعا وهو لاتجب عليه الصلاة •

٣ ـ ومما يباعد حكم الصلاة من الزكاة ايضا أن الصلاة انما هى حق يجب لله عز وجل على العباد فيما بينهم وبينه وأن الزكاة شىء جعله الله حقا من حقوق الفقراء فى أموال الاغنياء •

ونحن نختار راى جمهور الفقهاء ونرى الاخذ بمبدأ عدم اشتراط العقل والبلوغ وهما أساس التكليف الدينى لوجوب الزكاة فى مال الشخص الطبيعى ومن ثم فان الزكاة حق يتعلق بالمال نفسه اى فريضة مالية وحق مالى بلغة الفقهاء أو ضريبة بلغة العصر تفرض على الاموال الخاضعة للزكاة بصرف النظر عن المالك لها وتحقق شرط التكليف الدينى فيه أو عدمه فهى بمثابة استقطاع ضريبى من المال الخاضع للزكاة والتزام مالى يؤخذ من المال سواء أكان الملتزم به مكلفا أو غير مكلف •

ونضيف الى ما تقدم أن مقدرة الممول وغناه وطاقته المالية لا تتاثر بكونه صبيا أو مجنونا بالغا أو عاقلا وعدم العقل أو عدم البلوغ لا يمسان طاقة الممول الضريبية ومركزه المالى وكونه غنيا كما أن اسقاط الزكاة فى مال الصبى أو المجنون فيه اخلال بمبدأ العدالة الضريبية وفيه اخلال بمبدأ العمومية بعدم اخضاع هذه الاموال للزكاة وأفلاتها من تحمل العبء الضريبى •

لذلك كله نرى معالجة زكاة المال كتكليف متعلق بالمال نفسه وأنه لا يشترط التكليف الدينى ـ البلوغ والعقل ـ فيمن تجب الزكاة فى ماله أخذا بما اتفق عليه الفقهاء فيما عدا الحنفية فى غير زكاة الزروع والثمار •

وفى ضوء هذا الاطار نقدم المبادىء الاتية :

ـ عدم سقوط الزكاة بموت المالك :

أجمع الائمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد على عدم سقوط الزكاة بموت المالك وعلى أن تخرج من ماله ولو لم يوصى بها وذلك لانها حق فى المال تعلق به • وأما الحنفية فجعلوها اذا أوصى بها وصية تخرج من الثلث ويزاحم بها أصحاب الوصايا واذا لم يوصى بها سقطت لانها عندهم عبادة من شرطها النية فسقطت بموت من هى عليه كالصوم • ويرد الحنابلة على ذلك بقولهم انها حق واجب تصح الوصية به فلم تسقط بالموت كدين الادمى ولانها حق مالى واجب فلم يسقط بموت من هو عليه كالدين ويفارق الصوم والصلاة فانهما عبادتان بدنيتان لا تصح الوصية بهما ولا الانابة فيهما •

٢ ـ أخذ الزكاة من المتوفى الذى لم يؤدها :

يقرر الشافعية أن الزكاة التى لم تؤد حتى الوفاة اذا كان المال الذى وجبت فيه قائما فانها تؤدى منه لانها متعلقة به ، وتقدم على ديون العباد فى ذلك المال • واذا كان المال الذى وجبت فيه الزكاة غير قائم بذاته فى ملك المتوفى عند وفاته ففى ذلك رأيان أحدهما أن ديون العباد تكون أسبق فى الاداء وثانيهما أن يكون فى مرتبة ديون العباد •

ويرى الشافعية أن هذا الامتياز بدين الزكاة وتقديمه على دين الادمى اذا اجتمعا فى تركته هو تقديم لدين الله وفى حديث الصحيحين فدين الله أحق بالقضاء • أما اذا كان المال الذى وجبت فيه الزكاة غير قائم بذاته فى ملك المتوفى عند وفاته فانه على القول الثانى عند الشافعية بان الزكاة تكون فى مرتبة ديون العباد وأنهما أى دين الزكاة وديون العباد يستويان فيوزع المال عليهما فذلك ـ كما يقول الاستاذ الشيخ أبو زهرة ـ لان هذه الديون وان كان المطالب بها هو الله سبحانه وتعالى هى حق الفقير والمسكين والسائل والمحروم ، فهى أيضا من حقوق العباد ، وقد قدس الله سبحانه وتعالى حقه فتولى المطالبة بها بهذه التكليفات الشرعية •

ويقرر المالكية ان الزكاة اذا لم تؤد ومات عنها تكون دينا فى التركة ، ولكنها لا تكون فى قوة ديون العباد بل تكون ديون العباد أقوى وأسبق فى الاداء منها ، وعلى ذلك اذا وسعت التركة الديون جميعها أدى دين الزكاة ، وان لم تسعها جميعها أديت ديون العباد أولا وما بقى يؤدى منه دين الزكاة فان لم يبق شىء سقط دين الزكاة • وكان الاثم والحساب فى الاخرة على من قصر فى الاداء ان كان من ذوى المقاصد والنيات • وأساس ذلك القول أن الحق الذى له مطالب من العباد أولى بالاداء ، لان الله غنى كريم ، والاول يتولاه الزام القضاء •

وأما الحنابلة فانهم يقررون أن دين الزكاة فى تركة الميت يكون كسائر الديون أى أنه يكون فى مرتبة ديون العباد •

وأما الحنفية فان الزكاة عندهم ـ كما بينا ـ حق دينى وعبادة محضة لا تؤدى الا بالنية فان لم يؤدها من وجبت عليه فى حياته لا تجب فى ماله ولا تؤدى من تركته فيما عدا زكاة الزروع والثمار التى لا يشترط فيها النية فانها لا تسقط بالموت بل تؤخذ من الزرع ان كان قائما عند الوفاة أما اذا كان غير قائم بذاته كان يكون قد استهلك فهناك قولان احدهما انها تكون دينا فى تركته كسائر الديون وثانيهما أنها تسقط لهلاك محلها وذهاب ذمة الميت •

والذى نختاره هو رأى الشافعية فى تقديم دين الزكاة على غيره من الديون أى الامتياز بدين الزكاة اذا كانت الاموال التى وجبت فيها الزكاة قائمة بذاتها ، واعتبارها كسائر الديون بحيث تكون فى مرتبة ديون العباد اذا لم تكن تلك الاموال قائمة فان ذلك ـ كما يقول الشيخ أبو زهرة ـ أحفظ لحقوق الفقراء وأقرب الى مرامى الدين ومقاصده والى معنى التعاون الاجتماعى ، ولان الزكاة فى أصل وضعها حق من حقوق العباد تولى الله سبحانه القيام عليه والدعوة اليه • ولكن ألا يجوز الامتياز بها أيضا •

وتقديمها على سائر الديون وبذلك يكون الامتياز بدين الزكاة وتقديمه على غيره من الديون ساريا سواء كانت الاموال الزكائية التى وجبت فيها الزكاة قائمة بذاتها أو غير قائمة ؟ فى رأيى انه فى ظروف العصر الذى نعيشه وروحه ، وفى ضوء العلاقات الاجتماعية السائدة وانكماش الانفاق فى سبيل الله على وجه التطوع ، وللمحافظة على حقوق الفقراء وموارد الزكاة ، وطالما أنه لا يوجد ما يحول شرعا دون التوسع ـ رعاية للمصلحة العامة ـ فى تطبيق الامتياز بدين الزكاة وتقديمه على غيره من الديون ولو كانت الاموال الزكائية التى وجبت فيها غير قائمة بذاتها فلا مانع من تقرير حق الامتياز بدين الزكاة فى هذه الحالة أيضا •

٣ ـ تعلق الزكاة بالمال تعلق الشركة :

ويرى الشافعية ان الزكاة تتعلق بالمال الذى وجب فى عينه تعلق الشركة بقدرها وفى قول تعلق الرهن بقدرها وقيل بجميعه وفى قول تتعلق بالذمة كزكاة الفطر •

ويدل للاول أنه لو امتنع من اخراجها أخذها الامام من ماله قهرا كما يقسم المال المشترك قهرا اذا امتنع بعض الشركاء من قسمته • وللثانى أنه لو امتنع من ادائها ولم توجد السن الواجبة فى الماشية كان للامام أن يبيع بعضه ويشترى السن الواجبة كما يباع المرهون لقضاء الدين • وللثالث أنه يجوز

اخراجها من غير المال واعتذروا للاول عن هذا بان أمر الزكاة مبنى على المساهلة والارفاق فيحتمل فيه ما لا يحتمل فى سائر الاموال المشتركة ولو كان الواجب من غير جنس المال كالشاة الواجبة فى الابل فقيل لا يجرى فيه قول الشركة والاصح نقدا بأيهما أيسر وأسهل وأكثر للامة لدائنيها وانما خصت بعد وجوب الزكاة قبل اخراجها فالاظهر بطلان البيع فى قدرها وصحته فى الباقى والثانى بطلانه فى الجميع والثالث صحته فى الجميع واما بيع مال التجارة قبل اخراج زكاته فيصح لان متعلقة بالقيمة وهى لاتفوت بالبيع ·

وعند الحنابلة الفقراء بمنزلة الشركاء · يقـــول ابن قدامة انه يجوز التصرف فى النصاب الذى وجبت الزكاة فيه بالبيع والهبة وانواع التصرفات وليس للساعى فسخ البيع بالذكر أعيان الاموال تسهيلا على ارباب الاموال وان من كره الاداء النقدى للزكاة فذلك مخافة أن فى بعض من يدفع الزكاة من يكره ذلك الاداء النقدى · واذا كان الاداء النقدى فى عصرنا الذى نعيشه ايسر وأسهل وأكثر ملاءمة للمولين ولمستحقى الزكاة وأفضل لهم فلا مانع على الاطلاق فى نظر الفقه الاسلامى من أداء الزكاة نقدا فى جميع الاموال ، والفكر الاسلامى يتسم دائما بالمرونة التى تجعله صالحا للتطبيق فى كل زمان ومكان ·

وقال ابو حنيفة تصح الا انه اذا امتنع عن اداء الزكاة نقض البيع فى قدرها وقال الشافعى فى صحة البيع قولان: احداهما لايصح لان الزكاة تتعلق بالعين فقد باع مالايملكه، وان قدرها وقال الشافعى فى صحة البيع قولان : احداهما لا يصح او الزكاة تتعلق بالعين فقد باع مالايملكه ، وان قلنا تتعلق بالذمة تقدر الزكاة مرتين بها وبيع الرهن غير جائز ·

يقول ابن قدامة وان تعلقت بالعين فهو تعلق لا يمنع التصرف فى جزء من النصاب فلم يمنع بيع جميعه كأرش الجنايات فاذا تصرف فى النصاب أخرج الزكاة من غيره والا كلف اخراجها وان لم يكن له كلف تحصيلها [illegible] عجز بقيت الزكاة فى ذمته كسائر الديون ولا يؤخذ من النصـــــاب ويحتمل ان يفسخ البيع فى قدر الزكاة او تؤخذ منه ويرجع البائع عليه بقدرها لان على الفقراء ضررا فى اتمام البيع وتفويتا لحقوقهم فوجب فسخه لقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » وهذا أصح ·

والقول بصحة البيع فى قدر الزكاة على تعلق الشركه لان ملك المستحقين غير مستقر فيه اذ للمالك اخراج الزكاة من غير مالها ، وعلى تعلق الذمة يصح بيع الجميع قطعا ، ولو باع بعض المال ولم يبق قدر الزكاة فهو كما لو باع الجميع وان بقى قدرها بنية الصرف فيها أو بلانية فعلى تعلق الشركة فى صحة البيع وجهان قال ابن الصباغ أقيسهما البطلان لا ن حق المستحقين شائع فأى قدر باعه كأن حقه وحقهم والاول قال ما باعه حقه وعلى الرهن بقدر الزكاة يصح البيع ·

٤ ـ الرهن لا يسقط الزكاة عن الراهن :

يرى الحنابلة انه اذا رهنت ماشية فحال الحول وهى فى يد الدائن المرتهن وجبت زكاتها على الراهن لان ملكه تام فان أمكنه اداؤها من غيرها وجبت لان الزكاة من مؤنة الرهن تلزم الراهن كنفقة النصاب ولا يخرجها من النصاب لان حق المرتهن متعلق به تعلقا يمنع تصرف الراهن فيه والزكاة لا يتعين اخراجها منه فلم يملك اخراجها منه كزكاة مال سواه · وان لم يكن له ما يؤدى سوى هذا الرهن فلا يخلو من أن يكون له مال يمكن قضاء الدين منه ويبقى بعد قضائه نصابا كاملا قبل أن تكون الماشية زائدة عن النصاب قدرا يمكن قضاء الدين منه ويبقى النصاب فانه يخرج الزكاة من الماشية ويقدم حق الزكاة على حق المرتهن لان المرتهن يرجع الى بدل وهو استيفاء الدين وحقوق الفقراء فى الزكاة لا بدل لها ·

وعلى هذا الرأى تجب زكاة الاموال المرهونة على مالكها وهو المدين الراهن لان العين المرهونة تبقى على ملكه وله بحكم الشرع غلتها وثمرتها ونماؤها وما دام النماء له فعليه الزكاة ·

٥ ـ هل تتعلق الزكاة بقدرها بعين المال أم بالذمة ؟

اختلف الفقهاء فى تعلق الزكاة بالعين ام بالذمة وقالوا ان ثمرة هذا الخلاف تظهر فيما اذا حال على المال حولان أو ثلاثة مثلا لم تؤد زكاته أو اذا هلك المال أو بعضه ·

يقول ابن قدامة : انه فى احدى الروايتين عن أحمد وأحد قولى الشافعى فان الزكاة تجب فى الذمة وفى القول الثانى للشافعى انها تجب فى العين وهذه الرواية هى الظاهرة عند بعض أصحابنا لقول النبى صلى الله عليه وسلم « فى أربعين شاة شاة » وقوله « فيما سقت السماء العشر وفيما سقى بدالية أو نضح نصف العشر » وغير ذلك من الالفاظ الواردة بحرف فى وهى للظرفية وانما جاز الاخراج من غير النصاب رخصة ·

وفائدة الخلاف أنها اذا كانت فى الذمة فحال على ماله حولان لم يؤد زكاتهما وجب عليه أداؤها لما مضى ولا تنقص عنه الزكاة فى الحول الثانى · وكذلك ان كان أكثر من نصاب لم تنقص الزكاة وان مضى عليه احوال · فلو كان عنده أربعون شاة مضى عليها ثلاثة احوال لم يؤد زكاتها وجب عليه ثلاث شياه · وان كانت مائة دينار فعليه سبعة دنانير ونصف لان الزكاة وجبت فى ذمته فلم يؤثر فى تنقيص النصاب لكن ان لم يكن له مال آخر يؤدى الزكاة منه احتمل ان تسقط الزكاة فى قدرها لان الدين يمنع وجوب الزكاة ·

وان قلنا الزكاة تتعلق بالعين وكان النصاب مما تجب الزكاة فى عينه فحالت عليه أحوال لم تؤد زكاتها تعلقت الزكاة فى الحول الاول من النصاب بقدرها فان كان نصابا لا زيادة عليه فلا زكاة فيه فيما بعد الحول الاول لان النصاب نقص فيه وان كان اكثر من نصاب عزل قدر فرض الحول الاول وعليه زكاة ما بقى ·

ويقول ابو عبيد . « فهذا حكم صدقة الابل اذا جاءها المصدق فوجدها خمسا فصاعدا : فأما اذا وجدها اربعا وقد كان الحول حال عليها وهى خمس ثم هلكت منهن واحدة فجاء المصدق وهى أربع فان سفيان وأهل العراق قالوا : على ربها أربعة أخماس شاة يذهبون الى أن الصدقة كانت وجبت فيها [illegible] مضى الحول شاة · فلما ذهبت بعض الابل سقط من الصدقة بحساب الذاهب وبقى فيها حساب الباقى · وقال مالك : لا شىء عليه فيها · قال أبو عبيد : أخبرنى بذلك عنه يحيى بن عبد الله بن بكير قال : وقال مالك : انما تجب الصدقة على رب المال يوم يصدق ماله فان هلكت الماشية قبل ذلك لم يحتسب عليه مما هلك شىء انما يؤخذ بما وجده المصدق فى يده وكذلك ان نمت الماشية أخذه بجميع ما يكون عنده بعد الحول ·

قال ابو عبيد : وقول مالك هذا أشبه عندى بسنة الصدقة لانها انما جاءت مطلقة : فى كذا وكذا من الابل كذا وكذا وهذا انما يقع معناه على ما كان موجودا فى أيديهم · ولم يأتى فى شىء من كتب الصدقة ان أهل الماشية يحاسبون بما كانوا يملكونه قبل ذلك ثم هلك ولا يسألون عما ضاع منها ·

وأما الذى اليه أهل العراق فانهم انزلوا الصدقة بمنزلة الدين اذا حال الحول على المال · ولو كانت الصدقة تحل محل الدين لكان ينبغى أن يجب على رب الماشيه فى هذه الخمس التى هلكت احداهن أن تكون عليه الشاة كلها · وكذلك لو هلكت ابله من عند آخرها لانه لا يسقط هلاكها عنه دينا قد لزمه مرة ، وليس الامر عندى الا على ما قال مالك لموافقته تأويل الآثار والسنة ·

فان لم يكن ضاع من هذه الخمس شىء ولكن حال عليها حولان وهى خمس ناقة ثم جاء المصدق فان سفيان يروى عنه

البقيه ص ٥٦

الأمانة

كثيرا ما يستعمل الناس كلمة الامانة ، ولا يكاد استعمالها يتجاوز دائرة محدودة ترتبط بجانب جد محدود من سلوك الافراد اليومى وخصوصا فى دائرة المعاملات المرتبطة بالمال ، وهذا المعنى يرتبط ارتباطا وثيقا بأذهان العامة من المسلمين ومبعثه الايمان الشعبى الساذج ، أما الخاصة من المسلمين فيفهمون الامانة على أن لها دلالة أعمق وأوسع وأشمل من ذلك بحيث تكون لها فى كل موقع تذكر فيه دلالة ومعنى على نحو ما نشير اليه تباعا .

الأستاذ عبد العظيم منصور

أن أرقى أنواع الامانة هو ذلك العهد والميثاق الذى أخذه الله على الارواح يوم خرجت من صلب آدم عليه السلام بأن يؤمنوا بربوبيته ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما قال تعالى فى كتبه .

« **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا** » .

وهذه الامانة التى خوطبت بها الارواح فى عالم الاشباح يوم خرجت من صلب آدم عليه السلام هى ارقى انواع الامانات واجلها على الاطلاق لا يعد لها شئ آخر فى الارض ولا فى السماء لانها أعلى اصل من أصول الايمان تواصى بها الرسل والانبياء ، وسجدت من اجل الوفاء بمتطالباتها مخلوقات الارض والسماء ، وهى طريق العزة والكرامة فى الدنيا ، وسبب النجاة والنعيم فى الاخرة .

وقد أخبر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بربوبيته ، ومن أجلها بعثت الرسل وأنزلت الكتب وجردت سيوف القتال ، وتحت راياتها سالت الدماء أنهارا تروى الارض بماء العزة والكرامة ، وتضرب المثل فى التضحية والفداء من أجل كلمة التوحيد والايمان بربوبية الله تعالى لكل شئ فى الارض وفى السماء .

وشهادة الانبياء عليها واقرارهم بها جاءت تترى وتتابع على صفحات الكتاب المقدس وعلى لسان النبى المرسل تنير الطريق للسالك وتفتح أمامه المسالك ، الى عزة الدنيا وكرامة الاخرة .

فآدم عليه السلام يقول فى دعائه : « **ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » .

ونوح عليه السلام قال فى تضرعه وشكواه : «**رب أنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا**» .

« **رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين** » . وقال ابراهيم عليه السلام فى دعائه العظيم لحرم الله الشريف ، ولنفسه وذريته : « **رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام** ! » .

وقال يوسف عليه السلام فى الثناء على الله ودعائه اياه اعترافا بالربوبية وشكرا للنعمة : « **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والاخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين** ! » .

وهكذا بالنسبة لسائر الانبياء والرسل ، يعترفون بربوبيته تعالى ، فلا رب سواه ولا معبود الا اياه ، والكل بالنسبة له خلائق مربوبون ، وعباد ضارعون ، يستوى فى ذلك الرسل والانبياء مع سائر البشر والناس ، يجمعهم مقام واحد هو مقام العبودية لله .

ولا شك أن أمانة الاقرار بالربوبية ، والوقوف فى مقام العبودية الحقة لله هى اقدس مبادئ التحرير . لان معنى الاعتراف بمقام الالوهية ، والاندراج الكامل

فى مقام العبودية بالنسبة لسائر المخلوقات يتضمن الحقائق التالية :

١ ـ ان الله تبارك وتعالى هو صاحب السلطان المطلق ، الذى لايحده حد ، ولا يلحقه قيد ، يفعل ما يشاء ، ويدع ويترك ما يريد ، وفق مشيئته وتقديره ، وعظمته وقدرته ، وعدله ورحمته ، واستقامة ملكه ، وتأكيد سلطانه : « **فعال لما يريد** » .

« **وهو يجير ولا يجار عليه** » .

٢ ـ وهو سبحانه وتعالى غير المسئول وحده عن افعاله واعماله ، وغيره فى عالم الغيب وعالم الشهادة يقف أمامه موقف المسئول عما يرتكبه من أعمال وياتيه من افعال « **لا يسال عما يفعل وهم يسالون** ! » .

٣ ـ وانه وحده تبارك وتعالى يملك كل شىء ويخضع لهيمنته وسيطرته واحاطته كل شىء .

« **بيده ملكوت كل شىء** » .

٤ ـ وهو وحده المنزه عن الخطأ تقدست افعاله واعماله » .

« **الملك القدوس السلام** ! » .

ويترتب على ذلك والاعتراف بالربوبية لله وحده ، أن يرفض الانسان المؤمن الخضوع والانقياد والاستسلام لبشر مثله جمعته واياه وحدة الوقوف فى مقام العبودية لله ، الا خضوع المامور للامر فى مجال تنفيذ أوامر الله ، كما سيرفض الخضوع لاية قيمة مادية أو معنوية قد تستذله أو تستعبده او يناله منها الهوان لانه رفيع القدر بانتسابه الى السماء .

ان الانسان الذى يحيا فى تلك الحقيقة الكبرى هو الانسان الذى طلبه الاسلام وحمله أمانه قيادة البشريه واخراجها من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، يجرى شوطه المقدر له فى هذه الحياة على ما ينبغى ان تستقيم عليه الحياة ولا تستقيم على سواه . وان الامة التى تحمل تلك الامانة هى الامة التى عناها القران فى قوله تعالى :

« **كنتم خير امه اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله** » .

وهى الامة التى وعدها الله بالنصر والتمكين والاستخلاف فى الارض تشرف على غيرها من الامم وتحمل امانة هداية البشريه الى ما فيه خيرها وعزها ، والى ما به تستقيم أمور دينها ودنياها .

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** ! » .

والجدية والشجاعة فى حمل تلك الامانة يتضمن حتما الاعتراف بشريعته سبحانه وتعالى وتنفيذها على الحد الذى أوجبه فى العبادات والمعاملات والاحكام والاخلاق والحقوق والواجبات ، وبالجملة فى شتى نواحى الحياة ومختلف جوانبها دون تعطيلها أو تجاوزها الى غيرها ، ولا عذر عند الله لمن قصر فى الوفاء بمتطلباتها ، ولا حجة عنده سبحانه وتعالى ، لمن تقاعس عن نصرة دينه والانتصار لشريعته لان حمل أمانة الاعتراف بالربوبية يستوجب حتما الاعتراف بكل ما يصدر عنه ، ويدعو البشر اليه ، سعيا لمعاش أو عملا لمعاد .

ولقد كان الاسلام ما كان المسلمون يدركون معنى حمل امانة الربوبية . فلما نسوا ما ذكروا به فتح الله عليهم باب كل شر ، وتركهم فى ظلمات بعضها فوق بعض ، ليسوا بخارجين منها ما لم يصلحوا احوالهم ، ويتداركوا أمرهم ، ويعودوا الى سابق عهدهم ، يذرفون الدمع من خشية الله ، ويهرقون الدم فى سبيل الله ، استجابة لامانة الربوبية ، ووفاء بواجبات العبودية لله .

ومعنى آخر للامانة هو التكليف وقبول الاوامر والنواهى ، يعظم الانسان شعائر الله فيقوم بها ، ويعظم حرمات الله فلا يقربها ، والامانة بهذا المعنى هى المعنية بالتكليف الوارد فى قوله تعالى :

« **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** ! » .

وتقليد النصحاء ، واستكفاء الامناء على الولايات والاعمال المختلفة ، أمانة فى أعناق من بيدهم التقليد والاختيار لمن يقدر على القيام بواجبات الولاية سواء أكانت ولاية على الاعمال أو ولاية على الاموال .

والامانة فى مجال الحكم تبعه جسيمة ومسئولية كبرى تقتضى اداء الامانات الى أهلها والحكم بين الناس بالعدل لقوله تعالى :

« **ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** » . « **ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** » .

ـ فالحكم بالعدل والتسوية فى المعاملة امانة .

ـ والرجوع الى الامة فيما يهمها من أمور دينها ودنياها أمانة .

ـ واستعمال الاصلح ثم الامثل فالامثل فى كل منصب بحسبه أمانة ، وذلك باختيار الامناء القادرين ، وابعاد الضعفاء الخائنين ، وأساس الاختيار القوة والامانة كما قال تعالى ،

« ان خير من استأجرت القوى الامين » وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام :

« **انك اليوم لدينا مكين أمين** »

وقال تعالى فى صفة جبريل :

« **انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين** » .

ـ والضرب على أيدى الظالمين بقوة لا تعرف الضعف حتى تتألف الاهواء المختلفة وتجتمع القلوب المتفرقة ، وتنكف الايدى المتغالبة وتنقمع النفوس المتعادية أمانة من أمانات الحكم وضرورة من ضرورات الامن .

ـ والامر بمعروف ظهر تركه ، والنهى عن منكر ظهر فعله ، ومطاردة أصحاب البدع والمنكرات

والضرب على أيدى أعداء الله وأولياء الشيطان فى كل مكان ، تحت اى شعار رفعوه ، وفى اى لباس ظهروا ، وعلى اية صورة تلونوا ، امانة جسيمة ومسئولية على اكتاف الجماعة المسلمة عظيمة ، حرصا على وحدة الامة ، ومحافظة على امنها وسلامتها .

- قال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله لان أخر من السماء احب الى من أن اكذب عليه ، واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فان الحرب خدعة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيخرج قوم فى آخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة .

ومن معانى الامانة عدم استغلال المناصب والولايات للحصول على فوائد ومغانم دون ان يكون للانسان اى حق فيها . كمن يختلس مالا اؤتمن عليه ، او يقبل رشوه او هدية لتيسير امر او تعطيل حد من حدود الله وجبت اقامته لان اقامة الحدود على مرتكبى الجرائم والامور غير المشروعه تعتبر من حقوق الله الخالصة التى تجب الاقامة والتنفيذ حتما ، لا يملك احد اسقاطها او تعطيلها ، او استبدالها بغيرها .

« فعن ابى حميد الساعدى قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على صدقات بنى سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه قال هذا مالكم وهذا هديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست فى بيت ابيك وامك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا . ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لى افلا جلس فى بيت ابيه وامه حتى تاتيه هديته . والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلا عرفن أحدا منكم يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، او شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه ، يقول اللهم هل بلغت ، بصر عينى ، وسمع اذنى » .

وهذا الحديث مصداق لقوله تعالى : « وما كان لنبى أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

وفى النهى عن استغلال الشفاعة والوساطة والهدية لتعطيل حد وجبت اقامته ، روى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره ، ومن خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ، ومن قال فى مسلم دين ما ليس فيه حبس فى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال . قيل يارسول الله وما ردغة الخبال

قال : عصارة أهل النار .

واصل هذا فى قوله تعالى :

« من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا . ومن معانى الامانة فى مجال المعاملات اليوميه بين الافراد ، رد ما استؤمنوا عليه ، جليلا كان أم صغيرا ، ماديا كان أم معنويا . والناس فى ذلك مختلفون ، فمنهم من يؤتمن على أعراض الناس وحرماتهم واموالهم ، ومنهم من لا يؤتمن على مجرد كلمه يسر بها غيره اليه ، ولله فى خلقه شئون ، وكل ميسر لما خلق له .

- واستعمال ما انعم الله به على الانسان فيما اوجب ان تستعمل فيه أمانة ، فكسب المال يجب ان يكون من طرقه المشروعة ، وانفاقه يجب الا يكون الا على طيبات احلها الله لعباده ، دون سرف أو تبذير ، وما من الله به على عباده من نعمة المركز والمكانة يجب الا تتخذ ذريعة الى التعالى استكبارا على خلقه ، واحتقارا لمن هم دونهم مركزا أو مكانة من بنى جنسهم . وحواس الانسان التى انعم الله بها عليه ، يجب الا يسخرها الانسان للتمتع بالحرام وتلمسه من كل طريق ، ماديا كان أو معنويا . فاستعمال اليد لا يكون الا للبطش فى سبيل الله اعلاء لدينه وتمكينا لشريعته ، والرجل يجب الا تسخر الا سعيا لكسب معاش ، أو سعيا الى طاعات الله . وعقل الانسان الذى لولاه لا ندرج الانسان فى عداد السوائم والعجماوات ، هو مركز الثقل وموضع الرجحان فى كل ما انعم الله به على الانسان ، يجب الا يستعمل للمكر والتدبير والخيانة ، بل يجب أن يسخر للوصول الى الاهداف التى من أجلها اكرم الله الانسان بنعمة العقل الذى جعله الله أصلا للدين وعمادا للدنيا فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، لذا وجب استعماله فى تحصيل الايمان ، والوقوف على قدرة الله الفاعلة فى الكون ، وسننه الخالده فى خلقه ومخلوقاته ، والتفكر فى ملكوت السموات والارض ، وفى خبايا النفس ، كشفا لاسرار الله العظمى ، ووقوفا على قدرته وهيمنته وسيطرته ، تاكيدا للايمان ، واستقرارا لليقين .

وما أبلغ ما قاله بعض الشعراء :

يزين الفتى فى الناس صحة عقله
وان كان محظورا عليه مكاسبه
يعيش الفتى فى الناس قلة عقله
وان كرمت اعراقه ومناسبه
يعيش الفتى فى الناس بالعقل انه
على العقل يجرى علمه وتجاربه
وافضل قسم الله للمرء عقله
فليس من الاشياء شئ يقاربه
اذ أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه

لذا فان استعمال امانة العقل ، سبب كل خير ،

ووقاية ووجاء من كل فتنة وشر .

روى لقمان بن أبى عامر عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بأبى أنت وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله واد فرائض الله تكن عاقلا ، ثم تنفل بصالحات الاعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وبه عزا .

فمن استعمل عقله فصرفه الى الشر فقد ابتعد عن حظيرة الدين ونأى عن فضيلة الخير لاخلاله بأمانة العقل وفى ذلك يقول تعالى :

« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون »

والعين امانة ووديعة ، بها يهتدى الانسان فى ظلمات البر والبحر ، ويبصر ما فى الوجود من جمال ، ويكشف بها العدو ، ويرى بها الصديق ، ويصل الى مقصوده دون أن يضل السعى فى الطريق . وهذا وأمثاله ما ركبت من اجله الاعين وضعت بها قوة الابصار . لذا فان الخروج عن تلك المقاصد هو اخلال بالامانة وميل الى الخيانة ، ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

وجماع ما يمكن أن يقال عن النعم أنها أمانة ووديعة ، يجب ان تستعمل فيما أوجبه الشرع ، لا على مقتضى الاهواء والاغراض والشهوات .

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم »

ولعل ما يستوجب الذكر هو ذلك النوع من الامانة التى يحملها القضاة فى الفصل بين المتخاصمين بما يضمن وصول الحقوق الى أربابها على اساس من التسوية فى المعاملة بين المتنازعين ولعله يكون من الاوجب ان نورد نص كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى باعتباره دستورا فى القضاء خالدا وباعتباره أمانة حملها الحاكم اياه يفصل فى الخصومات مسترشدا بها ، جاريا على نهجها فقال له :

أما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، آس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ؟ حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا احل حراما او حرم حلالا ومن ادعى حقا غائبا او بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه ، فان بينه أعطيته حقه ، وان اعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك هو ابلغ فى القدر ، وأجلى للعماء ، ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رايك فهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم لا يبطله شىء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجربا عليه شهادة زور ، او مجلودا فى حد ، او ظنينا فى ولاء او قرابة ، فان الله تعالى تولى من العباد السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان . ثم الفهم الفهم فيما ادلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك ، واعرف الامثال ، ثم اعمد فيما ترى الى احبها الى الله ، واشبهها بالحق ، وإياك والغضب والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر عند الخصومه - او الخصوم - فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ، ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ولا شك ان أمانة الفصل فى الخصومات من أعظم الامانات وأجلها قدرا ، بها تعصم الدماء او تسفك ، وتثبت الحقوق أو تنكر وتصان الحرمات والاعراض او تنتهك ، الى غير ذلك من أمور يناط الفصل فيها الى القضاء .

والقول الفصل فى الحديث عن الامانة ان كل ما أوجبه المشرع وامر به الاسلام حفاظا على مصالح الناس الدينيه والدنيوية من دين وعقل ومال ونفس ونسل ، يعتبر أمانة فى أعناق البشر ، من وفى بها فقد قام بواجبات العبوديه لله فى الارض ، ومن أخل او قصر فى تأديتها ، فقد أخل بالتبعة التى يحملها امام الله وامام الناس .

بقية مقال « التطبيق المعاصر لزكاة المال »

أنه قال : عليه فيها شاة واحدة للسنة الاولى وليس عليه للثانية شىء . وقال مالك : عليه شاتان لكل سنة واحدة . قال أبو عبيد : وكذلك يلزم كل واحد منهما فى مذهبه هذا القول لان سفيان كان يرى أنه قد وجبت عليه شاة فى العام الماضى ثم حال الحول الثانى وهو ليس بمالك لخمس من الابل لمكان الدين الذى لزمه من تلك الشاة فصارت له خمس غير قيمة شاة فأسقط عنه الصدقة للسنة الثانية من اجل هذه . وكان مالك لا يلتفت الى الدين الذى لزمه . قال أبو عبيد : وكذلك هذا عندى لما تأولنا فيه من الحديث : أن الصدقة انما تؤخذ من اعيان الماشية اذا حال عليها الحول او اكثر . ولا يحاسب أحد بما وراء ذلك من زيادة أو نقصان ، ولا تعود الصدقة دينا يتبع به صاحبها . وهذا كله معناه اذا كانت الماشية انما هلكت من حادث يحدث بها غير استهلاك من رب المال لها ببيع او هبة او نحر او غير ذلك فاذا كان هو الجانى عليها لزمه الضمان فى الاقوال كلها .

وللحديث بقية باذن الله والله الموفق والمستعان

حكم الإقرار

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

— ١٨ —

الاقرار هو الاعتراف بما يوجب حقا على قائله بشرط ان يكون مكلفا غير محجور عليه • فلا يصح الاقرار من صبى أو مجنون او مكره • كما لا يصح من سفيه محجور عليه • ولا من سكران فى المعاملات فانه محجور عليه فيها • ويدخل فى ذلك الرقيق المأذون له فى التجارة والمكاتب والسفيه المهمل على قول مالك • وكذلك الزوجة والسكران والرقيق غير المأذون فى غير المال • ومن الشروط أيضا ان يكون الاعتراف من غير متهم ويخرج المريض فيما يتهم عليه كابنه البار وزوجته التى يميل اليها — والصحيح المفلس بالنسبة لما فلس فيه وليس بما تحدد له فى المستقبل

والاقرار متعلق بقابل الاقرار الصادر لصالحه كحمل ومسجد وحبس يقر على نفسه بمال له يصرف فى اصلاحه وبقاء عينه كأن يقول : ناظر على مسجد او حبس — ترتب فى ذمتى للمسجد أو للحبس كذا — ومن أمثلة من يؤاخذ باقراره مريض اقر لقريب لم يرث كخال أو أقر لمجهول فيصح اقراره لمن ذكر أن ورثه ولد — ذكرا أو انثى . اواذا أقر لابعد — كعم مع وجود اقرب كولد او اب او اخ فيلزم الاقرار — أما الاقرار لاجنبى فيصح مطلقا •

أركان الاقرار . اركان الاقرار أربعة — **مقر — ومقر له — ومقر به — وصيغة الاقرار**

وتصح الصيغة أن قال انسان لاخر — على كذا او قال له انسان عليك لى كذا فقال على وفى ذمتى كذا أوله كذا او عندى وأخذت منك كذا او اعطيتنى كذا — او قال لمن قال له اعطنى حقى — أصبر على به فانه اقرار — او قال لمن ادعى عليه بشىء — انت وهبته لى أو بعته لى فاقرار وعليه وحده اثبات الهبة او البيع فان لم يثبت حلف انه ما باعه ولا وهبه واستحقه • وقيل لا يحلف فى الهبة . ومن الاقرار ان يقول لمن يطالبه بشىء — وفيتهلك وعليه بيان الوفاء — او قال له — ليس لى على الوفاء ميسرة — او قال نعم أو بلى أو أجل — لا ليس لى عندك كذا • وكذلك من الاقرار كل ما دل بوضع أو عرف او قرينة ظاهرة لا يثبت بقوله للمدعى — أقر — لانه وعد • او بقوله — على أو على فلان — لانه تهكم او استفهام — او بقوله — من أى ضرب تأخذها ما أبعدك منها — لانه ظاهر فى التهكم • ولا يعتبر اقرارا اذا حذف « ما أبعدك منها » لكنه يحلف انه لم يرد الاقرار — قال ابن عبد السلام — او علق اقراره على شرط كقوله — له على الف استحلها فليس باقرار اوان اعارنى كثيرا فلا يلزمه شىء او قال لهعلىالف انحلف فحلف فلا يلزم لان له ان يقول ظننت انه لايحلف باطلا • وهذا اذا كان فى غير دعوى عند حاكم او محكم والا لزمه •

وقيل عند التنازع فى الحلول والتاجيل — أجل مثله • وهو الذى لا يتهم فيه المبتاع عادة لجريانها فى مثله فى بيع وفاتت فيه السلعة والا تخالفا وتفاسخا • ولاننظر لشبه فان اتهم المبتاع فيها فالقول للبائع بيمنه لا فى قرض بل القول فيه للمقرض على الحلول بيمينه حصل فوت أو لا خبث لا شرط ولا عرف والا عمل به وذلك لان الاصل فى القرض الحلولبعد مدة الانتفاع به فلابد منها • والحاصل ان من اقر بمال فىذمته وادعى تأجيله فانه يقبل قوله لقول ابن عرفه وغيره انه لا فرق بين البيع والقرض فى أن القول لرب المال وقيل تفسير « الالف » فى قوله « على ألف درهم » بأى شىء يذكره وللمدعى تحليفه على ما فسر به الالف أن اتهمه أو خالفه ولا يكون الدرهم مثلا خصبا لكون الاف من الدراهم وقوله الف درهم مثلا فيهما • وقيل تفسير « الشىء » وتفسير « كذا » فى قوله « على شىء » او « على كذا » وسجن للتفسير ان امتنع منه لايقبلتفسيره بجذع او باب فى قوله « من هذه الدار شىء او حق وكذا » او له من هذه الارض شىء أو حق « بمن » أى كما يقبل تفسيره بالجذع او الباب اذا قال له فى هذه — أو فى هذه الارض شىء على الاصح اذ لا فرق بين « من » ، « فى » وهو قول سحنون فلا بد من التفسير بشىء منها كربعها — او قيراط منها •

ولزم فى مال — كقوله له عندى او فى ذمتى مال نصاب او نصاب زكاة من مال المقر من ذهب او ورق او غنم أو بقر أو ابل — وقيل يقبل تفسيره كالشىء — ولو درهم او أقل ولزمه فى بضع او فى دراهم كقوله « فى ذمتى له بضع — أو له على دراهم ثلاثة — ولزمه فى قوله » « بضعة عشر » — ثلاثة عشر وفى قوله « له عندى دراهم كثيرة » لزمه اربعة لانها اول مبادىء الكثرة بعد مطلق الجمع — او قال لا كثيرة ولا قليلة — لزمه أربعة • ولزمه فى قوله — له عندى درهم — الدرهم المتعارف بينهم ولو نحاسا — فان لم يكن بينهم درهم متعارف عليه فالدرهم الشرعى يلزمه لكنه انما يظهر اذا كان لهم معرفة بالدرهم الشرعى والا فالواجب مافسر به المقر مع يمينه •

وان أبرأ انسان شخصا مما له قبله او ابراه من كل حق له عليه أو أبرأه وأطلق • برأ مطلقا مما فى الذمة او غيرها معلوما او مجهولا — حتى من السرقة ومن حد القذف كأن سرق منه شيئا أو قذفه ولم يبلغ الامام • وأما قطع اليد فلا يبرأ منه لانه حق الله فلا تقبل دعواه عليه بشىء وان حقا مكتوبا بصك (وثيقة) الا بينة تشهد أن الحق المدعى به وقع بعد الابراء فله القيام به • وان أبرأه مما معه برأ من الامانة التى عنده كالوديعة والقراض لا عن الدين الذى فى ذمته • وان أبرأه مما فى ذمته فبالعكس اى فيبرأ من الدين لا الامانة لان الامانة ليست فى الذمة وان ابرأه مما عنده برأ فيهما عند المازرى • ومن الامانة فقط عند ابن رشد • وهذا ظاهر اذا كان عليه دين وعنده أمانة • أما اذا لم يكن عنده الا أحدهما برأ منه وعمل بالعرف وقوة القرائن فاذا كان من العرف مساواة (مع العلى وعنده) برأ مطلقا كما لو قامت القرائن على شىء من تخصيص او اطلاق فانه يعمل بها • والله أعلم •

التجارة في الإسلام

المستشار عبد الستار آدم

في مقال سابق بهذه المجلة الغراء تحدثت عن التجارة في الاسلام : مكانتها فيه ، والصفات التى ينبغى أن يتحلى بها التاجر المسلم ·

واليوم أتحدث عن بعض البيوع التى نهى عنها الاسلام ، وعن التجارة المحرمة شرعا

بيع الغرر وبيع النجش

نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن بيع الغرر وبيع النجش ·

رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب البيوع ·

وبيع الغرر بفتح الغين والراء كبيع السمك فى الماء والطير فى الهواء ·

وبيع النجش بفتح النون وسكون الجيم هو ان يزيد الشخص فى ثمن سلعة لا رغبة له فى شرائها ، بل بقصد أن يضر غيره وهذا حرام ·

بيع المعدوم

من المقرر فى الشريعة الاسلامية أن بيع المعدوم باطل ·· ومن قبيل بيع المعدوم بيع الثمر قبل ظهوره ، وبيع الزرع قبل نباته ، وبيع الحمل قبل ولادته ·

وذلك لقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

« ··· ولا يحل بيع ما ليس عندك »

ولما روى عن جابر بن عبد الله ، رضى الله تعالى عنه قال :

نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن بيع الثمر حتى يطيب ·

وكذلك لما روى عن زيد بن ثابت ، رضى الله تعالى عنه ، من أن النبى ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، قال :

« لا تبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر » ·

رواهما البخارى فى صحيحه فى كتاب البيوع ·

وقد قنن المرحوم محمد قدري باشا ذلك فى المادة ٢٨٩ من كتاب مرشد الحيران لمعرفة أحوال الانسان · فقد جرى نصها كالاتى :

« بيع المعدوم باطل ، فلا يجوز بيع الثمر قبل ظهوره ، ولا بيع الزرع قبل نباته ، ولا بيع الحمل » ·

بيع التركات المستقبلة

لا تجيز الشريعه الاسلاميه بيع التركات المستقبلة ·· فلا يجوز لانسان ان يبيع ما سيرثه فى تركة انسان آخر على قيد الحياة ـ ولو برضاه ـ وذلك لان الوارث لا يملك ما سيرثه قبل وفاة مورثه ، كما أنه لا يمكنه تسليمه حالا · ولان المال محل البيع يجب أن يكون موجودا متقوما مملوكا فى نفسه مقدور التسليم على ما نصت عليه المادة ٢٨٨ من كتاب مرشد الحيران سالف الذكر ·

البيع بالاجل

من المقرر فى الشريعة الاسلامية أنه يصح البيع بثمن حال أو بزمن مؤجل بأجل معلوم ·

ولو باع الشخص مؤجلا انصرف ـ كما يقول فقهاء المسلمين ـ الى شهر لانه المعهود فى الشرع فى السلم ·

واذا كان البيع عينا لا يصح الاجل ، فان شرط فيه الاجل فالبيع فاسد وذلك لان التاجيل فى الاعيان لا يصح ·

التجارة فى الخمر :

الخمر محرمة شرعا ·

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » الايتان ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة ·

وفى هاتين الايتين الكريمتين وصف الله ، جلت قدرته وتعالت حكمته ، الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان ·· والرجس : الشيء المستقذر حسا أو معنى ·· ولذلك فقد دعا سبحانه الى اجتنابها : أى الى تركها تداولا وصناعة وتجارة ·

وما أن نزلت الايتان الكريمتان المشار اليهما حتى نادى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« الا ان الخمر قد حرمت » .

كما روى عن السيدة عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، أنها قالت :

« لما نزلت الايات فى آخر سورة البقرة فى الربا خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فحرم التجارة فى الخمر » .

رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب البيوع

وعن ابن عمر : رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبايعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه » .

كما روى أن رسول الله ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبايعها ، ومبتاعها ، وساقيها ، ومسقاها ، وآكل ثمنها .

وقد اجمع فقهاء المسلمين على أن الخمر ام الكبائر لان شربها يغرى على ارتكاب كل الاثام والموبقات .

والخمر كل مسكر قل او كثر اقول رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه :

« كل شراب أسكر فهو حرام » .

« كل مسكر خمر وكل خمر حرام » .

« ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

نخرج من كل ما تقدم أن التجارة في الخمر محرمة فى الاسلام تحريما باتا .

التجارة فى الاشياء المحرمة الاخرى

لا تجيز الشريعة الاسلامية كذلك التجارة فى الاشياء المحرمة التى وردت بالاية الكريمة من سورة المائدة حيث قال تعالى فيها :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب » .

الشرح : -

المنخنقة : هى التى تموت خنقا ، أى يحبس نفسها حتى تموت

الموقوذة : هى التى تضرب بشىء ثقيل كحجر أو عصا أو نحوهما حتى تموت

المتردية : هى التى تتردى اى تسقط من اعلى الى أسفل فتموت .

النطيحة : هى التى تموت من نطح حيوان لها .

ما أكل السبع : المراد بالسبع فى هذه الاية الكريمة كل حيوان مفترس كالذئب وغيره .. ما أكل المسبع : أى أكل الحيوان المفترس بعضها فماتت من جرحه

ذكيتم : أى ذبحتم من هذه الحيوانات قبل ان تموت .

والنصب : هى حجارة كان ينصبها المشركون حول الكعبة يذبحون عليها تعظيما لاصنامهم

هذا وقد أحل لنا أكل ميتتين هما : السمك والجراد ودمين هما الكبد والطحال .. وبالتالى حل التجارة فيها .. وذلك لقول النبى ، صلى الله عليه وسلم :

« أحلت لنا ميتتان ودمان : الميتتان السمك والجراد ، والدمان الكبد والطحال »

كما أحل لنا أكل لحم الطيور التى تصطاد بالبندقية ولم يدركها الصائد بالذبح وهى حية ، فان أدركها وهى حية وجب ذبحها بالطريقة الشرعية المعروفة .. وقد بنى الفقهاء ذلك على أن الرصاصة التى تصيب الطائر تقطع جسمه وتجرحه وتسيل دمه بقوة الدفع وحدته الناشئة من الضغط عليها باطلاق الرصاص عليه فى سرعة وقوة ، فيكون موتها ناشئا من سيلان دمها بسبب الجرح الذى احدثته الرصاصة ، وليس ناشئا عن ثقلها وضغطها حتى تكون داخلة فى « الموقوذة » التى حرمها الله تعالى فى الاية الكريمة » .

هذا وقد أحلت الاية المذكورة أكل لحم هذه الحيوانات وبالتالى التجارة فيها اذا ذبحت قبل أن تموت لقوله سبحانه وتعالى : « الا ما ذكيتم » .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام انه يجوز للمسلم أكل لحم هذه الحيوانات بعد موتها اذا اضطر الى ذلك ضرورة ملجئة وبشرط أن يأكل منها فقط دفعا لهذه الضرورة وذلك لقوله تعالى فى آخر الاية ٣ من سورة المائدة

« فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » .

الشرح :

مخمصة : أى مجاعة تخمص لها البطون : أى تضمر .

غير متجانف لاثم : أى غير مائل لعمل ذنب

وقوله عز وجل فى الاية ١٧٣ من سورة البقرة :

« فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم » .

الشرح :

غير باغ : أى غير ساع فى فساد .

ولا عاد : أى ولا متجاوز حد دفع الضرورة الى حد الشبع

هذا وقد ثار التساؤل بالنسبة لهذه الحيوانات الميتة هل تحل التجارة فى جلودها ؟

وردا على ذلك نقول ان الشريعة الاسلامية السمحة تحل ذلك لما روى عن ابن عباس ، رضى الله تعالى عنهما ، من أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مر بشاة ميتة .. فقال : هل استمتعتم باهابها ؟

قالوا : انها ميتة

قال : انما حرم أكلها .

رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب البيوع .

كما ثار التساؤل كذلك : هل تجوز التجارة فى شحم هذه الحيوانات المحرمة .

وردا على ذلك نقول أنه لا تحل التجارة فى هذه الشحوم لما روى عن أبى هريرة ، رضى الله تعالى عنه ، من أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قاتل الله يهودا حرمت عليهم الشحوم فباعوها واكلوا اثمانها »

وما روى عن جابر بن عبد الله ، رضى الله تعالى عنه ، من أنه قال انه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول عام الفتح وهو بمكة :

« ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » .

فقيل يا رسول الله : ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ، ويدهن بها الجلود

فقال : لا ، هو حرام

ثم قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عند ذلك :

« قاتل الله اليهود . ان الله لما حرم شحومها اجملوه ثم باعوه . فأكلوا ثمنه » .

رواهما البخارى فى صحيحه فى كتاب البيوع .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه فى ختام هذا المقال انه لا يجوز للمسلم التجارة فى المحرمات السابق بيانها ، ولو لغير المسلم .. وذلك لان الله تبارك وتعالى اذا حرم شيئا حرم ثمنه .

وفى العدد التالى من هذه المجلة الغراء سأتحدث - ان شاء الله تعالى وكان فى العمر بقية - عن حكم بيع المريض مرض الموت ، وعن حكم التجارة فى المساجد وفى أيام الحج ، وعن أثر التجارة فى انتشار الدعوة الاسلامية .

والله تبارك وتعالى ولى التوفيق والسداد .

مثالية الإسلام
ومنهجه في تنظيم المجتمع وعلاج مشاكله الاجتماعية

الدكتور نصر فريد واصل

التربية والتعليم

لقد هالني ما رأيت عليه الشباب المتعلم وخاصة فى مجال الجامعة من حيرة فى تفسير ما يجرى امام اعينهم وهم فى دولة اسلامية من تصارع الناس وتطاحنهم على المادة وكثرة المشاكل الاجتماعية وتعقدها لدرجة وصل فيها التفكك الاجتماعى والاسرى مداه

ونظر هؤلاء الشباب ومعهم غالبية الشعب الى حضارة الغرب او الشرق باعتبارهما المخلص الوحيد لما يرونه أمام اعينهم من تفكك اجتماعى وتخلف فى المدنية وعلوم الحياة وانقسموا الى فرق واحزاب فكانت الصراعات على اعتناق اى النظريات ففريق يولى وجهه الى الشرق وآخر الى الغرب وثالث لا الى هنا ولا الى هناك وقد انحرف البعض منهم فى هذا التفكير حتى وصل الى حد العمل ضد مصلحة البلد الذى يعيش من خيره وينبت منه ويترعرع فيه

واذا كانت نظرة الشباب قاصرة فى بعض الاحيان لمعرفة الاسباب والحقائق فانهم أيضا لا يكذبون أعينهم فيما تقع عليه من أحداث اجتماعية تؤدى الى افساد المجتمع وقد يشترك فيها و يساعد عليها من يعتبرونهم المثل الاعلى امامهم فى البلاد · وليس هنا داع لسرد هذه الاحداث التى يقرأها الجميع من يوم لاخر فى الجرائد والمجلات ويكفى مانحسه جميعا من ازمات فى مجال التموين والمواصلات والمرافق والخدمات والاخلاق وهذا ما دعا السيد رئيس الجمهورية محمد انور السادات فى بياناته وخطاباته الى دعوة الشعب جميعا للوقوف بجانبه لمحاربة هذا انفساد ·

ماهو الحل ؟

ومع أن السيد رئيس الجمهورية يبذل كل ما فى وسعه لرخاء الشعب واقرار السلام ويركز على تضييق الخناق على المنحرفين فان الامر لا يستغنى عن العلاج الحاسم وهو تعليم كل الناس فى المجتمع عن اقتناع بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات : وبذا يكون الاسلوب الصحيح للتعليم هو أنسب الطريق لرفاهية المجتمع ·

ولابد من مراعاة منهج الشريعة الاسلامية وتطبيق مبادئها فى هذا المجال لان ذلك هو الحل الوحيد لعلاج كل هذه المتناقضات ·

ان الاسلام غنى بحضارته ومبادئه وقد أثرى العالم لفترة طويلة من الزمن بهذه الحضارة وذلك عندما كان القائمون عليه رجال يحبون الله ورسوله وأحبهم الله ورسوله وعرفوا ان الاسلام دين ودولة وطبقوا جميع انظمته عليهم بكل حزم واقتناع وكلنا يعرف ويعلم مدى مثالية الاسلام فى تنظيمه للفرد والمجتمع حتى تتعادل الروح والمادة تعادلا يحقق السعادة للفرد والمجتمع فى هذه الحياة الدنيا وفى حياة أخرى بعد الممات دائمة :

واذا كنا الان لا نفهم هذه الحقائق ولا نعيها عن الاسلام فان ذلك ليس لعيب فيه ، وانما العيب كل العيب فينا ونحن عنه غافلون أو متغافلون ·

ما ضر شمس الضحى فى الافق طالعة
ان لايرى ضوءها من ليس ذا بصر

لقد فصلنا الدين الاسلامي عن الدولةفى جميع مراحل التعليم

واصبح الناس والشباب ينظرون اليه على أنه عقيدة وفقط ،ولم نعلمه أنه عقيدة وشريعة • لم نغرس فيه من أول مراحل تعليمه أن الدين الاسلامي هو أساس كل العلوم ومنبع جميع الثقافات الانسانية المخلصة ، واشعاع كل الحضارات الحديثة في العالم •

وقد زاد الطين بلة أن الامر ظل فترة طويلة من الزمن والشباب لا يعرف عن دينه حتى هذه المرحلة الاولى الا ما ورثه من انتسابه لاسرة مسلمة في شهادة الميلاد وكفى ، فانه مادام الامر لا نجاح ولا رسوب ولا امتحان في مادة الدين فعلام يتعبون أنفسهم ويجهدونها فيما لا فائدة فيه من وجهة نظرهم ؟ وكانت هذه سياسة استعمارية مغرضة أدخلها اعداء الاسلام الى بلاد الاسلام عندما دخلوها في ضعف من المسلمين وغفلة من دينهم - واعداء الاسلام يعرفون جيدا قيمة هذا الدين الاسلامي في حضارة الشعوب وامنها - وقصر المسلمون حتى القائمين على أمورهم وانساقوا وراء هذه الافكار الخادعة التي تريد النيل منهم وهم لا يشعرون •

وقد تنبه المسلمون حديثا بعد استقلالهم لهذا الخطط الاستعماري المغرض فأخذوا في الاتجاه الى الطريق الصحيح واصبح الدين من جديد مادة أساسية فيها نجاح ورسوب وان كانت لا تضاف الى المجموع •

وقد رأينا في هذه الايام محاولات جادة من اولى الامر فينا حيث عرفوا هذه الحقيقة جيدا فاتجهوا الى احياء شعار العلم والايمان في دولة الاسلام ونامل منهم المزيد على هذا الطريق والله يوفقهم •

ونحن نتساءل :

لماذا لا يدرس الدين الاسلامي في جميع مراحل التعليم على أنه مصدر العلوم وانه المادة الرئيسية من خلال المنهج والبحث والدراسة ؟

ولماذا لا نغير اسمها من « التربية الدينية » الى مايتناسب مع حقيقة هذه المادة ومفهومها كأن نطلق عليها مثلا « أسس العلوم » أو « مصادر العلوم » أو دستور الحياة باعتبار أن علوم الحياة كلها هي من صميم الدين من وجهة نظر الاسلام •

ان الجهل والامية هما أكبر عائق في تقدم الامم والارتقاء في سبيل الرخاء •

وقد حاولنا ان نقضى على هذه الامية بعد ان وضع الكثير من الخطط والبرامج المتنوعة ولكنها جميعا لم تؤد الى الغرض المنشود • ومازال المجتمع الاسلامي في تخلف لا يليق به والزمن يجرى من حوله واعداؤهم يسايرونه حتى صعدوا الى القمر والكواكب الاخرى ومن أصل حضارتنا يأخذون ونحن عنها غافلون •

ومن هنا فقد وعى الاسلام هذه الحقيقة جيدا واراد لمتنفيه من أول الامر أن يكونوا على وعى كامل بجميع أنواع الثقافات والحضارات الانسانية ولذا كان اول وحي نزل على نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم هذه الايات الكريمة التى تأمر النبى صلى الله عليه وسلم ومن يتبعه من الناس بأسلوب التعليم الذى يهدى الى الحقيقة والنور قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » •

والقراءة لا تكون الا بعد تعلمها بالكتابة فكأن الامر بالقراءة هو فى الحقيقة أمر بالتعليم والتعلم وهذا يطبق على كل العلوم والفنون لانها جمعها توصل الى معرفة الله رب العالمين •

وليس هناك فرق من حيث شمول الامر بين رجل وامرأة لان الايمان من الجميع مطلوب قال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » • ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » •

ومن هنا فاذا ما درس طالب التعليم علم الحساب والجبر والهندسة والكيمياء والطبيعة والطب والنبات والعلوم الانسانية الاخرى سيشعر حقا أنه يدرس ما امره به الاسلام باعتبار أنه مأمور بذلك عن عقيدة سليمة بعد اقتناع : ومن هنا سنجد الطبيب المسلم الذى لا يستغل الاخرين • والعالم والكيمائى والنباتى والمعلم والموجه والقاضى والحاكم الذى يبذل حياته في سبيل اسعاد الاخرين • ويومئذ سيتحقق الرخاء والعدل الاجتماعى الذى ينشده الجميع لمصلحة التقدم الحضارى واسعاد البشرية باعتبار أن الاسلام دعوة عالمية فى صالح البشرية • وهنا تتحقق الاخوة التى ارادها الاسلام ان تنشر رايتها على كل الناس اجمعين •

ولما كان العلم ضرورى لتقدم الشعوب ونمائها فقد كان فى نظر الاسلام فرض كفاية على الجميع وفرض عين على اصحاب المواهب الخاصة النادرة لا يسقط هذه الفرضية أبدا ما دام هناك تخلف فى المجتمع وسوف يحاسب الجميع امام الله على هذا التقصير • ولذا فقد حض الله المؤمنين وحثهم على أن تخرج طائفة للجهاد وتبقى طائفة أخرى تعلم الناس وتثقفهم فى امور دينهم ومعاشهم قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » • والتفقه فى الدين يشمل كل العلوم التى بها قوام الدين الاسلامى سواء كانت نظرية أو عملية ولذا فقد اعلى الله درجة العلماء ورفعهم الى المنزلة العظمى فقال سبحانه « انما يخشى الله من عباده العلماء » • « شهد الله انه لااله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » •

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الانبياء » وفى حديث آخر « فضل العالم على العابد كفضلى أنا على أدناكم » وقال فى حديث آخر لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » •

اننا يجب فى سياستنا التعليمية ان نعمق هذا المفهوم عند الفرد من اول عهد له بالدراسة الابتدائية الى نهاية مراحلها العليا على أن تكون التربية العملية لنظام الاسلام ومنهجه واقع حى وملموس لدى الطالب والتلميذ على أن يؤدى الجانب العملى بأسلوب جماعى وبأمر الزامى فالصلاة تؤدى جماعيا فى وقتها • وللجانب النظرى من التربية الاسلامية يجب أن يختار لها مدرسون متخصصون تربويا فى نظام الاسلام ومنهجه من المرحلة الاولى ولا يترك الامر هكذا كما هو الحال الان لان من شب على شىء شاب عليه والتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر • وأرى أن تدرس التربية الاسلامية فى جميع الجامعات والكليات على اختلاف أنواعها ومراحلها والا تنقطع بانتهاء الدراسة الثانوية وكل ما هنالك أن تتوافق دراسته الاسلامية مع دراسته الجامعية أى فى مرحلة التخصص لا يطلب منه دراسة كل علوم الاسلام فاذا كان يدرس الطب مثلا فليدرس الطب فى الاسلام أى نظرة الاسلام الى الطب ودراسة علماء الطب فى الاسلام وهكذا فى كل الفروع العلمية بالنسبة للكليات الاخرى •
واهم شىء يجب عمله تعريب العلوم

والمواد العملية التى تدرس بغير لغة القرآن .

وبذا يظل الفرد مرتبطا بدينه وبمجتمعه حسب ما أمره به الاسلام فينشأ المجتمع الفاضل الذى فى ظله تختفى كل الازمات الداخلية والخارجية ويحل الامن والسلام محل التنازع والخصام فى كل مكان .

وقد تحقق هذا بالفعل فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وكثير من التابعين من بعده بل وفى الازمان الطويلة التى أضاءت فيها حضارة الاسلام أغلب بقاع العالم شرقا وغربا . وقد كان الاستعمار لا يقدر على الدخول أبدا الى بلاد المسلمين الا فى ضعف منهم وابتعاد عن هذه التربية العملية الاسلامية .

وكثيرا ما كانت النزعة الدينية والتربية الاسلامية سببا فى النهضة العلمية ورخاء المجتمع وكسر شوكة الاعداء من كل مكان .

فمثلا مماليك مصر الذين نشأوا فى عهد الايوبيين خصص الملك الناصر محمد بن قلاوون مكانا يسمى طباقا وقد كانت للمماليك بتلك الطباق التى خصصت لهم عادات جميلة أولها انه اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان وأنزله فى طبقة حسنة فاول ما يبدأ به تعليمه القرآن الكريم . وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم وتاخذ فى تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط . والتأدب باداب الشريعة الاسلامية وملازمة الصلوات فى أوقاتها وكانت التعليمات ان لا تجلب التجار الا المماليك الصغار فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئا من الفقه فاذا صار الى سن البلوغ اخذ فى تعليمه فنون الحرب ثم ينتقل الى الخدمة العامة بعد ذلك يتنقل فى اطوارها رتبة بعد رتبة الى ان يصير من الامراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه ، ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف أو أديب أو شاعر ، أو حاسب ماهر .

ولهذا فقد خصص لهم من يراقبهم أثناء تربيتهم على كل تصرفاتهم وبلغ من شدة الحزم فى تأديبهم وتربيتهم انه كان اذا أجنب الواحد منهم يبحث عن سبب جنابته : ان كان من « احتلام » فينظر فى سراويله (ملابسه الداخلية) هل فيه جنابة أم لا ؟ فان لم يوجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان .

لان وجود مظاهر الجنابة وهو المنى على ملابسه يدل على أن الامر طبيعى وليس هناك انحراف أو فساد أما اذا لم يظهر سبب الجنابة فقد يكون ذلك من ناحية انحراف لا يقره عليها أدب الاسلام ولذا كان العقاب قاسيا .

يقول المقريزى : « فلذلك كانوا سادة يديرون الممالك وقادة يجاهدون فى سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون فى اظهار الجميل ، ويردعون العلم والعلماء » (الخطط ٢ - ٢١٣) .

ان الاسلام بنظامه ومعاملاته قادر على أن يحول هذا التخلف الذى يعيشه أغلب المجتمعات الاسلامية .. والتفكك الاجتماعى الذى احال حياتهم الى مادة يتصارعون عليها فنان القتل والنهب والرشوة والخيانة والاختلاس هو الاداة الغالبة والوسيلة الحجة فى نظرهم الخاطىء التى توصلهم الى رخاء المادة وتحقيق سعادة الحياة وانتقلت هذه العدوى من بلد الى بلد حتى تنافرت الدولة الواحدة الى دويلات وقامت بين كثير منها الحروب فى كل مكان وقد وصل الامر فى بعض الاحيان عندما كان الاستعمار يهيمن على بلاد المسلمين ان قوى هذه النزعة عندهم وعمل على اشعال الفتن بينهم يوقدها بنار حقده على الاسلام وهكذا ظلت فترة طويلة من الزمن حتى جاءت حرب أكتوبر « رمضان العظيم » فأعادتهم مرة ثانية الى وحدة الاسلام وان كان ذلك لم يصل الى درجة الكمال التى ننشدها وينشدها الاسلام فى قول الله سبحانه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ومن اجل تحقيق هذه الغاية يقول الله سبحانه « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

ان للاسلام منهجه المتكامل فى بناء الفرد والمجتمع وتنظيمه السليم للعلاقة الصحيحة بينهما كما له نظامه فى مجال العلاقات الدولية وقد بنى نظريته على أساس السلم لا الحرب لان الاصل فى علاقة المسلمين بغيرهم هى السلم أخذا من قول الله سبحانه « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » . وقوله تعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وأصبح السلم فى نظر الاسلام هو القاعدة العامة التى يبنى عليها الفقهاء والعلماء كل أحكامهم التى تتعلق بهؤلاء الاجانب واصبحت الحرب ضرورة لا يلجأ اليها المسلمون الا اذا الجأهم اليها هؤلاء الاعداء . واقرب مثل الى ذلك ما حصل لجيش المسلمين عندما فتحوا بلاد سمرقند فذهب اهلها واشتكوا الى خليفة البلاد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذى أحال الامر الى القضاء باعتباره هو الذى يحقق سيادة القانون وحتى يتنبه هل فتح المسلمين لهذه البلاد انما تم بناء على النظم والقواعد التى وضعها الاسلام فى مجال السلم والحرب أم خالفتها ولما تحقق الامر ووجد أنهم على حق امر الجيش الاسلامى بالاجلاء عن هذه البلاد فورا ودفع الفدية لكل قتيل قتل من غير المسلمين ودفع التعويضات عن كل أضرارهم التى اصابتهم فى الديار والبلاد وهل هذه هى الحالة الدولية الوحيدة التى يحتكم فيها المنهزم الى المنتصر فيحكم لمصلحة عدوه ضد نفسه .

ولاغرابة فى ذلك لان الاسلام كما قلنا منهج متكامل يحقق العدل والرخاء والامن لكل انسان حتى مع أعدائه وكل أمر فى الدولة مرجعه أولا وأخيرا الى نظام الاسلام ومصلحة المسلمين فما وافقه فامر السيادة فيه اليه يطبقه القاضى المسلم وليس ذلك متروك لرئيس الدولة باعتباره من أمر السيادة العليا التى يراها من سلطته واختصاصه وحده كما فى العصر الحاضر . ولذا فقد وجدنا القانون الدولى يعجز عن تطبيق وتنفيذ قوانينه وقواعده الدولية على الدول المعاصرة التى تخالفه ولم نجد مثالا واحدا لدولة غير اسلامية فعلت مع أعدائها بعد انتصارها عليهم ما فعله الاسلام .

ان العلم المادى الذى وصل الان الى آفاق السماء واخترع القنبلة الذرية والهيدروجينية ودمر علماء المادة بطغيانهم الغاشم فى حروبهم مع الاعداء مدنا باكملها ومنها نجازاكى وهيروشيما فى اليابان بالقنابل الذرية لو كان ذلك فى ظل الاسلام ومن علماء اهله لعم العدل والرخاء والامن والسلام فى كل مكان ولما رأينا الحروب التى تدمر كل يوم كثيرا من البلاد وتهلك كثيرا من الشباب والشيوخ والاطفال الابرياء

ان تعليم نظام الاسلام ومنهجه أمر ضرورى فى هذه الايام لجميع الاجيال القادمة والحاضرة اذا أردنا حقا ان نصل الى بر الامان وكل ماهو مطلوب ان يعرف الفرد منذ نعومة اظفاره هذا النظام حتى اذا ما أصبح عضوا فى المجتمع عاملا كان أداة بناء وليست أداة هدم واتلاف . وعلى كل فهذا وذلك من اجل بناء المجتمع الصحيح العامل المنتج مجتمع الرفاهية والعدل على الاسس الاخلاقية والحضارية النابعة من صميم الدين الصحيح .

مع
الدعوة
والدعاة
يشرف على تحرير هذا الباب :
منصور الرفاعى عبيد
فؤاد هيبة
على عياد

حديث إلى الأئمة

يصل هذا العدد الى السادة الكرام فى مستهل شهر فضيل أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، شهر تنزلت فيه آيات السماء فاشرقت بها جنبات الدنيا واستنارت بها الحياة وهدأت فى ظل تعاليمها النفوس ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتفل بمقدمه ويعلن السرور فى أيامه ولياليه وكان أجود الناس وأجود من الريح المرسلة فى شهر رمضان لان الجود فى حد ذاته فضيلة فما بالنا اذا كان الجود يقع فى لحظات معطرة بعبير الرحمة والاحسان من رب العالمين الحسنه فى هذا الشهر بسبعمائة ضعف وقد يضاعف الله أكثر من ذلك وعنده الخير الكثير ولا معقب عليه .

ولقد دأب الصحابة فى عهد نبينا الكريم أن يضيئوا نهار رمضان بصيامهم الكريم وأن تشرق شموس الايمان عن أفواههم بالليل يرتلون آيات القرآن ويتفهمون معانيها ويقفون عند حد معرفتهم عن أسرارها ثم هم يقبلون على الصيام بعزائم قوية ونفوس أبية لا تقبل الضيم ولا ترضى الهوان يلبون النداء اذا ناداهم المنادى الى ساحات الوغى وميدان القتال يدافعون عن عقيدتهم ويذودون عن شرفهم ويهدمون الاصنام التى عبدها الناس من دون الله لان العبادة لا تليق الا لله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه، والمؤمنون بحق يدهم ممدودة بالعطاء بغير من ولا اذى ولسانهم عطر بذكر الله لايخوضون فى أعراض الناس ولا يفخرون ولا يلمزون ولا يتنابزون وليس بينهم جدال يصل بهم الى القطيعة ، وفى نفس الوقت يحملون السلاح يقاتلون فى سبيل الله ، وقد شهد شهر رمضان انتصارات باهرة للمسلمين سجلوا فيها آيات الاعجاب بقدرة الله وقدرتهم لانهم انتصروا على انفسهم اولا فنصرهم الله على عدوهم وتأمل قول الله : « **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله** » ، والانسان لا يستغيث بربه الا اذا طهر قلبه ونقى نفسه وأخلص عمله وحفظ لسانه وغض بصره عن محارم الله وعيوب الناس ، ففى منتصف شهر رمضان انتصر المسلمون فى غزوة بدر وتلاحقت بعد ذلك حروب وغزوات منها عين جالوت وأحداث كثيرة وغزوات شهيرة وحروب كبيرة انتصر فيها المسلمون فى نهار رمضان ، ولعلنا نذكر آخر حرب وقعت بين فئة مؤمنة وأخرى كافرة فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ على أرض سيناء الحبيبة .

وخلاصة القول أيها الاخوة الاحباب أن شهر رمضان هو شهر مبارك هو شهر التكافل الاجتماعى والوحده التامة بين المسلمين التى تجمعهم فى مسيرة واحدة كلها طهر وعفاف من أذان الفجر الى أذان المغرب الكل قد امسك عن طعامه وشرابه فى روحانيه خاشعة وصدق بار ووفاء كريم كما انه شهر الجود وشهر الصبر وشهر المثابره وشهر النصر وشهر القرآن ، فالميدان أمامكم فسيح أيها الدعاة فاغتنموا تلك الفرصه واعملوا على تفهيم الجميع هذه المعانى فى مساجدكم وفى ندواتكم وفى لقاءاتكم وأكثروا فيه الزيارات لمواقع العمل لتشدوا على يد العاملين ولتسهموا فى رفع الروح المعنويه لدى الصفوه المختاره من ابناء امتنا ليرتفعوا بالعمل ويعملوا على اجاده الصنعة وشعارنا الذى نردده قول رسولنا الكريم : « ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا ان يتقنه » . ونردد على مسامع الزمان قول الله تعالى : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وانا لنسأل الله ان يأخذ بيدنا ويدكم الى طريق الخير والرشاد وأن يعيد علينا وعليكم وعلى امتنا الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها أمثال هذا الشهر الطيب باليمن والسرور والنصر والانتصار وان نحقق فيه ما نصبوا اليه من خير لامتنا : « **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب** ! .

اخى الداعية كل عام وأنت بخير . وفى مدارج الخير تسير وعلى سلم الكمال نرتقى أخذ الله بيدك ويدنا وبوأنا فى الدنيا جميعا منازل الصدق والحقنا فى الاخره بالصالحين .

كيف يستقبل أئمة المساجد شهر رمضان المبارك

الفئة الوحيدة من موظفى الدولة التى تعلن حالة الطوارىء بين أفرادها عند قدوم شهر رمضان المبارك هم أئمة المساجد ، ومن المعروف أن وقت العمل الرسمى عند جميع الموظفين يقل ساعتين زمنيتين فى ايام شهر رمضان عن مثيله فى غير رمضان ، الا أنه عند ائمة المساجد يزيد الى الضعف تقريبا . وأولى تعليمات وزاره الاوقاف الى ادارتها هى عدم التصريح بجازات لسادة ائمه المساجد خلال هذا الشهر المبارك مع احداث بعض التعديلات الطفيفه فى البرنامج اليومى للمسجد كجعل الدرس الدينى بعد صلاة العصر بدلا من بعد المغرب وكذا زيادة الدروس الدينيه فى المساجد الكبرى .

ولقد سعدت فى العام الماضى بزيارة بعض الزملاء فى محافظات مختلفة - خلال شهر رمضان - حيث شاهدت على الطبيعه برامج تؤدى من اعداد وتنفيد أئمه المساجد أنفسهم وتحت اشراف المسئولين فى مديريات الاوقاف ،

ومن هذه البرامج الناجحه برنامج « سل صيامك » واساس فكره هذا البرنامج هو تطوير درس المسجد بعد العصر ، اذ رأى ائمة المساجد باحدى المحافظات أنه لو أدخلت عناصر التسويق على هذا الدرس لجذب الصائمين اليه ، لان الصائم فى هذا الوقت - مابين العصر الى المغرب - محتاج الى اى عمل ترفيهى ينسيه متاعب الصوم ولو كان ذلك العمل هو مشاهدة مباراة فى كرة القدم ، لذلك فقد ولدت فكرة اقامة مسابقات دينية بين فرق من الراغبين فى معرفة أحكام دينهم فى المصالح والمؤسسات المختلفة ، وكان للاتصالات الشخصيه التى قام بها الائمة مع المسئولين فى تلك المصالح وشرحهم لاهداف البرنامج اثرها فى استجابه الكثيرين وسرعة اعداد الفرق المتسابقة والحق بكل مصلحة مشتركة فى المسابقة أحد الائمة لشرح مواد المسابقة التى انحصرت فى العبادات وبعض ابواب المعاملات ، وكانت أماكن المناقشة هى المساجد ولجان التحكيم من أئمة المساجدمدعمين ببعض العناصر الممتازة المحايدة فى بعض دواوين المحافظة وحدد لكل فريق عدد من الاسئلة فى موضوعات المناقشة ، ويلتقى فريق مصلحة كذا مع فريق مؤسسة كذا على نمط برنامج أوائل الطلبة ، ويحصل كل فريق على عدد من الدرجات على قدر اجاباته الصحيحة ويستمر حتى نهاية شهر رمضان حيث تعلن نتائج المسابقة وتحدد الفرق الثلاثة الاولى ، وقد علمت أن المحافظة منحتهم جوائز تقديرية كان منها أداء فريضة الحج . والذى أدهشنى فى تلك المسابقة الرمضانية ان الفرق المتسابقة كان يحضر معها مشجعوها ويتحمسون للاجابات الصحيحة مع احترام كبير لقدسيه المسجد ...

وفى محافظة اخرى استغل العلماء ائمة المساجد كثرة المصانع والمؤسسات التجاريه الكبرى مع استعداد المسئولين فى تلك المؤسسات لنشر الوعى الدينى بين افراد الشعب وخصوصا العمال منهم فى هذا الشهر المبارك فكان برنامج « قوافل التوعيه الدينيه » لنشر الوعى الدينى فى المساجد الخاليه من العلماء سواء فى القرى او فى المدن ، وأعد العلماء برامجهم حيث يمكن تغطيه كل مراكز المحافظة ، واستعدت المؤسسات والشركات بسياراتها وكانت القافله تتحرك يوميا قبيل صلاة العشاء الى الاماكن التى تم اختيارها بواسطة الاتحاد الاشتراكى حيث يتجه عالم ومعه قارىء للقرآن الكريم الى المسجد المعين وبعد صلاه العشاء والتراويح تبدأ الندوة بقراءة القرآن الكريم ثم يتحدث العالم الى جموع الحاضرين فيما يهمهم من أحكام الدين والدنيا ويستمر الحفل حتى منتصف الليل ثم تبدأ رحله العودة ويودع الجمهور أعضاء القافله بالحفاوة والتكريم .

وبعد انشاء النقابه العامة لائمة المساجد سوف تأخذ تلك البرامج صفه التعميم حيث انه سيكون من اولى مهامها توحيد الفكر بين الائمة ووضع البرامج الهادفه والاسهام الادبى والمادى فى اعداد وتنفيذ البرامج الدينية . وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير الدعوة والدعاة .

محمد متولى المراكبى

السكرتير العام لجمعيات ائمة المساجد

رمضان شهر الجهاد والنصر

ان شهر رمضان خير كله فى أوله ، وفى أوسطه ،وفىآخره .. فهو كالروضة المزهرة الفيحاء ، أو كالحديقة المثمرة الغناء .. من أى نواحيها تشم اريجها وتستمتع بشذى طيبها .. فأوله رحمة : وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .. فهو شهر الصفاء والنقاء ، شهر النور والضياء ، شهر البر والجود والاحسان ، شهر الصيام والقيام ودراسة العلم وتلاوة القرآن .. هو شهر ميلاد الرسالة المحمدية ، والامة الاسلامية ، والدولة الفتية ..

وأى زمان أكرم على الانسانية ، من شهر كريم ، تنزل فيه القرآن العظيم ، هبة السماء للارض ، وهداية الخلق الى الحق ، ومشكاة تضىء للناس طريق العظمة والخلود « **شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » البقرة من الاية ١٨٥ . ففى ليلة من لياليه جليلة القدر ، عظيمة الشأن ، أشرقت الارض بنور ربها ، وبزغت فيها كواكب العرفان ، بنزول القرآن ، على أكرم انسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام « **نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين** » الشعراء : ١٩٣ ــ ١٩٥ . وليس فى الليالى والايام افضل من ليلة كانت فاتحة السعادة ، ومبدأ الهداية ، ومشرق النور ، ومبعث الخير والفلاح ، تلك هى ليلة القدر ، التى تفضل الله بها على عباده ، بما أنزل فيها ، من هداية وارشاد ، وتعليم وتهذيب .. ونزول القرآن فى هذه الليلة المباركة ، انما كان بداية لاندلاع ثورة فكرية ، بزغت من خلال أضوائها شمس الاسلام ..

ان شهر رمضان ، شهر الذكريات والانتصارات ، التى غيرت وجه التاريخ ، وتركت على مسرح الحياة بصماتها المضيئة ، على تعاقب الدهور والاعصار ، والقت علينا عبئا سلوكيا تلتزمه الاجيال المتعاقبة على مر السنين ، اتماما لما بدأه الاولون السابقون ، اقتداء بنهجهم ، وسيرا على طريقهم ، واقتفاء لآثارهم .. وهو كما أراده الله لنا ، شهر التدريب الروحى والبدنى ، لتخريج النماذج الربانية ، الصلبة فى ارادتها ، الشفافة فى صفاء روحها ، القوية فى ارادتها ، والتى تتغلب على نزواتها ونزعاتها ، الابية التى لا تستكين لاعدائها ، ولا تستهين بكرامتها ، ولا تعطى الدنية فى دينها ..

والامم الحية الناهضة هى التى يحفل تاريخها بأعظم الاحداث ، لتجعل للاجيال القادمة منها ذكريات ، تضىء الطريق للحاضر والمستقبل ، فتفيد من أخطاء الماضى ، ما تعالج به حاضرها ، وتفيد من تجارب الحاضر ، ما نهض به مستقبلها ..

لقد كان شهر رمضان ، على مر التاريخ ، شهر العروبة والاسلام بأمجاده العظيمة ، وانتصاراته الباهرة .. والتاريخ الاسلامى حافل بطاقات هائلة ، ومواكب انتصارات ساحقة ، كان مسارها وميقاتها ، شهر رمضان ..

ففى السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وقعت غزوة بدر الكبرى ، وهى أول لقاء مسلح بين الايمان والكفر ، وأول تجربة قاسية بين شعبتى الحق والباطل ، وقد انتصر المسلمون فى هذه الغزوة انتصارا عظيما ، فكان هذا النصر فاصلا بين عهدين : عهد الضعف والاضطهاد والذلة بمكة ، وعهد القوة والسيادة والعزة بالمدينة ، لذلك ليس بعجب أن يسمى الله يوم بدر يوم الفرقان قال تعالى : « **وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير** » الانفال : من الاية ٤١ ..

وفى الحادى والعشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة ، وصل المسلمون مكة بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم فتم فتحها ، دون أدنى مقاومة ، واستسلم أهلها دون قيد أو شرط ، وكان فتح مكة درسا قاسيا للطغاة ، حطم ما تبقى فى نفوسهم من عنجهية وغرور وكبرياء وغطرسة ، كما كان تعبيرا صادقا ، عن أن الله عز وجل ، لن يتخلى عن دعوته ، ولن يدعها نهبا لاعدائه .. واذا كان فتح مكة قد أقام صرح الحق على أساس من القوة والعدل ، فانه أيضا أقام صرح السلام على أساس من الرحمة والخير والعدل .. لقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب قريشا : **ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، فان تعف فذاك الظن بك ، وان تنتقم فقد**

البقيـة ص ٧٢

الصوم تربية للنفوس

حينما يقبل علينا شهر رمضان المعظم فى كل عام مره يذكرنا بنفحاته الروحية وما تنطوى عليه من حكم سامية وصفات جميلة تبعث على تحصيل الفضائل ونبذ الرذائل ، يشرق علينا هلال شهر رمضان ليضع أمام أنفسنا كل بارقة امل لفتح ابواب الخير وسد منافذ الشر ويوقظ نفوس المؤمنين ليعملوا على تحصيل كل ما هو محمود من الاعمال أملا فى الفوز بسعادة الدارين •

نعم يهل علينا شهر رمضان باشراقاته البهية وانواره الربانية وبشرياته العظيمة التى تحمل فى طياتها كل معنى للسعادة الانسانية حيث تمرح النفس فى أعظم وأجمل أيام ربيعها وتتربى على المبادىء والقيم والاداب الرمضانية وبذلك تسمو وتقوى على كل مادة وشهوة ولذة حسية •

روى سلمان الفارسى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطب فى آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة خير من ألف شهر : جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه من رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه » •

وقد أكد الرسول الاعظم بشريات الخير التى يأتى بها هذا الشهر الكريم لسعادة النفس الانسانية وبهجتها فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الامام مسلم فى صحيحه

« اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة كلها فلم يغلق منها باب فى الشهر كله وامر الله مناديا ينادي : يا طالب الخير اقبل ، ويا باغى الشر اقصر ثم يقول : هل من مستغفر فيغفر له • هل من سائل فيعطى سؤله • هل من تائب فيتاب عليه » •

أنظر يا أخى المسلم هذه البشريات العظيمة التى جاء بها هذا الشهر الكريم فهو شهر فاتحة خير كله من تقرب فيه بخصلة من الخير ضاعف الله له الاجر ومنحه عظيم الثواب •

ويفهم من هذا الحديث : الدعوة الى الاقبال على تحصيل الفضائل والتحلى بها ومن أعظمها شأنا فضيلة الصبر والمصابرة على أداء ما فرضه الله علينا من واجبات فيها كل الخير لبنى الانسان والتى تضمن له السعادة فى الدنيا والاخرة •

وتأمل معى هذه العبارة البليغة التى قالها الرسول الاعظم فى الدعوة الى طلب الخير والكف عن الشر ففى جانب تحصيل الخير عبر بقوله : يا طالب الخير أقبل أى اقبل بكل نفس مؤمنة وبكل أمان واطمئنان أما فى جانب الكف عن الشر فقال : يا باغى الشر اقصر فالتعبير بكلمة « باغى فيه ما فيه من معنى تحمل التعدى عن الحدود التى رسمها الله لعباده للدلالة على الظلم والبغى ، والتعبير بكلمة اقصر فيه معنى الكف على وجه الجزم والبعد عن الشر ، ففى جانب الخير كانت عبارة محببة الى النفوس ، تألفها الطباع السليمة والعقول النيرة ، وفى جانب الشر كانت عبارة تنفر منها النفوس الصافية من غواش المادة • وطغيانها ، وتشمئز منها القلوب والعقول السليمة ويلفظها ويتقزز منها الضمير الحى الناضج •

واذا كانت الحكمة والهدف من الصيام هو أن يصل المؤمن الى مرتبة التقوى ويتصف بها ويتحلى كما قال المولى عز وجل « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » الاية ١٨٣ من سورة البقرة •

فلكى تصل النفس الانسانية الى مرتبة التقوى وتتصف بها وتتحلى لانها خير زاد يتزود به المؤمن فى دنياه قال تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب » فلابد من تهذيب النفس واصلاحها وتقويمها وطبعها على غرار حسن من الصفات النبيلة والشمائل الحميدة والخلق الكريم • التى تجعلها تتحلى بالفضائل وتنبذ الرذائل والطريق الى اصلاح النفوس وتهذيبها هو الصوم لانه امساك عن جميع المفطرات ومن بينها الشهوات ، فهو كف للجوارح عن مشتهياتها وكسر لجموحها ونزواتها ، فاذا سيطر

الانسان على جوارحه وامسكها وتحكم فيها فان نفسه تقوى وتسمو وتكسر نزواته وشهواته وبذلك يصبح الصوم علاجا لعلل النفوس وأسقامها ودواء ناجعا للقضاء على مالوف عاداتها التى اعتادتها طوال ايام السنة كلها ، فيقوم الصوم بعمل الطبيب الماهر حيث يقوم بعملية تعديل قوة الشهوة فيكسر من حدتها وقوتها ويتحكم فيها لتستعد لتلقى النفس كل ما فيه خيرها وسعادتها ونعيمها ، وتقبل كل ما تزكو به مما فيه فلاحها وصلاحها فى حياتها لتعيش آمنة مطمئنة فى الدنيا وتحظى بالسعادة الابدية فى الحياة الاخرة ، وما أجمل ما قاله الامام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هذا المضمار « المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المالوفات ، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الابدية ، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وثورتها ، وتضييق مجارى الشيطان من العبد بتضييق مجارى الطعام والشراب ، وتحبس قوى الاعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها فى معاشها ومعادها ، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فهو - أى الصوم - لجام المتقين ورياضة الابرار والمقربين وجنة المحاربين وذلك هو حقيقة الصوم » .

واذا كان للصوم مزايا ففي قمتها وذروتها أن الله تبارك وتعالى اختص بمنح أجر الصائمين وحده لا يشاركه فى هذا العمل أحد ، روى الامام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله تعالى « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فهو لى وانا اجزى به يترك الصائم طعامه وشرابه وشهوته من اجلى . فوالذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك » .

ثم وضح لنا الامام ابن القيم هذه المزية بقوله « والصوم لرب العالمين من بين سائر الاعمال فان الصائم لا يفعل شيئا ، وانما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده ، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها ايثارا لمحبة الله ومرضاته ، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه ، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة » .

وللصوم تاثير عجيب فى حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التى اذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها ، فالصوم يحفظ للنفس صحتها ويعيد اليها ما استلبته منها أيدى الشهوات فهو أكبر العون على تحصيل التقوى وملازمة الفضائل وتجنب الرذائل كما قلنا ومن ثم سماه النبى - صلى الله عليه وسلم - جنة : أى وقاية وحفظا لكل جارحة وعصمة للنفس من الانصياع وراء الشهوات واشباع الرغبات والانغماس فى المعاصى وارتكاب المنكرات ظاهرها وباطنها . روى الامام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم ! .

وقد عالج الشرع الاسلامى نفوس الشباب بالصيام واعتبره دواء ناجعا لكل شاب استولت عليه الشهوة الجنسية ولم يكن له القدرة على الزواج فالصوم يكبح جماح الشهوة ويقطع كل وسيلة لها . روى الشيخان وأبو داود والترمذى عن عبد الله ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أى علاج وقطع الوسائل الداعية للشهوة .

يقول ابن القيم « قد اعتبر النبى - صلى الله عليه وسلم : الصوم علاجا ودواء ناجعا لكل امرىء اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه ، وجعله وجاء هذه الشهوة الجموحة » .

فالصوم شرعه الله تعالى تربية للنفوس وتهذيبا للوجدان وتقويما للاخلاق ومرانا على ترك مألوف العادات سيئها وحسنها ، ففوائد الصوم واضحة جلية يدركها كل مؤمن استقام على الطريق المثلى وهدى الى صراط مستقيم ، وادرك أن الصوم شرعه الله رحمة للعباد وطهارة للاجساد وتزكية للنفوس رحمة بهم واحسانا اليهم وحمية وجنة من المعاصى والمنكرات .

لهذا كله جعله الله شهرا للخير والرحمة والمغفرة وتقبل الدعاء . روى ابن ماجه فى سننه عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء . ويقول : بعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

فهنيئا للصائمين الطائعين الذين امتثلوا أمر ربهم وصاموا ايمانا واحتسابا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

مبارك حسن حسين
واعظ بمصلحة السجون

رمضان شهر الصوم والقرآن

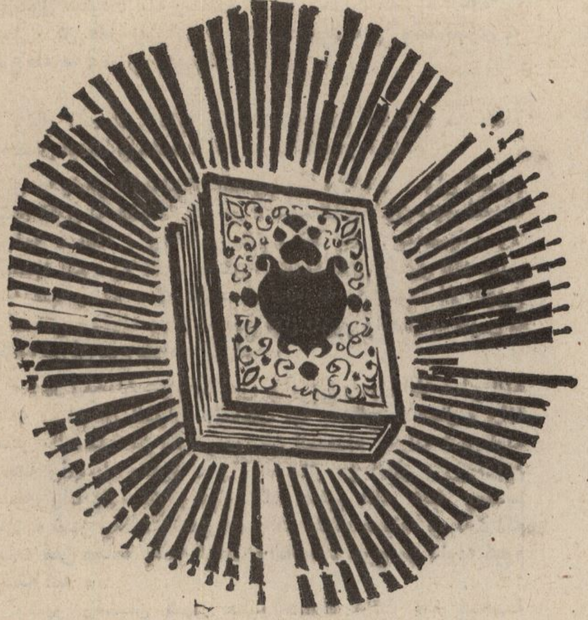

كلما دار الفلك دورته ، وجرى الزمان جريانه ، هل علينا هلال شهر عظيم مبارك ، هلال رمضان بشير الخير والبركة • ورسول الفضل والسعادة ، فتهفو اليه قلوب المسلمين ، وتنتظره أفئدة المؤمنين كل عام فى لهفة الظمآن الى الرى ، والمجهد فى يوم قاحط الى الظل ، والحيران الى الطريق الموصل للهدف المنشود والامل المعقود •

ان هذا الشهر المبارك يذكرنا بما كان لله فيه علينا من آلاء ، وما أسبغه من نعماء ، وما أفاضه من خيرات وبركات ، فلقد انتصر فيه المسلمون ببدر — وهم فئة قليلة — على الشرك وحزبه ، والباطل وشيعته — والاجرام ودولته • لقد عرج المسلمون الى بدر وهم عزل الا من العقيدة ، وهم فاقدو الزاد الا زاد التقوى ، وهم قليلو العتاد الا عتاد الايمان ، ولذلك كان النصر حليفهم والفوز محققا لهم « **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز** » •

ولقد جرت عادة الله فى خلقه ان يكتب لعباده التوفيق والسؤدد اذا اتحدت قلوبهم ، وصدقت عزائمهم ، واجتمعت على الحق كلمتهم ، وباعوا أنفسهم لله والدين والوطن والعقيدة •

ولا شك فى ذلك فلقد لمسنا هذا عن كثب فى مجتمعنا حيث رأينا جموعا من الاعداء تهاجمنا ، وفلولا من المغتصبين تناوئنا ، ورأينا النصر يحالفنا فى كل خطوة والله يؤازرنا فى كل جولة مادامت الوحدة هدفنا • والاخوة الكاملة شعارنا والتعاون الصادق والاخلاص التام رائدنا ، ولا فرق عندنا بين حاكم ومحكوم •

لقد امتاز شهر رمضان المبارك بالاحداث الكبرى التى ملأت الدنيا نورا وفاضت على جوانبها بشرا وسرورا ، ففيه فرض الله على المسلمين صيامه • وسن لهم الرسول قيامه — وكلفهم الله بالامساك عن المفطرات من بياض النهار الى سواد الليل • امساكا مصحوبا بالاقلاع عن السيئات ، والكف عن المحرمات — وترك اللغو واللهو ، والعبث والفجور ، والانهماك فى الطاعة والعبادة ، والخشية والمراقبة ، والصلاة والذكر حتى يخرج المسلم من هذا الشهر بالاجر الوفير ، والثواب الجزيل ، والنور والضياء ، والطهر والصفاء ، والمراقبة والاخلاص ، والنقاوة من ادران المعاصى والمساوىء والخسائس ، والنقائص ، نقاوة الثوب من الدنس بعد غسله بالماء الطهور ولذلك سماه الله شهر رمضان لانه يرفض الذنوب ويزيلها ويذهبها ويمحوها • ويعيد لصحيفة العبد البياض والنقاوة من لوثة الذنوب والآثام والاوزار والسيئات ، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **لو يعلم الناس ما فى رمضان من الخير والبركة لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها** » •

ولقد روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر الى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من انفسكم خيرا فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » •

والصوم من نعم الله الكبرى على المسلمين لما فيه من المزايا السامية • والفوائد الجمة ، والثمرات الطيبة ، فهو يربى قوة الارادة ، ويغرس فى النفس فضيلة الصبر والاحتمال ، والتؤدة والثبات ، ويزيد المؤمن اخلاصا وصدقا ومراقبة لله وحذرا ، وخشوعا وخوفا • وهو يربى قوة الارادة والعزيمة ، يجعل من المسلم انسانا قويا لا يهن فى الشدائد ، ولا يخور عند النوازل • بل انه يجعل من الصائم انسانا شفيقا رحيما ، خيرا عطوفا ، يحب الخير ويكره الشر — ويألف الجود والاحسان •

والصوم فوق هذا كله يفيد الجسم قوة ، ويكسب البدن صحة ، وينظم الجسد ودورته ، ويريح الامعاء ويقويها • ويهدىء الاعصاب ويزكيها • ومن ثم فاننا نرى الاطباء فى كثير من الامراض يمنعون المرضى من الاكل ، ويستعينون على شفائهم بالجوع — وصدق الله العظيم اذ يقول « **وكلوا**

واشربوا ولا تسرفوا ، وصدق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين قال « صوموا تصحوا » .

ولهذا كان جزاء الصوم عظيم ، وأجره فوق كل أجر يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حديث قدسي عن الله عز وجل « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا اجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من اجلي » .

وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام أيضا « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ومما ينبغي أن يعلم ان الصوم جنة من النار . وان الصوم الذي تكون له هذه المزايا هو الصوم الذي يكون بنية خالصة ورغبة صادقة ، واخلاص تام ، فلا يقترن بمعصية ، ولا يصحبه اثم ، ولا تحف به غيبة ونميمة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » وقوله « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » .

وشهر رمضان سيد الشهور جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الثواب يضاعف فيه بصالح الاعمال ، وأنه عامر بالنفحات لمن تعرض لها من السعداء ، وأنه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة – وآخره عتق من النار ، روى ابن ماجة والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شهر رمضان شهر كتب الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه » .

وشهر رمضان شهر عظيم مبارك نزلت فيه النعمة الكبرى ، والمنة العظمى في ليلة خير من ألف شهر ، نزل فيه القرآن الكريم كتاب الهداية الربانية في ليلة القدر على رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء حيث نزل عليه جبريل عليه السلام بأول سورة« اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

ان الله سبحانه وتعالى انزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما على حسب الوقائع والاحوال في ثلاث وعشرين سنة تقريبا .

ولقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما انه وقع في قلبي شك من قوله تعالى « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » وقوله « انا انزلناه في ليلة القدر » وقد انزل الله قرآنا في ذي القعدة وذي الحجة والمحرم فقال ابن عباس « انما أنزل في رمضان في ليلة القدر التي هي الليلة المباركة جملة واحدة الى سماء الدنيا ثم انزل بعد ذلك منجما على حسب الاحوال .

والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب البديع في آياته وسوره ، ورواياته وقراءاته ، في تلك الالفاظ الجزلة ، وفي هذا الاسلوب الممتع ، وفي هذه المعاني العالية وتلك المقاصد السامية ، والايات البينات ، والعظات الخالدات ، والخبر الصادق ، والقول الفصل ، والقصة النادرة ، والحكمة السامية ، والحكم العادل ، والشرع الحكيم والدين القويم .

هذا الكتاب العزيز جمع كل ما يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم ، وأولهم وآخرهم ، ودينهم ودنياهم ، قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

هذا الكتاب العزيز امتاز بما حواه عن الكتب كلها ، والقوانين اجمعها ، سماوية وغير سماوية مما أعجز الانس والجن عن معارضته ، والاتيان بمثله . ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ومما لا شك فيه ان السر في تقدم المسلمين في عصورهم الاولى حتى مكن الله لهم في الارض ونصرهم ورفعهم وأعلى شأنهم هو التمسك بالقرآن والعمل بما فيه ، والاهتداء بهديه ، والسير على سنته ونهجه ، والاسترشاد بارشاده ، والاستضاءة بأنواره ، وما تأخر المسلمون في هذا العصر وغلبوا على أمرهم الا لكونهم تنكبوا طريقه ، وصرفوا عن تعاليمه ، واتخذوا غيره من القوانين الوضعية حكما فيما يأتون وفيما يذرون وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال عندما دنا أجله « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا . كتاب الله وسنتي » . وقال ايضا « لازلتم منصورين على اعدائكم مادمتم متمسكين بسنتي ، فان خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من اذلكم ، وقهر بالمسكنة نفوسكم ولا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا الى سنتي » . وصدق الله العظيم اذ يقول « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

لقد أنزل الله القرآن في رمضان هدى للناس ، يهديهم ويرشدهم الى سبيل الحق ، ويوجههم ويدلهم الى وجهة الخير وطريق الصواب ، أنزله آيات بينات ودلائل واضحات تهدي الى حدود الله واحكامه وواجباته وفرائضه ، وحلاله وحرامه . ويفرق بين الحق والباطل ، والرشد والغي والنور والظلام « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » .

وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جعل القرآن امامه ساقه الى الجنة ومن جعل القرآن خلفه ساقه الى النار » .

فليس بغريب اذن ان يكون رمضان شهر القران ، وموسم البر والاحسان والايمان . نكثر فيه من تلاوة كتاب الله عز وجل ، وتدبر معانيه ، ونعمل بما فيه كما كان يعمل الرسول وصحابته والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس رضي الله عنهما « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير ، وكان اجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.فالرسول اجود بالخير من الريح المرسلة » .

ولقد كان المسلمون الى عهد قريب يعمرون بيوتهم بالقران وتلاوته ومدارسته ، والاستماع لقراءته في ليالي رمضان ، فكانوا في خير وأمن واطمئنان وبركة ، فاستوجبوا الاجر ، وفازوا بالخير ، وجنوا ثمرة هذا العمل المجيد ، كما قال رب العزة جل جلاله « والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين » .

الا فليغتنم المسلمون فرصة هذا الموسم العظيم . وليأتمروا بكتاب الله وسنة رسول الله ، وليسيروا على ضوئهما حتى يخرجوا من غضب الله الى رحمته ، وحتى يكون لهم ما كان لمسلمي العصور الاولى من العزة والحرية والاستقلال والنفوذ والسلطان « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، وليملأوا هذا الشهر المبارك بصالح الاعمال ويعمروه بجليل الخلال ، ويصوموه ابتغاء مرضاة الله ذي الجلال ، ويذكروا الله كثيرا لعلهم يفلحون .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان يجعل قدومه سعيدا وان يجعله رسول خير للاسلام والمسلمين في ظل القرآن وآياته . وعزه وكرامته ، وان يعيد للعرب والمسلمين مجدهم السابق ، ووحدتهم الصادقة انه سميع مجيب

احمد مسلم ابراهيم
ادارة الدعوة بوزارة الاوقاف

الزوجة الصالحة

أساس

الأسرة الصالحة

الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا • احمده سبحانه له النعمة والفضل والثناء الحسن الجميل واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له جعل الدنيا وما فيها قسمة وشركة بين اثنين فقال وقوله الحق « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »واشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفوته من خلقه وخليله يقول عليه السلام « الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة صلى الله عليك يا سيد العقلاء يا خير الورى يا من اتيت الى الحياة مبشرا وبعثت بالقرآن فينا هاديا وطلعت فى الاكوان بدرا نيرا صلى الله عليك يا طبيب القلوب وعلى آلك وأصحابك الذين ساروا على دربك واتبعوا سنتك فرضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون •

اما بعد • فيا امة الاسلام وأهل التوحيد يقول الله عز وجل فى سورة الروم « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » هذه آية من كتاب الله سبقتها بعض الايات التى تتحدث عن نعم الله على خلقه وبهذا يكون للكتاب الحكيم فضل السبق على القائلين وراء كل عظيم امراة والان وقد نرى على الطرف الاخر من هذا النقيض فنقول وراء كل كارثة امرأة فالمرأة فى كل عصر سلاح ذو حدين ان صلحت صلح المجتمع كله وان فسدت فسد المجتمع بأسره فهى أم وزوجة ومربية الاجيال أرضا وغطاء للاسرة نرى بعض الرجال متفوقين فى عملهم لانهم خلفوا وراهم زوجة صالحة أمينة فى بيتها وآخرين فاشلين لانهم كما يقولون ان لهم زوجات يكن سعيدات مسرورات فى غيابه فان دخل من الباب خرجت السعادة من النافذة دون ذنب جناه أو خطأ اقترفه • هذا ظنه ولكنى أقول له ولامثاله ضعوا ايديكم على الداء حتى نصف له الدواء • الاسلام شرع لنا الزواج وجعله سنه من سنن الانبياء والمرسلين فبالزواج تتحسن الصلات بين المجتمع وتتأكد العلاقات بين أفراده ويهدأ القلب وتسكن النفس ولهذا وصفه طبيب القلوب محمد عليه السلام دواء ناجعا لكل شاب وفتى قوى فقال «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - أى قدر على النكاح ومؤنه ومهامه - فليتزوج فأنه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أى قاطع للشهوة • اما أولئك الذين جعلوا الاعراض عن الزواج دينا والرهبانية عبادة فقد رفض الاسلام ذلك كله جملة وتفصيلا فيقول نبى الاسلام « لا رهبانية فى الاسلام » وذم أولئك فى صورة أحد أصحابه الذى جلس معه فقال له يا عكاف ألك زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا وأنت صحيح موسر - أى مالك لكل مؤهلات الزواج - قال نعم قال اذن فأنت من اخوان الشياطين اما أن تكون من رهبان اليهود والنصارى فالحق بهم وأما أن تكون منافان من سنتنا الزواج • اذا كان هذا منزله الزواج ومكانته السامية فما هو الاساس الذى يقام عليه البناء ؟ •

لقد رسم لنا الاسلام طريقين طريق لاختيار الزوجة وطريق لاختيار الزوج عن الاول يحدثنا رسولنا صلى الله عليه وسلم فيقول « **تنكح المرأة لاربع لمالها وجمالها وحسبها ونسبها ولدينها** - أى أنكم ترغبون فى الزواج من المرأة اذا كان فيها أمر من هذه الامور الاربعة ولكن بم تنصحنا يا رسول الله يقول فى نهاية الحديث فاظفر بذات الدين تربت يداك - أى اغتنيت ان فعلت وافتقرت ان لم تفعل وليس ذلك انتقاصا من قدر المال أو الجمال أو الحسب ولكنه ان انضم اليها الدين فبها ونعت والا فأمة سوداء ذات دين افضل ومن تزوج امرأة لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوج امرأة لجمالها لم يزده الله الا خسة ودناءة ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا ذلا أما من تزوجها ليعف بها نفسه ويحصن فرجه بارك الله لها فيه وبارك له فيها • أما الطريق الثانى وهو اختيار الزوج فيوضحه حديث الرسول عليه السلام

اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه قالوا يا رسول الله وان كان فيه - أى فقير او دميما أو غير حسيب - قال وان كان فيه ألا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وقد سئل الحسن بن على فقال له رجل ان ابنتى يخطبها كثيرون فمن أزوجها قال لهزوجها لاكثرهم تقوى لانه ان أحبها أكرمها وان كرهها لم يظلمها • هذا هو الطريق الذى لو سارت الاسر فى تكوينها لسعدت الامه وانجبت القادة وأنبتت الزهور وجنينا منها أعظم الثمار أما من حاد أو زاغ ثم رفع عليه البلاء فلا يلومن الا نفسه • فاذا أردت أن تأكل ثمارا يا فتى عليك بأعلى الغصن كل من ثماره وان أردت أن تخطب لنفسك مرة عليك ببنت الاصل خذ من خياره • واياك اياك ان تغتر بجمال المخطوبة فلعل جمالها يفسدها ويشقيها واياك أن تغتر بمالها فلعل المال يطغيها واياك أن تغتر بحسبها ونسبها فلعلها تتعاظم عليك وتعاملك بغاية السخرية ونهاية الاحتقار • فاتقوا الله عباد الله واختاروا لاولادكم أمهات صالحات واعلموا أن خير نسائكم من وصفها الرسول بقوله وما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا من زوجة صالحة ان أمرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها أبرته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله ويقول عليه السلام « ومن احب فطرتى فليستن بسنتى ومن سنتى النكاح » والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

اعداد :

على محمد محمد زقزوق • امام وخطيب بمديرية أوقاف الاسماعيلية •

بقية مقال « رمضان شهر الجهاد والنصر »

أسأنا !! قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا أقول لكم الا كما قال أخى يوسف : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » •

وفى شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم ، وبالرغم من أن هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال بين الجيشين ، الا أنها سجلت للمسلمين نصرا عظيما ، فقد انسحبت الجيوش الرومانية وحلفاؤها من البيزنطيين والقبائل العربية ، المقيمة على حدود الشام من مواقعهم ، بعد أن عرفوا الجيش الاسلامى ، والروح العالية التى يتميز بها جنوده ، المتشوقون الى خوض هذه المعركة مع هذا العدو المتجبر •• وعاد الجيش الى قواعده بعد أن قضى على خرافة الجبروت الرومانى •• وفى شهر رمضان فى العام الخامس عشر من الهجرة ، وقعت معركة القادسية ، وانهزمت فيها دولة الفرس ، وارتفعت بعدها رايات الاسلام عالية خفاقة على أرض فارس •• وفى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، عبر المسلمون البحر بجيش جرار ، يقوده الشاب المسلم طارق بن زياد ، ليخلص الاندلس من الاستبداد والظلم وتم نصر الله على مائتى ألف قوطى ، كان قد عبأهم حاكم الاندلس الطاغية •• وفى شهر رمضان سنة خمسمائة وأربع وثمانين من الهجرة ، حدثت موقعة حطين ، فقد حقق صلاح الدين الايوبى ، نصره الخالد باجلاء الصليبيين عن الارض العربية بعد احتلال دام أكثر من مائة عام •• وفى الخامس والعشرين من شهر رمضان ، سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة ، وقعت عين جالوت ، لتسجل نصر العرب والمسلمين . على موجة التتار العارمة ، التى جرفت العالم العربى والاسلامى ، فترة من الزمن فى بربرية ووحشية لم يعرفها التاريخ من قبل •• واذا كان التاريخ يعيد نفسه ، ووعد الله حق لا يتخلف ، حسبما قال الله تعالى : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » غافر : ٥١ •• ففى العاشر من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين ، استطاع العرب والمسلمون ، بفضل قيادتهم الرشيدة ، أن يستردوا كراماتهم ، وأن يستعيدوا أمجادهم ، وأن يرفعوا رؤوسهم عالية ، فلقنوا اسرائيل درسا لن تنساه ولن ينساه التاريخ فحطموا الكبرياء ، وتضوا على الغرور المصطنع ، حيث خاضوا أحدث الحروب وأخطرها ، حرب الصواريخ والاقمار وقنابل التليفزيون ، حرب عصر الفضاء •• وقد حققوا فى أيام قليلة من الانتصارات العسكرية والسياسية والقومية ، ما عجزوا عنه طوال مئات السنين ، منذ عصر صلاح الدين والغزاة الصليبيين •• وقد وصف الخبراء العسكريون فى العالم ، هذه المعارك الحربية ، بأنها أكبر وأشد ضراوة من معارك الصحراء فى الحرب العالمية الثانية •• لقد ظهرت الروح الاسلامية فى العاشر من رمضان : قوية ظافرة ، وكان لصيحة الله أكبر . دوى زلزل حصون الباطل وأذهب سحره ، وأوقع الرعب والفزع فى قلوب العدو المتغطرس الذى ولى مدبرا ولم يعقب •• وكان لسلطان هذه الكلمة النورانية ، قوة دحرت جبروته ، فضل ضلاله ، وضاع صوابه ، واعتراه التخبط ، فالتوت أمامه السبل ، وأعمى الله بصره وبصيرته ، فأوقعه فريسة للشجعان المناضلين عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم ، وأذن مؤذن النصر . الذى يعتبر بداية لبعث قومى عربى . سيجعل من الامة العربيه قوة عظمى فى هذا العالم تستطيع أن تقف فى مواجهة أعتى القوى ، بحضارة جديدة مستمدة من تراث عريض فى العقيدة والفكر والقيم الانسانية •• ان هذه المعارك . م تحقق النصر الاستراتيجى على الجيوش الاسرائيلية فقط : كما اعترف العالم كله ، بل حققت ما هو أخطر وأعظم ، حققت التضامن العربى بل والاسلامى ، والذى كان مستحيلاً فى ظل الشعارات •

عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المفتش العام للوعظ بالازهر

منهج الإسلام في تربية الشباب

قال سائلى من الشباب هل يجوز للمسلم أن يستمع الى الغناء المصحوب بالموسيقى ؟ .. وهل يجوز للمسلم أن يرتاد المسارح ودور السينما وقد أصبح ذلك منتشرا فى مجتمعنا .. ان الشباب فى حيرة لعدم معرفة موقف الاسلام من هذا اللون فأجبته على ذلك قائلا ..

فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد

ان الاسلام دين واقعى يعايش الانسان على أرض الحقيقة ولا يحلق به فى أجواء الخيال .. وهو يعامل الناس على أنهم بشر خلقوا من طين وركبت فيهم الغرائز والنفس الامارة بالسوء وهم قد خلقوا للفرح والمرح يأكلون ويشربون وينامون ويستيقظون ويعبدون ربهم كما أمرهم ويستمتعون بطيبات الحياة الدنيا التى يقول فيها ربنا « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » وقد روى الامام مسلم فى صحيحه أن الصحابى الجليل حنظلة الاسيدى وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيني أبو بكر وقال كيف انت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا راى عين . فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا « أى لاعبنا » الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال ابو بكر .. فوالله انا لنلقى مثل هذا .. قال حنظله فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذاك ؟ قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا راى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات ونسينا كثيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده - ان لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفى طرقكم - ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وكررها ثلاث مرات - والذى يؤخذ من هذا الحديث ان الانسان العابد المتبتل الخاشع يبش الناس ويبتسم لهم ويمتزج معهم فى حياتهم وقدوته فى ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى ويطيل الخشوع والبكاء ثم هو يمازح اصحابه ولا يقول الا حقا ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحب السرور وما يجلبه ويكره الحزن وما يدفع اليه وكان من دعائه « **اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال** » ومن هذا يتبين لنا سماحة الاسلام والتحامه مع الحياة وليس هناك تنافر بين الدين والدنيا لان الدنيا مزرعه الاخرة ومن هنا كان من اللهو المباح الذى تطرب له القلوب وتنعم به الاذان الغناء **والاسلام يبيح الاستماع اليه اذا كان بألفاظ عفيفه مهذبه لا تخدش الحياء ولا تحرض على اثم ولا تدعو الى فحش أو خيانة** هذا على أنه اذا اقترن الغناء بأشياء محرمة كتداول الخمر فى المجلس او ظهور امراة أجنبية لترقص فان هذا محرم لا يجوز للانسان ان يحضره او ان يجلس فى مجلسه وكذلك لا يجوز

تضييع الوقت بحيث يمتد السهر الى قبيل الفجر فيكون من وراء ذلك النوم بالنهار وضياع الصلاة وعدم اقامتها وهذا شىء منهى عنه يدخل فى دائرة الحرمة لان الله تعالى يقول « **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين** » كما أنه لابد فى طريقة اداء المغنى أن يبتعد عن التكسر والتميع وتعمد الاثارة للغرائز لان هذه أمور تجر الى الضرر وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما قال زوجت عائشة ذات قرابة لها من الانصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أهديتم الفتاة ؟ قالوا نعم قال أرسلتم معها من يغنى ؟ قالت لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول اتيناكم آتيناكم فحيانا وحياكم » وتأمل فى كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تدخل السرور على القلب بألفاظ مشرقة تدعو الى الاستقبال الطيب للعروس التى تزف ..

وعن عائشة ايضا رضى الله عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام منى « اى فى العيد الاضحى » تغنيان وتضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر نكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال « **دعهما يا ابا بكر فانها أيام عيد !** **ان المناسبات السارة والايام الطيبة يستحب فيها اشاعة السرور ترويحا للنفس حتى لا تمل القلوب وتسأم ومن المعلوم أن اللهو البرىء يقوى القلوب والنفوس على مواصلة السير فى طريق الجد** .ومن هنا يقول الامام على كرم الله وجهه « **ان القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة** » ويقول رضى الله عنه « **روحوا القلوبساعة بعدساعة فان القلب اذا أكره عمى ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ولكنه لا يقول الا حقا** » .

فمن ذلك ان امرأة عجوزا جاءته فقالت يا رسول الله ادع الله لى ان يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز .. وانزعجت المرأة وبكت ظنا منها أنها لن تدخل الجنة .. فلما رأى منها ذلك بين لها غرضه بان العجوز لن تدخل الجنة عجوزا بل ينشئها الله خلقا آخر تدخل الجنة شابة بكرا وتلا عليها قول الله « **انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا اترابا** » ان الترويح عن النفس باللهو المباح لا بأس به على الا يستغرق ذلك الوقت كله فينشغل به الانسان عن الواجبات ويهزل فى موضع الجد وهذا تضييع للوقت الذى هو كالسيف ان لم يقطعه الانسان بالعمل الجاد المثمر قطع رقبته بل أن الوقت هو رصيد الانسان فى حياته ولهذا قيل اعط الكلام من المزح بقدر ما يعطى الطعام من الملح **ومن هنا يتبين لنا أن الاسلام لا يحرم الغناء المقترن بالموسيقى مادام القصد من ورائه الترويح عن النفس بالفاظ جاده وبسوب لا تميع فيه** وقد سمح النبى صلى الله عليه وسلم لاهل الحبشة ان يلعبوا فى مسجده ووقف ينظر اليهم ومعه أم المؤمنين عائشه ويقول لهم دونكم يا بنى ارفده وقد ورد عن كثير من الصحابه والتابعين انهم سمعوا الغناء ولم يروا بأسا لسماعه اما السينما والمسرح « دور الخياله والتمثيل فهى تمثل فى متجمعنا دورا هاما من ادوار التوجيه والترفيه .. فلو احسنا ما يعرض فيهما لارتفعنا بمستوى تفكير شبابنا وكل من يتردد عليهما .. لانه فى الامكان ان نستعملهما فى الخير ونتخير لهما من روائع القصص التى تهدف الى تدعيم القيم وتاصيل الاخلاق الطيبة والصفات الحميدة فى نفوس المشاهدين ـ لان الحكم عليها من ناحيه الحل والحرمة يكون بحسب ما يؤدى فيها وما يقدم عليها **والشعوب دائما تميل الى الشىء الملموس المحسوس الذى يقدم فى صوره حوار على اننا نرى انه لابد من فصل المقاعد بين الذكور والاناث وعدم الاختلاط المثير بين الرجال والنساء خاصة ونحن نعلم ان المشاهده لا تتم الا تحت ستار الظلام** فلابد ان يكون هناك فاصل ولا يسمح بالجلوس الا مع ذى محرم بعد التاكد من ذلك وتفهيم الناس ان الملاصقه بين الرجل والمراة الاجنبية حرام وقد روى الطبرانى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **لان يطعن فى رأس احدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له ومنعا للفتنة ودرءا للشبهة فلابد أن يكون هناك ستار بين الجنسين مع عدم رفع الاصوات بالفاظ نابيه وكلمات تحدش الحياء هذا** جانب اما الجانب الاخر فلا يجوز ان يمتد العرض او التمثيل الى وقت تضيع فيه الصلاة لان الصلاة فرضها الله على المسلم خمس مرات فى اليوم وهى محددة بمواعيد لا يجوز تضييعها ولا تداخلها فى الوقت الاخر بقصد مشاهدة فيلم او النظر الى رواية يقول الله تعالى « **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** » هذا مع الاحاطة بأن الشرط الاساسى أن ما يقدم على هذه او تلك لابد أن يتصف بالجود وأن يرمز الى هدف معين وان يخلو من اثارة الغرائز وتحريك العواطف والتحريض على الاثم والاغراء بالجريمة مع منع القبلات وعدم ابراز مفاتن المراة والا كان

البقيـة ص ٧٦

أربعة دروس هامة من بـدر الكبرى

وجـاء رمضان ....

ومعه أروع ذكريات للمؤمنين .. ومعه أيضا معانى كثيرة .. تتجدد مع الايام حتى تقوم الساعة عن أحداث رمضانية .. ومن أهمها بدر الكبرى

ورغم أن الزمن قد طوى على هذه الموقعة الخالدة ١٣٩٤ عاما هجريا بالتحديد . الا أنها مع كل عام تثير فى النفوس ذكريات وتبعث فى القلوب افكارا متجددة .

ومن اهم هذه التعاليم التى يستفيد منها المسلمون .

وكل انسان على ظهر الارض من بدر الكبرى أربعة امور هامة .

الأستاذ صلاح عزام

● أولى هذه الدروس .. أن العبادة لا يمكن أن تعطل .. أو تعوق .. أو تؤجل عملا .. بل إن العبادة قوة دافعة للعمل واجادته وحسن تأديته .. فهكذا علمنا الحق تبارك وتعالى .. ولكى تتعمق هذه المفاهيم فى نفوس المسلمين .. شاءت حكمة العزيز المتعال ان تقع بدر .. فى أول عام يتقرر فيه الصوم .. ويكون موعدها مع السابع عشر من أيام الصيام فى رمضان ..

وهذه كلمة بالغة .. ترد على كل ما تجيش بنفوس البشر عبر التاريخ .. أن الصيام معطل للعمل .. وأن الشىء الهام يمكن ان يؤجل الى ما بعد الانتهاء من الصيام .. وهذه حكمة الله فى خلقه .. وفى أن نرى معظم المواقع الخالدة فى الاسلام . وفى حياة المسلمين تقع فى رمضان .. ابتداء من بدر الكبرى . وانتهاء بمعركة تيمن أصحابها باسم بدر ككلمة سر .

● والثانى من الدروس .. الولاء المطلق للقائد والايمان الكامل بحامل اللواء والزعيم .. فحين يقرر امرا فلا يخالفه احد .. بل يسارع الجميع باتباعه .. وبذلك يكتب الله الخير لهذه الجماعة المخلصة .. الخالصة .. كما حدث للمسلمين الاول ..

وأروع تسجيل لهذا الولاء .. الوثيقة التى تركها لنا التاريخ ان الصحابى الجليل سعد بن معاذ وهو يتحدث بين يدى الرسول العظيم صلوات الله عليه ويقول آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق .. وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك .. فامض يارسول الله لما اردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد .. وما تكره أن تلقى بنا عدونا غدا .. انا لصبر فى الحرب .. صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله .. .

والوثيقة الخالدة الاخرى التى تضم كلمات المقداد بن عمرو .. الصحابى الوفى .. أمام سيد البشرية صلوات الله عليه وهو يقول « يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك .. والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى .. اذهب أنت وربك فقاتلا .. انا هاهنا قاعدون .. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .. .

● وثالث الدروس .. تعميق معنى الشورى .. وهى التى يسميها الناس اليوم هروبا من المعانى الاسلامية بالديمقراطية .. وفى أسمى معانيها . وفى مواقع لا تقبل فيها المشورة .. بل اننا فى العصر الحديث نتركها للخبراء فقط .. والقادة هم الذين يخططون والجنود ينفذون .. حتى صارت من القواعد الحربية والقتالية .. ان على الجندى تنفيذ

او امر قائده .. ثم له بعد ذلك أن يتظلم .. اما قبل ذلك فلا ..

اما المدرسة المحمدية .. ومن موقع بدر .. فتظهر لنا مدرسة الشورى فى اسمى واروع واعظم صورها .. فقد أراد القائد .. سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعسكر المسلمون فى موقع معين يستعدون فيه لملاقاة الكفار .. واذا بصحابى جليل وهو الحباب بن منذر الجموح يقول . يا رسول الله أرأيت هذا المنزل .. أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه .. ام هو الراى والحرب والمكيدة ..

قال : بل هو الراى والحرب والمكيدة .

قال : يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى تأتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **لقد أشرت بالراى ..**

واخذ الرسول القائد بالمشورة .. وعمل بها ..

والرأى عندى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حتما سيوجهه الحق تبارك وتعالى الى ما فيه الخير .. ولكنها الارادة الالهية .. التى شاءت أن يأتى أمر الله وخبره على لسان واحد من خلقه .. وفى ظرف خطر كموقف الاستعداد لبدر .. لتظهر الحكمة الالهية فى تعميق معنى الشورى .. والحرص عليها .. والاخذ بها .. لان فى ذلك صالح البشرية .. وكل مجتمع فى كل زمان وليكون هذا **الدرس للناس جميعا وحتى تقوم الساعة ومن بدر** الكبرى ..

● ورابع الدروس .. ان الفئة المؤمنة مهما كانت قليلة العدد .. فانها منتصرة باذن الله .. بل ان الحق تبارك وتعالى آخذ على نفسه حق نصرها .. وبكل الوسائل حتى ولو ارسل ملائكة من السماء تقاتل معها .. المهم أن تكون الفئة مؤمنة خالصة الايمان .. ولا تتردد ولا تهاب مهما كانت الفئة الباغية اضعاف عددها .. واكثر منها عدة وعتادا .. وكنموذج حى لما نقول .. ما حدث لمؤمنى موقعة بدر فهم الاقل عددا .. وهم الاقل عتادا .. حتى لا يذكرعددماهعهم من اسلحة لماعند خصومهم من عتاد واستعداد هؤلاء الخصوم الذين جاءوا لابادة المسلمين .. بل ترك كل واحد منهم فى مكة من يعد له موائد الفرح بعد العودة .. ومعه رؤوس المسلمين . تشاءت ارادة الحق تبارك وتعالى أن ينصر عبادة .. وان يخيب ظن الكافرين .. « **والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار** » ..

● وما اكثر الدروس المستفادة من بدر .. ورضى الله عن كل من اشترك فيها ونفعنا بهم ..

بقية مقال « منهج الاسلام فى تربية الشباب »

ما يؤدى حراما تجب مقاطعته وعدم ارتياد الدور التى تمثل هذا اللون من الافلام أو المسرحيات .

وما نشاهده اليوم من تلك الصور العارية المعلقة فى الشوارع ومنظر الرجل الذى يحتضن امرأة أو يقبلها كل هذا منهى عنه محرم شرعا واخلاقا لان ذلك يحرض على الفاحشة والله تعالى يقول « **ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة** » كذلك ما تقدمه السينما فى عصرنا يعتمد على الاثارة وتحريك الغرائز وكذلك التمثيليات فالفاظها هابطة والهدف الذى ترمز اليه منحط ولا يخدم فضيلة ولا يدع لغرض نبيل شريف. وبين الحين والحين نسمع على أن هذه النصوص هى التى تعرض فقط والحقيقه **ان الادب الاسلامى وتاريخ العرب كل ذلك حافل بالبطولات وروائع القصص ولكن صناعة السينما وادوار التمثيل يعتمدان اساسا على الاثارة والهبوط** واردت ان أوضح لكم هذا لتكون البينة امامكم واضحة على أن الاسلام لا يعادى هذه الاشياء ولا يعلن الحرب عليها الا اذا خرجت عن الخط المرسوم فى الاسلام وهو الحفاظ على الاداب والاخلاق وعدم تضييع العبادات وقول الحق والوصول بما يقدم الى هدف نبيل وامتنا فى حاجة اليكم انتم بالذات يا شباب لتعودوا الى فكر امتكم وتأخذوا منه ما يلائم ظروفكم وتقدموه عملا فنيا رائعا يخدم القضية ويصلح الاخلاق لان الدين لا يصطدم مع الفن ولا يعارضه الا اذا خرج الفن عن حدود اللياقة الاخلاقية والقاعدة التى نعرفها بأن الفن ذوق وأخلاق وتجسيد اعمال من واقع الحياة بأسلوب مهذب وعبارات واضحة تسمو بالانسان وترتفع بمستواه وتبوئه مكانة طيبة فى دنيا الناس .

ان الغناء سلاح يستعمل اساسا للترويح عن النفس لتتجدد القوة فى الانسان فيعمل ويجد ويبتكر فان هبطت الفاظه ضيع الامة وان سمت الفاظه وهذبت عباراته دفع بالامة الى الرقى والابتكار وكذلك ما يقدم فى السينما أو على المسرح وقد اتضحت الصورة امامكم - هدانا الله واياكم وسدد على طريق الخير خطانا وخطاكم .

نصر بدر

يوم التقى الجمعان

الدكتور عبد الغنى الراجحى

قافلة قريش قادمة من الشام الى مكة تمر قريبا من مدينه يثرب وهى محملة بما لذ وطاب من التجارات والاموال ، ماذا عن النبى واصحابه لو خرجوا لمناوشة هذه القوافل ومصادرتها كعملية رد على كفار مكه وانتقام اقتصادى منهم على ايذائهم للرسول والمؤمنين وهم بمكة ، ومصادرة اموالهم وديارهم بعد أن هاجروا منها الى مدينة يثرب فرارا بأنفسهم ودينهم من ظلم اهل مكة ؟ أليس الشر بالشر والبادى اظلم ؟ خرج المسلمون يريدون القافله التجاريه التى كانت تقوم بخمسين ألف دينار . لكن أبا سفيان علم بذلك وكان رئيس القافلة ، فغير الطريق المعتاد وانتحى ناحيه الساحل بعيدا عن يثرب ، وقدر له أن يفلت من قبضة المسلمين وكان قد أرسل الى اهل مكه رسولا يستنفرهم لانقاذ اموالهم من محمد والمسلمين ، فدخل هذا الرسول مكة على هيئة عجيبه مهيجه حيث قطع اذن بعيره وجدع أنفه وحول رحله ، ووقف عليه ومزق ثيابه من خلف وقدام يصرخ قائلا لاهل مكة : اللطيمه اللطيمه . اموالكم مع ابى سفيان عرض لها محمد فى الطريق لا ارى ان تدركوها . الغوث . الغوث .. فتجهز مكة جيشا قويا قرابه ألف رجل على رأسهم صناديد الكفرة وعظماء مكة المناوئين للاسلام ودعوته من امثال أبى جهل وامية بن خلف ، وعتبة وشيبة ابن ابى ربيعة وغيرهم ، وبرغم أن الانباء جاءتهم تقول ان آبى سفيان نجا بالاموال ، وبرغم انه اثيرت فكرة أنه لا داعى للانتقال لهذا الجيش من مكة الى يثرب لانه أصبح غير ذى موضوع ، الا أن رؤساء الضلال ركبوا رءوسهم وأخذهم الغرور ، وأقسموا ليذهبن الى محمد يؤدبونه حتى لا يعود لمثل هذا العمل مرة أخرى وان لم يحاربوا فعلا ، فلا أقل من أن تكون مظاهرة حربية ونفسية وتجمع يشربون فيه ، ويأكلون ويطربون وينادون على المسلمين بالويل والثبور وعظائم الامور ، ثم يعودون مظهرين هيبة المشركين وذلة المسلمين

الفئة القليلة من المسلمين التى تناهز الثلاثمائة فقط ، وليس معها سبعون بعيرا . يتعاقبون عليها ، لم تكن خارجة مع رسول الله لحرب ميدانية مع جيش مسلح ، ولم تكن مع قلة عددها فى كمال عدتها ، لكنها فوجئت نزولا على حكم الظروف وتطورات الاحداث بأن الامر صار حربا حقيقيـة ، فقد نجت العير والتجارات والاموال ، وأقبل النفير والجيش الجرار للحرب والقتال . هنا لابد من وقفة تأمل ودراسة واستشارة واعداد وأخذ الحذر وتعبئة نفسية ، وتهيؤ قبل الاقدام على المعركة .

من جانب نجد الكافرين ثلاثة أمثال المسلمين ، ومن جانب آخر لو أن المسلمين جبنوا ورجعوا الى يثرب خائفين لطمع فيهم يهود المدينة ، وازداد كفار مكة

طمعا فيهم . استشار النبى أصحابه وكانوا بين مهاجرين وانصار ، فتكلم ابو بكر وعمر . وقال المقداد ابن عمرو يارسول الله امض لماامرك الله به فنحن معك لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى « **اذهب انتوربك فقاتلا ان ها هنا قاعدون** » ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . وسكت الناس فقال الرسول أشيروا على أيها الناس ، وكان يريد الانصار وكانوا عاهدوه على حمايته فقط لا على الخروج معه الى حرب ، فلما أحس الانصار أنه يريدهم وكان سعد ابن معاذ صاحب رايتهم التفت اليه وقال لكأنك تريدنا يا رسول الله . قال . أجل . قال سعد . لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما أردت فنحن معك . والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ومانكره ان نقابل عدونا غدا وانا لصابرون فى الحرب صادقون فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله .. وهنا أشرق وجه النبى بالمسرة وعزم وتوكل على الله وأمرهم بالسير الى ملاقاة العدو بعد أن نفذ المشورة التى امره بها ربه فى قوله الكريم « **وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين** » ثم ساق اليهم بشرى أن الله وعده احدى الطائفتين ، فاما العير والتجارات ، واما النفير والانتصار الحربى المؤزر ، ولئن كان الاحب الى النفوس بحسب طبيعتها البشرية طائفة العير لانها كسب كبير بمجهود قليل ، فلعل فى لقاء الجيش والنفير نصرا جذريا للاسلام والمسلمين يسمو على متاع الدنيا ويحق الله به الحق ويبطل الباطل . وفى ذلك التحليل النفسى والاجتماعى والدينى يقول القرآن فى سورة الانفال « **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون . واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** » كان أصحاب النبى على شىء من الحق فى استشعارهم الخوف وتهيبهم الموقف الذى يحذرون ان يكون فى غير صالح الدعوة وهيبتها ومركزها ، كانوا ثلث عدد الكافرين ولم يخرجوا لقتال ووراءهم بالمدينة كثير من المسلمين لم يخرجوا معهم بينما الكافرون ثلاثة أمثالهم فى أقوى عدتهم تتقدمهم عظماء مكة وسادتها كأنما كان الموقف يناديهم بلسان حاله ، ينادى المسلمين يقول لهم :

قد جدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر او اشد
لابد مما ليس منه بد

توكلوا على الله واستبسلوا ورفعوا اكف الضراعة اليه مستغيثين متذللين أن يأخذ بناصرهم فلم يخيب الله رجاءهم ، وكانوا كما تحدث القرآن عنهم فى هذا الموقف يقول الله تعالى فى سورة الانفال « **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممددكم بالف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله أن الله عزيز حكيم** »

ثم فى قوله تعالى فى سورة آل عمران « **ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسـومين وماجعلـه الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين** » .

بشائر النصر برغم تأزم الموقف وتهيب المسلمين تتوارد تباعا تهب رياحها ، فها هو ذا رسول الله ينادى ربه اللهم نصرك الذى وعدتنى ان تهلك هذه العصابة لن تعبد بعد ذلك فى الارض وابو بكر يصلح له رداءه الذى سقط من فوق منكبيه لانه يرفع يديه نحو السماء ويقول له يا رسول الله بعض مناشدتك ربك ان الله منجز لك ما وعدك . ثم يبشر النبى اصحابه بانه راى فى منامه أنه منصور ، ويقول لكأنى انظر الى مصارع القوم . ان الملائكة ستقاتل وان الله سيلقى الرعب فى قلوب الكافرين . « **اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب . سورة الانفال ١٢ ، ١٣** .

يقف المسلمون اول الامر بعيدين عن ماء بدر فيتقدم المنذر بن الحباب بمشورة يأخذ بها الرسول أن يتقدموا نحو الماء يمنعون منه العدو فيشربون ولا يشرب العدو ، فيكون ذلك الحرمان عامل اذلال للعدو وكسر لشوكته ، وينتاب المسلمين وقوفا فى أرض المعركة نوبة نعاس زيادة فى قوة اعصابهم وامدادا لهم بطاقة من القوة والطمأنينة واليقين فى نصر الله ونزل المطر على أرض المعركة فكان عامل تثبيت لرمالها وبالتالى تثبيت لاقدام المسلمين المقاتلين فوقها لا يثور فى وجوههم الغبار ولا تتزلزل تحت اقدامهم الرمال . وفى هذه المكرمات يقول الله « **اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام** » سورة الانفال . الله يرى نبيه فى منامه جموع الكافرين ضئيلة قليلة كأنه يقول له

ستنتصر عليهم « **اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور** » سورة الانفال ٤٣ ونفس الشىء يفعله الله مع المسلمين حيث كان يقلل الكافرين فى أعين المسلمين دفعا للمسلمين الى أن لا يهابوا ولا يتقاعسوا ، وخوفا من العدد والعدد . فما اقل ذلك كله أمام الروح المعنوية والعقيدة القتالية ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله والله مع الصابرين . كما أن الكافرين كانوا يرون المسلمين قله ضئيلة ليزدادوا طغيانا وطماعية تأتى على نهايتهم قريبا . فما أعظم هذا الصنيع والتدبير المحكم لحتمية اللقاء ثم الهزيمة الساحقة للكافرين « **واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور** » سورة الانفال ٤٤ ما أحكم هذه المقادير الالهية ، مفارقات عجيبة ومواقف مليئة بالحركة والمفاجأة والمشاعر والاحاسيس ثم ينجلى هذا الاعداد المحكم عن نصر مؤزر للمسلمين وهزيمة ساحقة للكافرين ، ما كان يكرهه المسلمون ويخافون عواقبه الوخيمة كان خيرا او بركة وعزة ومجدا ، وما كانوا يرونه من النصر بعيد المنال قد صار بعون الله أمرا مفعولا تتحدث عنه الاجيال ويحتفل به المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها حتى تقوم الساعة ويرث الله الارض ومن عليها . وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم « **اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة ان الله لسميع عليم** » سورة الانفال ٤٢ لقد تردد المسلمون فى لقائهم بالكافرين وتردد الكافرون فى لقائهم بالمسلمين ولكن ارادة الله غلبت واطماع الله لهم بعضهم فى بعض ، وتم اللقاء لتكون الدائرة على الكافرين .

ان عوامل النصر يوم بدر ترجع الى ألطاف الهية وتوفيقات ربانية واعانات سماوية تتجلى فيها دقة القدر واحكامه وتشهد بأن الامر كله لله ، ويشهد لها قول الله لاهل بدر من المسلمين ونبيهم « **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم !** سورة الانفال ١٧ .

لقد كانت بدر آية من آيات الله يقول فيها القرآن « **قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء** » سورة آل عمران ١٣ لقد ثار المسلمون لانفسهم ودينهم وكرامتهم ضد المساءات والايذاءات والمهانات التى صبت عليهم وعلى رسولهم فى مكة ، وقتل بلال مالكه أمية . بعد العذاب الذى طالما عذبه فى مكة ، وقال وهو يقتله : أمية رأس الشرك لانجوت ان نجا . وقتل عبد الله بن مسعود ابا جهل الذى طالما آذى رسول الله بمكة وكان أبو جهل وهو يقتله يعجب كيف ركب ابن مسعود صدره فيقول له لقد رقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم ، لقد قتل من الكافرين سبعون منهم العتاة والجبابرة ووقع فى الاسر سبعون اخذوا الى يثرب مكبلين بالسلاسل والاغلال والذين دعا عليهم الرسول فى مكة يوم آذوه وهو يصلى فى المسجد الحرام بوضع القاذورات على رأسه وهو ساجد قتلوا يوم بدر ووقف الرسول على جثثهم ينادى كل واحد باسمه يا فلان ابن فلان هل وجدت ما وعد ربك حقا انى قد وجدت ما وعد ربى حقا ، فيقول الناس له : يا رسول الله اتكلم اجسادا لا روح فيها ؟ فيقول ما أنتم بأسمع لحديثى منهم ولكنهم لا ينطقون . وفى الربط بين ايذاء كفار مكة للرسول واخراجهم له بالهجرة ، وبين هزيمتهم الساحقة فى بدر وانتصار المسلمين عليهم يقول الله « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم** » سورة التوبة ٤٠ .

ويقول « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور** ، سورة الحج ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ويقول عن أسرى بدر « **يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله مافى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم** » سورة الانفال ٧٠ ـ ٧١ .

الليلة بنت البارحة وما تحت الشمس من جديد والظواهر التاريخية تتكرر وتؤكد نفسها متشابهة يشبه بعضها بعضا لانها جميعا تكون خاضعة لنواميس واحدة وسنن كونية لا تتخلف وعادات سماوية لا تبديل لها ولا تحويل سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . فيوم بدر ونصر بدر مقدماته ونتائجه وتسلسل الاحداث فيه فى كل ذلك درس وقانون سماوى للمسلمين وسنه لا تتخلف . الايمان والاخلاص ووحدة الصف ووحدة الكلمة واستجلاب رضاء الله وتوفيقاته وعاناته هى دائما ابدا عوامل النصر للمسلمين على أعدائهم ماضيا حاضرا ومستقبلا . ولن يصلح أمر هذه الامة الا بما صلح عليه أولها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

رمضــــــان

وذكريات أيــام خالــدة

الأستاذ مأمون غريب

كلما جاء شهر رمضان الكريم كلما تداعت الى الذهن أمجد الذكريات ففى هذا الشهر المجيد حدثت بعض المعارك التى غيرت مجرى التاريخ الانسانى .. وحفرت فى أعماقه ذكريات لا تنسى ..

وكثيرا ما يتجسد أمام خيالى صور بعض هذه المعارك الفاصلة فى التاريخ .. وأقول لنفسى ان هذه المعارك الفاصلة ليست مجرد معارك عسكرية بين دولة ودولة ، أو فريق من الناس ضد فريق آخر .. يظهر فيها المنتصر ، ويقبع مهيض الجناح بعدها المهزوم .. ثم تنسى مع الزمن . ولكن هذه المعارك كانت حدا فاصلا بين عهد وعهد .. بين صورة وصورة .. على أثرها تغيرت خريطة الدنيا .. وبرزت ملامح حياة جديدة . تركت بصماتها على دنيا الناس .. لا فى العصر التى وقعت فيه فقط .. بل فى عصور تالية من التاريخ

ولعل أبعد المعارك التى غيرت التاريخ قديما ووقعت أحداثها فى رمضان كانت موقعة بدر .. وآخر المعارك التى قامت فى رمضان كانت حرب رمضان المجيدة التى خضناها ضد اليهود .

لنعد الى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .. ونقف قليلا عند أول معركة فى التاريخ الاسلامى كانت لها أهمية قصوى وهى معركة بدر ..

نحن الان فى مدينة رسول الله . المدينة المنورة .. حينما آخى الرسول بين المهاجرين والانصار . بعد ان اضطر للهجرة من مكة الى المدينة . دفاعا عن نفسه ضد أذى مشركى مكة . وما كان ينبغى أن يظل الاسلام فى حالة دفاع دائمة عن النفس .. مجرد رد العدوان .. كان لابد من اتباع استراتيجية جديدة ليس الهدف منها العدوان . ولكن الهدف اقامة دولة الاسلام .. ليبدأ الدين الجديد انتشاره . وهذا كان يتطلب ايجاد قوة جديدة يحسب حسابها لانه قد آن الاوان أن تأخذ الدعوة شكلا حاسما .. بتصفية خصوم الاسلام ، والرد على عدوان الكائدين له .. فقد أذن الله لهم بالجهاد .

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »

ومن هنا فقد فكر الرسول أن يشعر قريش بأن تلزم حدودها وأنه قد آنت ساعة الانتقام . فكان أن أمر بأن يتصدى المسلمون لقافلة لقريش كانت قادمة من الشام . ويعلم أبو سفيان بذلك ، ويغير طريقه ليصل بالقافلة سالمة الى مكة . ولكن صلف قريش وكبرياءها يجعلها تصر بأن تلقن الرسول درسا ، فتبعث اليه بجيش جرار قوامه ألف فارس ومعها نساؤها وخيلاؤها . ولم يكن المسلمون الذين أخذوا موقعهم عند بئر بدر سوى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا .. قوتان غير متكافئتين .. قوة هائلة أمام قلة من المسلمين ليس لهم من عتاد وسلاح يتناسب مع سلاح العدو . مما جعل النبى عليه الصلاة والسلام يتجه ببصره الى السماء يطلب العون :

« اللهم انهم حفاة فاحملهم .. اللهم انهم عراة فاكسهم .. اللهم انهم جياع فاشبعهم »

وسأل الرسول أصحابه الرأى .. ان عدوهم يملك ما لا يملكون من السلاح ، ويرد المقداد بن عمرو :

« يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول لك : اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، ما دمت منا عين تطرف ، فوالله الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد - بلد بالحبشة - لسرنا معك ! »

ويقول سعيد بن معاذ الانصارى :

« يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الانصار ترى عليها ألا ينصروك فى ديارهم ، وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم ، فاطعن حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت كان أحب الينا أخذه مما تركت ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، وانا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقربه عيناك . فسر بنا على بركة الله » .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« سيروا وابشروا بأن الله قد وعدنى احدى الطائفتين : العير أو النفير . فوالله لكأنى أنظر الى مصارع القوم »

وفى أول المعركة اقترح سعد بن معاذ أن يبنى للنبى عريشا يقود من خلاله المعركة .. ووافق الرسول . وابتدأت المعركة الرهيبة . خرج من صفوف المشركين ثلاثة من محترفى القتال وهم : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة طالبين المبارزة فخرج لهم على بن أبى طالب ، وحمزة ابن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث .. وبسرعة قتل المشركون الثلاثة ، وارتفعت صيحات التكبير من جيش المسلمين . ودارت معركة رهيبة . وفى أثنائها توجه النبى الى السماء

« اللهم هذه قريش ، قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ،اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الارض »

ويقول الرسول أيضا :

« والذى نفسى محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة »

وتحتدم المعركة .. ويتساقط قتلى المشركون . وتدور الدائرة عليهم ، ويقتل أبو جهل . ويفر المشركون هاربين ، ويوحى الرسول الكريم بمعاملة الاسرى معاملة كريمة ». وكانت هذه المعركة بداية لانتصارات اسلامية متتالية .. بعدها انتشر الاسلام . كل يوم يزحف نحو مساحات جديدة . الى أن دخلت الجزيرة العربية كلها الاسلام .

وشهر رمضان الكريم يذكرنا بآخر انتصار أحرزته مصر على قوى البغى والعنصرية والاستعمار .. ذكرى انتصار العاشر من رمضان .

كانت صورة الحياة قبل حرب أكتوبر صورة باهتة يغلب عليها الحزن ويخيم عليها الظلام . فاسرائيل يمتد ظلها الكئيب الى ضفاف القناة وسيناء ، والضفة الغربية للاردن . وقادة اسرائيل قد ملأهم الغرور وصوروا لانفسهم وللعالم أنهم وحدهم القادرون على تأديب العرب ، ورسم خريطة الشرق كما يريدون !

وقامت حرب رمضان على وجه لم تتوقعه اسرائيل والعالم . واذا بمعالم الصورة تتغير تماما . واذا العالم يصحو على حقيقة جديدة .. بأن مصر قادرة على القتال . وأن مصر التى استطاعت أن تحطم موجات المغول ، وجحافل الصليبيين هى مصر نفسها القادرة على الارتفاع فوق جراحها . فوق الالم والهزيمة لتغير الواقع كالعهد بها دائما . وتعطى لاسرائيل حجمها الطبيعى . ويكشف العالم كله معدن المقاتل المصرى وشجاعته ، وقدرته على استيعاب أحدث تكنولوجيا العصر .

ولاول مرة تقف اسرائيل عاجزة على ملاحقة الاحداث بعد حرب أكتوبر . فلم تعد قادرة على خداع الرأى العام العالمى بأنها دولة مهيضة الجناح تحاول العيش فى سلام مع العرب . ولكن انكشف وجهها الحقيقى على أساس أنها دولة رسمت مبادئها على العنف . والعمالة . كما أن تركيبها العنصرى لم يعد خافيا على أحد . وأن عملية التهام أجزاء من العالم العربى بعد كل فترة زمنية لا يمكن أن يستمر .

● فقد حصلت على وعد بلفور فى الحرب العالمية الاولى .

● وحصلت على قرار التقسيم بعد الحرب العالمية الثانية .

● وأخذت تلتهم أجزاء من العالم العربى بعد ٥ يونيو .. أى أن حرب رمضان وضعت حدا لهذه الاطماع التى لا تنتهى عند حد ، وأعطت درسا لاسرائيل بأن عليها من الان أن تواجه الواقع .. ويكفى أن لهجة الصحف هناك قد تغيرت .. فتقول صحيفة **هاآرتس** بعد هزيمة اسرائيل :

« ان الشعب الاسرائيلى كله قد أخطأ .. » وتقصد الجريدة أن الشعب عاش على وهم صدقه بأن العرب لا يحاربون !!

ثم نسمع واحدا منهم وهو أمنون روبنشتاين يقول :

« ان التصورات القديمة عن عدم وجود الاخرين هى تصورات لا أساس لها من الصحة » .

لقد وقف الرأى العام الاسرائيلى شبه مذهول لاول مرة أثناء هذه الحرب . لم تعد حربا خاطفة ، ولم تعد يقدر لها الساعات كما كان قادة اسرائيل العسكريين يحاولون تثبيته فى النفس الاسرائيلية .. ولم تعد كلمات موشى ديان وجولدا مائير تنطلى على أحد . بعد أن مرت الايام ولم يهزم جيش مصر كما كانوا يؤكدون حتى أن أحد المراسلين الاجانب يكتب من تل أبيب بعد مرور تسعة أيام على المعركة :

« لقد بدأ الادراك يتزايد فى اسرائيل . وقد دخلت الحرب يومها التاسع بأن زمن القتال هذه المرة سيقاس بالاسابيع لا بالايام . بعد أن اعتاد

الاسرائيليون على تحقيق الانتصارات السريعة السهلة وليس على الحرب الثقيلة الممتدة ».

● ● ●

لقد أصابت حرب رمضان اسرائيل فى الصميم ، ويكفى أن تعرف مدى ما أصاب هذه النفسية المريضة بداء التفوق والعظمة والنصر . انهم بعد هزيمتهم فى الحرب لم يكونوا مستعدين لتصديق ما جرى من أحداث . فاذا بهم يقومون بمظاهرات عقب هذه الحرب ويتجهون الى الكنيست وهم يحملون لافتات تعبر أصدق تعبير عن الواقع الجديد الذى أحدثته حرب أكتوبر .. وفى نفس الوقت تعطى انطباعا عن هذه العقلية الاسرائيلية التى ظلت تائهة فى ضباب الاحلام . انهم يحملون لافتات مكتوب عليها : « ان شعب اسرائيل قوى ، ولكن حكومته ضعيفة ! » .

بقايا وهم قديم بالطبع .

بقى أن تعرف أن الادب وهو يعكس واقع الشعوب نراه فى اسرائيل هو الاخر قد تأثر بالدعاية الصهيونية .. فهو ادب دعائى عنصرى .. ويكفى أن نقرأ رواية « الروى » الذى الفها بنيامين دزرائيلى ، وكان رئيسا لوزراء انجلترا فى العصر الفيكتورى نرى أن بطلة قصته تتمسك بالعنصرية . كما أن الادب الصهيونى المعاصر يحاول أن يصور للعالم أن اليهود لا يحاربون الا دفاعا عن النفس !!

ولكن أعتقد أنه بعد حرب أكتوبر لن يجرؤ الادب والفكر الصهيونى أن يصور العرب بهذه الصورة الذى يحاول تشويههم بها . ولا يمكن أن يجرؤ أن يصور عرب فلسطين بتلك الصورة الساخرة التى صور بها « ليون ادريس » عرب فلسطين وهم يتركون الارض لليهود فيقول :

« لو كان عرب فلسطين قد أحبوا أرضهم لما كان بوسع أى كائن طردهم . انهم كانوا يهربون من أرضهم بلا سبب حقيقى! » .

كم تغيرت الصورة الان ..

وأملى أن تكون كل أيام العرب عظيمة العطاء .. وأن يكونوا يدا واحدة فى هذا العالم ليحققوا أمجادا كتلك الامجاد التى حققها .. ولترتفع رايتهم دائما .. خفاقة عالية . ويعرفوا أنهم جميعا فى سفينة واحدة .. تقودهم نحو اتجاه واحد . وعليهم أن يتحدوا ضد الاعداء حتى لا تغرق بهم السفينة لانه عندئذ لا ينفع البكاء !

دعاء

- اللهم اجعل حبك وذكرك -
- فى قلوبنا ، ونضرة النعيم -
- فى وجوهنا -
- اللهم ارزقنا يقينا -
- صادقا ، وايمانا يباشر -
- قلوبنا -
- اللهم أعنا على ذكرك -
- وشكرك وحسن عبادتك . -

التصوف والفلسفة الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم

الاطمئنان بالله تعالى

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

يربى السادة الصوفية المريدين على الاطمئنان بالله تعالى فى جلب الخير أو دفع الشر ، وفى الاطمئنان بالله التوكل الحق ، وسندهم فى ذلك ما جاء فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة من مثل قوله تعالى « أليس الله بكاف عبده » ، وقوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال » ، فقوله صلى الله عليه وسلم ، تغدو خماصا « أى جائعة » ، وتروح بطانا « أى شبعانة » يفيد انها تسعى بالغدو والرواح على رزقها ولا ينافى ذلك توكلها على الله تعالى .

ومن حكمهم فى هذا المقام : يا مسكين كان أى الله تعالى « ولم تكن ، ويكون ولا تكون ، فلما كنت اليوم قلت أنا وأنا ، كن فيما أنت الان كما لم تكن : فانه هو اليوم كما كان . وقد سئل سيدى وشيخى الشيخ على عقل – طيب الله ثراه – ان يأتى بأبيات من الهامه على وزن البيت الاتى وقافيته :

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

فكان مما قال توا ونقلناه استماعا منه رضى الله عنه :
واذا العناية لاحظتك عيونها)
لا يستذلك فى الورى انسان
سلم لأمر الله لاتقف الهوى
متى سلم الامر احتواه امان
ومنازل التسليم خير وقاية
ممن يخوض وماله عرفان
ماذا يفيدك ان تعلل رحمة
او ان يكون على القضاء بيان
خذ من حياتك عدة من شرعه
ان الشريعة للهدى ميزان
يا ايها العارى اليه بقلبه
لا يغلبنك فى الهدى شيطان
ان كنت تصدق فى يقينك لحظة
(نم فالمخاوف كلهن امان)

وفى هذه المناسبة أنقل للسادة القراء الاعزاء أن امامنا وشيخ طريقتنا الاكبر سيدى الغوث الحاج محمد أبو خليل ساكن مشهده المبارك بالزقازيق ، قدس الله سره . وجزاه الله عنا خيرا كثيرا ، عقب بمذاقه العالى على ذلك البيت :
واذا العناية لاحظتك عيونها .
نم فالمخاوف كلهن امان

فقال رضى الله عنه : ولماذا ينام والعناية تحوطه ، وغير الشطر الثانى بقوله : قم فالمخاوف كلهن أمان . اقول وصدق من قال : كل اناء بما فيه ينضح ، وسل فؤاده عن همة الاولياء وذوق الاتقياء الاصفياء ، وصدق سبحانه اذ يقول (وفوق كل ذى علم عليم) وحق للسادة الصوفية ان يقولوا : العلم رواية والمعرفة دراية .

ومعرفة الله تتفاوت بين المؤمنين وهى كما يقول سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه ثلاث درجات :

١ – معرفة عقلية ونورها البرهان أو علم اليقين .
٢ – معرفة قلبية ونورها البيان أو عين اليقين .
٣ – كشفية ونورها العرفان أو حق اليقين .

ويقول رضى الله عنه : علم اليقين كالنجوم يطلع عليها بدر عين اليقين ، ولكن كل الانوار تتبدد أمام شمس حق اليقين .

وعند قوله تعالى فى سورة البقرة (واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) يقول رضى الله عنه فى لطائف الاشارات : قيل كان

فى طلب زيادة اليقين ، فأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له حاصلا من عين اليقين . ويقول امامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، وهو ما يدلنا على أنه رضى الله عنه كان من أهل حق اليقين

وقد جاء فى الصحيحين أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر فى أفق من آفاق السماء . قالوا : يا رسول الله : تلك منازل الانبياء لا ينالها غيرهم ، فقال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ولا يظن ظان أن الاطمئنان بالله يتنافى مع الخوف منه سبحانه ، فان الخوف منه سبيل للاطمئنان به ، لان الخائف منه ينفذ أوامره ويترك زواجره ، ويزداد بذلك محبته فيه وشوقها اليه وثقة به وتوكلا عليه ، لعلمه أنه تعالى هو وحده مالك القضاء والفعال لما يشاء ، فما شاءه كان ، وما لم يشأ لم يكن . ولهذا قالوا : من كان تقيا كان لله وليا . والتقوى كما عرفها امامنا على كرم الله وجهه هى : الخوف من الجليل والعمل بما فى التنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

وقد وصف سبحانه الصادقين فى ايمانهم فقال تعالى فى سورة الانفال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) والوجل هو الخوف من الله تقديرا لجلاله تعالى ومهابته ، ليقينهم أنهم ضعاف بين يديه فهم يرجون رحمته ويخافون عذابه . وقد قال الامام البخارى رضى الله عنه : حضرت العلم عن ألف وثمانين شيخا كلهم أجمعوا على أن الايمان علم وعمل يزيد وينقص ، ويقول امامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه متحدثا بنعمة ربه عليه : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا »

ولا ينافى ذلك الخوف اطمئنانهم بالله بل هو مقارن له عندهم ، لانهم يعيشون بين اطمئنان بوعده ورجاء فى فضله وبين خوف من وعيده وتهديده ، وليس الخائف الذى يبكى ويمسح دموع عينيه انما الخائف هو الذى يترك اتيان المعاصى التى يخاف أن يعاقبه الله عليها . وليس المطمئن هو الذى يهمل طاعة الله ويتمنى مغفرته ورضاه بل لابد من أن يقرن الرجاء بالعمل الصالح الذى رسمه الله له وأمره بأدائه ، ولهذا قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

ومن حكم سيدى معروف الكرخى قوله رضى الله عنه : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب . ويحدث سيدى أحمد الحوارى رضى الله عنه فيقول : دخلت على أبى سليمان الدارانى ، رضى الله عنه ، يوما وهو يبكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ قال : يا أحمد ، ولم لا أبكى ، واذا جن الليل ، ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت فى محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه وتعالى . ونادى : يا جبريل ، بعينى من تلذذ بكلامى . واستراح الى ذكرى ، وانى لمطلع عليهم فى خلواتهم ، أسمع أنينهم ، وأرى بكاءهم ، فلم لا تنادى فيهم يا جبريل ، ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه ؟ أم كيف يجمل بى أن آخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا لى (اى توددوا وتقربوا بالعمل الصالح (فبى حلفت أنهم اذا وردوا على يوم القيامة لاكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا الى وأنظر اليهم .

وحدث عن الصالحين فى مواجيدهم الطاهرة ولا حرج عليك ، فقد شرفهم الله تعالى بالانتساب اليه فقال تعالى فى سورة البقرة (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ويعقب سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه على هذه الآية الكريمة فيقول فى لطائف اشاراته :

سؤال كل أحد يدل على حاله ، لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دنيا ولا عن عقبى ، بل سألوا عنه فقال تعالى (واذا سألك عبادى عنى) وليس هؤلاء من جملة من قال (ويسألونك عن الجبال) ولا من جملة من قال (ويسألونك عن اليتامى) ولا من جملة من قال (ويسألونك عن المحيض) ولا من جملة من قال ويسألونك عن الروح) ولا من جملة من قال (ويسألونك عن اليتامى) .

(فانى قريب) بين سبحانه أن تلك القربة ليست اقتراب بجهة أو ابتعاد بجهة أو اختصاص ببقعة فقال (أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) لم يعد اجابة من كان باستحقاق زهد أى فى زمان عبادته بل قال (دعوة الداع اذا دعان) ثم قال (فليستجيبوا لى) هذا تكليف ، وقوله (اجيب دعوة الداع) تعريف وتخفيف ، قدم التخفيف على التكليف . وكأنه قال : اذا دعوتنى عبدى أجبتك ، فأجبنى أيضا اذا دعوتك .. ثم قال فى آخر الآية (لعلهم يرشدون) اذ ليس القصد من تكليفك ودعائك الا وصولك الى ارشادك .

ويقول العارفون ان القطب الذى يدور عليه القرآن الكريم كله هو قوله تعالى فى سورة النساء (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) وقد وعد الله المتقين بعونه وتيسيره وطمأنهم على أرزاقهم حتى لا يشغلهم الرزق عن الرازق فقال تعالى فى سورة الطلاق (... ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا) .

وقد آمن أسلافنا الصالحون من سادتنا الصحابة الكرام وعملوا صالحا مع الايمان فمكن سبحانه لهم فى الارض ورزقهم الامن والاطمئنان مصداقا لوعده الكريم الذى وعدهم به بقوله تعالى فى سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) .

ومن ذلك نرى أن فى طاعة الله ورسوله خير المسلمين فى دنياهم ، وهو خير معجل ، ولهم كذلك فى طاعة الله ورسوله خير الاخرة وهو خير مؤجل ، والاخرة خير وأبقى ، وقد ظفر أسلافنا الصالحون بخيرى الدارين ، وكسبوا بصلاحهم وتقواهم الامن من الخوف يوم القيامة ، وشاهدنا قوله تعالى فى سورة يونس (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) ومن سار على دربهم من الخلف ألحقه الله تعالى بهم وان لم يبلغ همتهم ، وذلك من عطاء الله لهم تقر أعينهم بذراريهم ، ولنقرأ فى هذا المعنى قوله تعالى فى سورة الطور (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين) .

وأهل الطاعة والتقوى هم الاولياء الذين والوا الله بصدق الايمان واخلاص العمل فوالاهم بالعناية والرعاية والتوفيق فيما يحب ويرضى ، وصدق سيدى الامام ابن عطاء الله السكندرى اذ يقول : اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب اليك . واننا نرى فى كتاب الله الكريم صورا رائعة لعناية الله بأوليائه وأصفيائه فيما قصه علينا وأبقاه عبرة لنا كما كان عبرة لمن قبلنا وكما يكون عبرة لمن بعدنا . فقص علينا مثلا كيف أجرى الرزق على سيدتنا مريم وهى تعبده فى محرابها ، مع أن كافلها بأمر الله كان رسولا نبيا وهو سيدنا زكريا عليه السلام ، ولم يكن اكرامها برزق العناية مرة واحدة بل كان جاريا مكررا بدليل قوله سبحانه فى سورة آل عمران (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان

الله يرزق من يشاء بغير حساب) · وكلمة كلما تفيد التكرار كما هو معلوم ·

وكذلك قص علينا سبحانه فى عنايته سيدتنا ام موسى عليهما السلام قوله تعالى فى سورة القصص (وأوحينا الى ام موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) ·

فانظر معى أيها القارىء العزيز كيف أبرز سبحانه رعايته الخارقة بهذه الام حيث أمرها أن تلقى رضيعها فى البحر مطمئنة الى حفظه تعالى ، وعادة الناس تجرى على أن يخرجوا من فى البحر الى البر خوفا من الغرق ، ولكن جاء أمر الله عاكسا عادة الناس لتكون آية حفظه دالة على أن قدرة الله عز وجل فوق الشك ، وعلى أن الاسباب تقيد الخلائق ولا تقيد الخالق الفعال لما يريد ·

ولنتأمل فيما ساور الام بحكم بشريتها وأمومتها من القلق والاضطراب حين وقع وليدها فى يد عدوه فرعون – بعد أن ألقته فى البحر بالهام الله – وكادت فى اضطرابها أن تكشف عن أمومتها له لولا أن ثبتها الله من ذلك الاضطراب وأمنها على حفظه له بخارق قدرته وعجيب تدبيره ، وذلك ما يحكيه قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) فاختاروها مرضعة له دون أن يعلموا أنها أمه · وحقق الله لها فى شأنه وعده ، فرده اليها كى تقر عينها ، ولتعلم أن وعد الله حق ، ثم زادها سرورا برسالته ورسالة أخيه هارون عليهما السلام ، ثم أغرق فرعون الذى كانت تخاف ان يقتل ابنها ، وسبحان مالك الملك الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وهو على كل شىء قدير ·

وفى مناسبة الاية الكريمة السابقة (وأوحينا الى أم موسى ··· (أذكر أن الاديب الاصمعى سمع فتاة تتكلم فى فصاحة فائقة ، فقال لها : ما أفصحك أيتها الفتاة ، فقالت : وهل ترك كلام الله للناس فصاحة ، واستطردت تقول : ان آية واحدة من كتاب الله تعالى جمعت أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، فسألها الاصمعى عن تلك الاية فذكرت له الاية المذكورة فان كان الاصمعى قد عجب من فصاحة تلك الفتاة فى كلامها فاعجب معى أيها القارىء العزيز من حسن تحليلها للاية الشريفة حين يثبت لنا ما غاب عنا من أنها جمعت أمرين أى (أن أرضعيه) ، والامر الثانى (فألقيه) ونهيين أى (ولا تخافى) و (ولا تحزنى) أما الخبران المتضمنان بشارتين فهما قوله تعالى (انا رادوه اليك) (وجاعلوه من المرسلين) وهو أيضا خبر وبشارة ، وكل هذه الوعود حققها الله تعالى لسيدتنا أم موسى عليه وعليها سلام الله ، ولا شك أنها ازدادت بذلك ايمانا بربها وتوكلا عليه واطمئنانا به ، جل جلاله وعز جاهه وسلطانه ·

وكيف لا تزداد اطمئنانا بربها وقد أراها فى وليدها العجب العاجب ، فقد ألقته فى البحر خوفا من أذى فرعون ، فأخرجه الى البر فرعون وأراد أن يقتله فسخر الله تعالى لنجاته أقرب الناس الى فرعون وهى زوجته فقالت (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) وقد كافأها الله تعالى على موقفها من ذلك الوليد المبارك فآمنت بالله وصارت مثلا للذين آمنوا بينما ظل زوجها يقول فى كفره (أنا ربكم الاعلى) حتى غرق كافرا ، ويعرض على النار فى الدنيا صباحا ومساء (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وتنتظره نار الاخرة (ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ·

ثم كان ما كان من أمر سيدنا موسى عليه السلام حيث فر من مصر الى مدين بعد أن قتل خطأ واحدا منهم وخاف أن يقتلوه به ، وغاب عشر سنوات وفى طريق عودته شرفه الله بالرسالة حين كلمه بالوادى المقدس طوى ، وزاده شرفا فشد أزره بأخيه هارون عليه السلام استجابة لدعوته التى قال فيها (واجعل لى وزيرا من أهلى) هارون أخى ● اشدد به أزرى ● وأشركه فى أمرى ● كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ● انك كنت بنا بصيرا ● قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ●) ثم بين له سبحانه كيف أحاطه فى نشأته بعنايته وشمله بها فى حياته فكانت سر نجاته من كل كرب ، وذلك ما يحكيه قوله تعالى بعد الايات الكريمة السابقة (ولقد مننا عليك مرة أخرى ● اذ أوحينا الى أمك ما يوحى ● أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى ● اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى ● واصطنعتك لنفسى ● اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ● اذهبا الى فرعون انه طغى ● فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ● قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ● قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى) وهى معية نصر وتأييد وتمكين ·

ثم تعالى معى الى قصة أهل الكهف الذين احتموا بالله فحماهم وآواهم فى كنف رحمته حين فروا من الكفر وأهله واستغاثوا بربهم فألقى عليهم نوم التكريم ثلاثة قرون أو يزيد ثم بعثهم من مرقدهم وظنوا أن نومهم كان لساعات معدودة ثم أماتهم فى رضوانه · وقد صحبهم كلبهم وهو حيوان أعجم غير مكلف ، فنال من شرف التكريم الربانى ما نالهم ، وجرى ذكره مع ذكرهم على ألسنة العابدين من أهل السموات والارضين الذين يتلون كتاب الله الكريم ، فما أوسع رحمة الله ، وتبارك سبحانه فى علاه ·

واقرأ ان شئت قصتهم كاملة فى سورة الكهف ، وأولها قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ● اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ● فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ● ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ● نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً ● وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) ·

ثم اقرأ فى وسط القصة قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) ·

ثم اقرأ فى آخر القصة قوله تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ● قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا (·

ومن بين الكثير الذى قاله عنهم سيدى الامام القشيرى فى لطائف الاشارات نقتبس للقراء الاعزاز قوله رضى الله عنه :

قوله تعالى (اذ أوى الفتية الى الكهف) : آواهم الى الكهف بظاهرهم ، وفى الباطن فهو مقيلهم فى ظل اقباله وعنايته ·

وقوله تعالى (ربنا آتنا من لدنك رحمه وهيىء لنا من أمرنا رشدا) : أى انهم أخذوا فى التبرى من حولهم وقوتهم ، ورجعوا الى الله بصدق فاقتهم · فاستجاب لهم دعوتهم ، ودفع عنهم ضرورتهم (أى ما يلزمهم من طعام وشراب) وبوأهم فى كنف الايواء مقيلا حسنا ·

وقوله تعالى (وربطنا على قلوبهم) · أى بزيادة اليقين ، فلم يبق للتردد مجال فى خواطرهم ، وتمت سكينة قلوبهم ·

وقوله تعالى (اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض) : أى قاموا لله بالله ، ومن قام بالله استغنى عما سواه ·

ويقال : من قام لله لم يقعد حتى يصل الى الله ·

ويقال : قعدت عنهم الشهوات فصح قيامهم بالله ·

وقوله تعالى (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) : هذا اخبار عن حسن ايوائه لهم ، فلا كشفقة الامهات بل أتم ، ولا كرحمة الاباء بل أعز ، وبالله التوفيق •

ولننتقل بعد ذلك الى ما شرف الله تعالى به سادتنا الصحابة الكرام رضى الله عنهم فى مثل قوله تعالى فى سورة الفتح (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما) وكان ذلك فى السنة السادسة من الهجرة حين صد المشركون المؤمنين عن دخول مكة لاداء العمرة ، وعقد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة صلح الحديبية ، وهو الصلح الميمون الذى أعقبه دخول الناس فى دين الله افواجا ، وكان الصحابة الكرام فى بادىء الامر قد كرهوا أن يصدهم أهل مكة عن أداء العمرة ، ورأى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور الله أن يعقد الصلح الذى تضمن هدنة لمدة عشر سنوات ، اطمان الناس خلالها واختلطوا بالمسلمين وسمعوا منهم القرآن العظيم ووقفوا منهم على فضائل الاسلام فامن منهم طوعا عشرة أضعاف من آمنوا قبل الصلح •

ومع زلزلة السادة الصحابة عند عقد الصلح لم يخرج أحد منهم عن الاسلام بل ازدادوا استمساكا به واطمئنانا لتصرف مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عقد الصلح للمصلحة العامة كما أراه الله تعالى • والذى يدلنا على تلك الزلزلة ما تضمنه حديث البخارى من حوار دار بين سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وجاء فيه على لسان سيدنا عمر قال : أتيت أبا بكر فقلت : ياأبا بكر ، أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن ؟ قال : أيها الرجل ، انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك غرزه (اى تمسك بأمره ولا تخالفه) فوالله انه على الحق ، قلت : أو ليس كان يحدثنا أنا سناتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفاخبرك أنا ناتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فانك آتيه فتطوف به •

وكان سيدنا عمر قد سمع من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك الجواب الذى أجاب به سيدنا أبو بكر ، وقد قال العلماء : لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ما خفى عليه • وأما جواب أبى بكر لعمر رضى الله عنهما بمثل جواب النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وباهر علمه وزيادة عرفانه •

ولننظر الى صورة رائعة أخرى لسادتنا الصحابة الكرام رضى الله عنهم ، وهى تلك التى تحدث القرآن الكريم عنها فى قوله تعالى فى سورة آل عمران (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم • انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وكان أبو سفيان نادى عند انصرافه من غزوة أحد : يا محمد ، موعدنا موسم بدر القابل ان شئت ، فقال صلى الله عليه وسلم : ان شاء الله تعالى •

فلما كان القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل « مر الظهران » فالقى الله الرعب فى قلبه فاراد أن يرجع ، فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى فقال : يانعيم ، انى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وان هذا العام جدب ولا يصلح لنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وقد بدا لى الا أخرج اليه ، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ، ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى ، فالحق بالمدينة نثبطهم وأعلمهم انى فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، ولك عندى عشرة من الابل أضعها فى يد سهيل بن عمرو ويضمنها •

فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الصحابة يتجهزون لميعاد أبى سفيان ، فقال : أين تريدون ، فقالوا : واعدنا أبو سفيان بموسم بدر الصغرى أن نقتتل بها ، فقال : أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم ، والله لا يفلت منكم أحد ، فكره بعض أصحاب رسول الله الخروج ، فقال صلى الله عليه وسلم ، والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى •

فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه الف وخمسمائة من أصحابه وهم يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى ، وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ، وأقام صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بها ثمانية أيام ، وباعوا ما كان معهم من التجارات وربحوا ربحا كبيرا ولم يأتهم احد من مشركى مكة •

فانظر كيف سرت فى سادتنا الصحابة شجاعة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اطمأنوا كما اطمان بالله تعالى وهتفوا بلغة الاطمئنان : «حسبنا الله ونعم الوكيل » ، وهى كلمة عظيمة قالها سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والتسليم حين القاه اعداؤه فى النار ، فكانت عليه بردا وسلاما بامر الله تعالى •

وقد أوحى الله تعالى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقولها ، وذلك قوله تعالى فى سورة التوبة (فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (وكان امامنا مالك بن انس صاحب المذهب رضى الله عنه يلبس خاتما من فضة وقد نقش عليه « حسبنا الله ونعم الوكيل » فسالوه فى سبب ذلك النقش ، فقال : لان بعدها : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء •

وفى هذه المناسبة أذكر ما جال بخاطرى ذات يوم من توكل سيدتنا أم موسى عليهما السلام حين ألقت رضيعها فى اليم مطمئنة بما أوحاه الله اليها الهاما (لانه سبحانه يخاطب الانبياء وحيا ويخاطب الاولياء الهاما) وقلت فى نفسى : لا سبيل لمثل هذا الالهام الا للخواص ، فكيف يطمئن مثل هذا الاطمئنان عوام المؤمنين ، فالقى سبحانه فى روعى توا : ان الله تعالى قال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وفى هذا القول الكريم طمانينة لكل مؤمن متوكل عليه فسبحانه من عم فضله عباده المؤمنين أجمعين ، ولست أكتم القراء الاعزاء أنى أحسست ببرد ذلك الخاطر احساسا عميقا والحمد لله رب العالمين وكذلك أذكر انى شكوت أثناء الحرب العالمية الثانية لسيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى ، نور الله مرقده ، من خوف كان ينتابنى عند الغارات الجوية وانطلاق المدافع المضادة للطائرات المغيرة ، فاشار على رضى الله عنه أن ادفع ذلك الخوف بقولى (لا اله الا الله ، دخلنا فى حصن الله) مع تكرارها أثناء الغارة ، ثم استطرد رضى الله عنه فقال لى : أتدرى لماذا وجهتك لان تقول ذلك ؟ قلت : لا ، قال : لانه ورد فى حديث قدسى شريف ، لا اله الا الله حصنى ، فمن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى »

فاللهم ألحقنا بركب أوليائك الكرام الذين وفقتهم بعونك لطاعتك ، وعصمتك بفضلك عن المعاصى والمخالفات ، وخلعت عليهم بتكريمك ما لقبتهم به مرة بقولك الكريم (أولئك حزب الله) ومرة بقولك الكريم (وعباد الرحمن) ومرة ثالثة بقولك الكريم (عبد الله) وأخرى بقولك الكريم (أولياء الله) وما أهناهم بانتسابهم اليك واضافتهم تشريفا الى رب السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى ، وارزقنا اللهم محبتهم فيك ليكون لنا شرف مخاللتهم ، وقد قلت وقلك الحق (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

علاقة الصوم بزيادة الإنتاج عند الصوفية

الأستاذ زكريا عامر البكري

حقا ان الانفصال عن الحياة هو الانتحار الميتافيزيقى الذى يأباه الاسلام والاسلام دين الدنيا والاخرة · بقول الله تعالى « وابتلغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ·

والسادة الصوفية فى صومهم لا يصومون عن الطعام والشراب وكل مفطر فحسب ولكنهم يصومون كل بحسب درجته وقربه من الله عز وجل عن أمور كثيرة بقدر وسع نفسه صدق الله « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ·

وتلك هى عظمة الاسلام فى أنه يخاطب كل النفوس ويتدرج السالك فى مسالك النفس وقد خالف النفس الامارة بالسوء « ان النفس لامارة بالسوء » وجعل نصب عينه قوله تعالى «ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ١٢-١ البقرة · « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » ٥٠ القصص · وفى هذه المرحلة من السلوك يقلع الفرد المسلم عن أفعال تتعلق بالسلوك الظاهر كأكل أموال الناس بالباطل « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتداوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » ١٨٨ البقرة ·

والاسراف فى الاكل والشراب « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » ٣١ الاعراف ·

وقول الزور « واجتنبوا قول الزور » ٣٠ الحج ·

وكذلك يقلع ويبتعد الفرد المسلم عن أفعال تتعلق بالسلوك الباطن فيبتعد عن سوء الظن « ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » ١٢ الحجرات ·

ويبتعد عن الحسد « ومن شر حاسد اذا حسد » ٥ الفلق ·

وكلها أمور تقضى على سلامه الفرد والجماعة · واذا ابتعد عن سوء الظن والحسد وقول الزور والاسراف فى الاكل والشراب واذا كان تناول الطعام حلالا فى ذاته وابتعد عن الاسراف فيه فى وقت فطره وتركه فى وقت صومه ، فاذا كان ذلك كذلك فانه من باب أولى يبعد عن الحرام فى ذاته ·

كقتل النفس سواء نفسه او نفس غيره ولعب الميسر وشرب الخمر وارتكاب الفاحشة والسخرية من الناس والبغى ·

«ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا » ٣٣ الاسراء ·

« ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما » ٢٩ النساء ·

« ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ٩٠ المائدة ·

« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة » ٣٢ الاسراء ·

« ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » ١١ الحجرات ·

« قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق » ٣٣ الاعراف ·

وبعد ذلك يسلك السالك فى طريق الله ومجاهدة النفس ويصل الى منزلة النفس اللوامة التى تحس بالندم على ما ارتكبت وأذنبت وتحس بمحاسبة النفس للنفس على ما كان منها قبل

مبارزة النفس الامارة ومرحلة النفس اللوامة هى أولى مراحل التقدم النفسى والارتقاء الروحى . ولاهمية هذه المرحله النفسية فى الانتصار على شهوات النفس الامارة وقهرها كرم الله هذه النفس وأقسم بها تكريما لها « **لا اقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** » .

٢ ـ القيامة ثم العروج بالنفس الى النفس الملهمه « **ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها** » . ثم يعرج السالك الى مدارج النفس الراضية من نفسها المرضى عنها من ربها واطمانت بعالم الرضى فصارت نفسا مطمئنة .

« **ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية** » .

ثم تعرج النفس الى أول منزل من منازل الكمال النفسى والارتقاء السبوحى وتستجيب لنداء الحق بلسان حالها الصدق وتدخل من باب العبودية لله عز وجل .

« **فادخلى فى عبادى** » فالعبودية لله هى العز الاكبر وهكذا كلما تعمقت النفس فى اعماق بحار العبودية لله عز وجل كلما زاد كمالها والكمالات لا تتناهى . وفى التعمق فى بحر العبودية لله عز وجل ومحبته جل علاه وفى ترك ما سواه .

يقول مولانا ذى القدر السامى سيدنا العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ سلامة العزامى رضى الله عنه وحيد عصره :

لمتى يا غر تنام افق
وسواه فذرو اليه فجى
واغرق فى بحر هواه وهم
بعلاه على أسنى نهج

هكذا الصوفيه فى صومهم يصومون عن الحرام وعن الشبهات ويصومون عما سوى الله عز وجل والصوفية دينهم « **وما امروا الا ليعبدوا الله** » أى أن اللام لام الصيرورة أى يصيروا عبادا لله .

شعارهم « **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** » ١٦٢ الانعام .

قال الحسن نسكى دينى وقال الزجاج عبادتى ومنه الناسك الذى يتقرب الى الله بالعبادة « ص ١٥٢ الجزء السابع تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى دار الكتاب العربى » .

فالصوفية رضى الله عنهم كل سكناتهم وحركاتهم لله رب العالمين .

ومن هذا المنطلق يوضح كيف أن السادة الصوفية وهم فى صوم دائم عما سوى الله عز وجل يزيدون من كم وكيف الانتاج المدرسه الفرضية ويتزعمها مكدوجال « طالع ص ٤٢ من كتاب السلوك الانسانى فى الادارة للدكتور على السلمى وتقدم تلك المدرسة فى علم النفس على أن السلوك الانسانى يتضمن أمرين التعرف على الهدف ثم البحث عن أسلوب السلوك المحقق لهذا الهدف ومن ثم يرى مكدوجال أن السلوك الانسانى الذى يتميز بوجود هدف او غرض محدد يتصف أنه سلوك مستمر لا ينتهى الا بالوصول الى الهدف وأنه سلوك متغير ومتنوع لا يقف عند مواجهة عقبة تحول دون تحقيق الهدف لذلك ركزت المدرسة الفرضية على دراسة الدوافع الاساسية المسببة للسلوك الهادف .

ولما كان السادة الصوفية هدفهم بخدمة مخلوقاته وكان هدفهم مستمر الوصول الى ارضاء الخالق جل جلاله ومتجدد كانت همتهم عاليه فى الا فانى فى بذل قصارى جهدهم فى تقديم أنواع أعمالهم للترقى من نفس الى خدماتهم وزيادة انتاجهم فى شتى نفس باتقانهم خدمة المخلوقات سواء فى الصناعة او التجارة أو أى حرفة يقومون فيها بواجب العبودية لله عز وجل « لان فى خدمه المخلوق طاعة وتقرب الى الخالق » وكلما قوت روحهم زادت قوتهم وطاقتهم وقدرتهم على الانتاج وهى أقوى وأشد كلما صفت نفوسهم واشتدت صفاء فى حالة صومهم لانهم يعيشون بأرواحهم وينطلقون بالعون من خالقهم رب الارباب يقتدرون بقدرته جل جلاله ويمدهم بالعون والتوفيق . فبالله ينتجون وبالله يزيد انتاجهم كما وكيفا حالهم يقول « **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** ! وهنا يذكروننى بقول أبو الحسن الأشعرى وأ باعه رضى الله تعالى عنه وعنهم فى تفسير أفعال العباد « طالع فى ذلك هامش « ٢ » ص ٨٢ كتاب درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ذهب أبو الحسن الاشعرى فى تفسير افعال العباد الى **انها مخلوقة لله ولا تاثير للقدرة الحادثة فى احداث الفعل وانما ينسب الفعل اليها على جهة الكسب ومباشرة الفعل فقط** .

وكلما زاد ايمانهم بالله زاد امدادهم على قدر استعدادهم وبالتالى زاد انتاجهم .

كيف لا والروح القسرية تهزم الجيوش وفى ذلك اشارة الى كل ذى قلب منيب

هذا من جهه زيادة الانتاج عند الصوفية فى صومهم أما طريقة انفاقهم لوقتهم ولاموالهم فانه امر شبه مسلم به لدى أهل الصفاء والنقاء السادة الصوفيه « لقد كانوا سبق من ديكارد فى اثبات التخصص لكنهم انبل منه قصدا لانهم باعوا لله انفسهم « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم** » .

فلا ينفقون أموالهم فى حرام يغضب الله ربهم ومحبوبهم ولا يتعاملون بالربا حتى لا يتعرضون لحرب من الله ورسوله « **ياأيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله** » ٢٧ ، ٢٧٩ سورة البقرة ذلك أن الربا يفسد المعاملات ويقضى على البركة ينزل سخط الرب لا يفلح قوم عرضوا أنفسهم لسخط الله وحربه ولا يتعاملون الا بما يرضى الله عز وجل يخرجون زكاة أموالهم وزكاة جاههم زكاة اموالهم بالقدر المعلوم ويزيد وزكاة جاههم باغاثة اللهفان وانصاف المظلوم والسعى معه لدى ذوى الشان لقضاء مصالحه بما يرضى اللهعز وجل .

ولا ينفقون من وقتهم الا فى مرضاة ربهم فانفاق الاوقات فيما لايرضى الله هو آفة الافات ومضيعة للاعمار والحياة بدون مقتض والسادة الصوفية لا يحرمون أنفسهم من قضاء وقت مع مرشد كامل يبصرهم بامور دينهم ويحارب نزغات الشيطان التى تفرق بين الاحبه « **ان الشيطان ينزغ بينكم** » ويفطنهم بما يميرون به بين خواطر الحق وبين هواجس النفس ووساوس الشيطان حتى يبصرون شواهد التوحيد وعلامات اليقين « **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** صدق الله من ليس له ولى مرشد لا يسمع الا دواعى الفتنة ولا ينخرط الا مع من سلك ركوب الشهوة فأضاع وقته وحياته فى المهالك وأنفق ماله فى المفاسد فاضاع عمره وماله هباء فى غضب الرب والسادة الصوفية على نقيض ذلك يعاملون الله فى صومهم وفى انتاجهم وفى ترشيد استهلاكهم وانفاقاتهم يسترشدون بهدى الله على يد مرشد كامل بهم هداهم بنور من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومون عما سوى الله على الدوام مقصودهم الله ومطلوبهم رضاه وبالله التوفيق .

وآتوا الزكاة

الشيخ محمد ابراهيم الخطيب

ان الاسلام - كما هو معروف - ليس دينا روحيا فرديا تنحصر مهمته فى صرف انسان عن دنياه الى أخراه ، وانما هو دين أجتماعى قبل كل شىء .. دين له فى كل شأن من شئون الاجتماع تنظيم تقصر دونه عقول الحكماء والفلاسفة ، ومن هذا المنطلق نجده قد وضع للمال - نظاما اذا التزم الناس به كان لهم وقاية من شر طغيان هذا المال ومن شر الترف والتبذير ، ومن شأنه فى الوقت نفسه أن يبيح للناس التمتع بطيبات ما اكتسبوا فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن دون افراط أو تفريط والتحكم فى الجهود وثمرات العمل ، ولم ينس الاسلام فى هذا الشأن أن يلفت أنظار الناس الى أنهم مستخلفون فى الاموال وأنها كلها لله يضعها حيث شاء ، ويأمر فيهابما يشاء ، ومن هنا قرر الاسلام فى الاموال حق الفقير وحق العاجز عن الكسب وحق المصالح العامة « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوابأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين » .

وتأتى الزكاة لتلعب دورا هاما فى حياة المجتمع الفاضل وهى تحمل معنى النمو والنقاء والصفاء والطهر يقول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ، والزكاة حصة من المال اوجب الله بذلها « للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » ويجب اعطاء هذه الحصة لمستحقيها اذا بلغ المال فىنموه مقدارا معينا بينه النبىصلى الله عليه وسلم فى مختلف أنواع المال كالزروع والماشية والذهب والفضة ومال التجارة وسائر ما يخرج من الارض عند بعض المذاهب ويرجع فى هذا البيان الى كتب الفقه . وهذه الحصة تطهر المال مما يخالطه ببقاء حق الفقراء فيه ، وتطهر نفوس الاغنياء من الشح والبخل وما يتصل بهما أو ينشأ عنهما ، وتطهر نفوس الفقراء من البغض والحسد والحقد على الاغنياء ، وفيها مع ذلك نماء وبركة وزيادة فى المال بوجه عام حيث ينتفع بها الغنى والفقير ويقوى بها المجتمع والدولة يقول الله تعالى : « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » اى الذين تضاعفت أموالهم ويضاعف أجرهم عند الله تعالى

والزكاة عموما أمر له خطره وشأنه فى اصلاح المجتمع لانها فى الحقيقة تعاون وتضامن من أجل مواجهه أعباء الحياة .

واذا ذهبنا الى القرآن الكريم فى عهديه المكى والمدنى وجدنا الله تعالى يدفع المؤمنين بأساليب قوية الى الانفاق فى سبيله سبيل الخير دون أن يحدد لهم الانواع المالية التى منها ينفقون والمقادير التى لها ينفقون تاركا ذلك الى ما تخلقه الدعوة فى قلوبهم من الشعور الانسانى الكريم ، ونقرأ فى القرآن انهم سألوا حين نزوله مرتين عما ينفقون ، وكان الجواب فى المرتين يصرفهم عن تحديد ما ينفقون ويتركهم الى مشاعرهم او يأخذ بهم الى بيان موضع الانفاق يقول الله تعالى « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » .

وظل القرآن هكذا يأمر بالانفاق دون تحديد لما ينفق منه حتى اذا ما تركز المسلمون واتسع نطاق حياتهم بالهجرة الى المدينة وصاروا جماعة متميزة لهـا منهجها وهدفها وتهيأت نفوسهم فى ظل ذلك لقبول التحديد امتد بيان الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا العنصر بالتنظيم والتحديد على الوجه الذى يهدف الى صالح الفرد والجماعة . من جعل الزكاة ركنا من أركان الدين وبذلك أعلنت فريضة الزكاة وقرنت بالصلاة وشهادة التوحيد وكانت ثلاثتها عنوان الدخول فى الاسلام وعنوان الاخوة الدينية « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » ، « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين » وقد قرن الله تعالى الزكاة بالصلاة حيثما ذكرت الصلاة فى القرآن ، لانهما صنوان يقومان على أصل واحد هو الايمان فالصلاة رأس العبادات البدنية ، والزكاة رأس العبادات المالية » .

ولقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يجمع الزكاة ويقول لمن يكلفه بجمعها خذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم وكان يقول : « حصنوا أموالكم بالزكاة » ، « وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر ولولا البهائم لم يمطروا » ، والزكاة حق يقاتل عليه مانعوه ، ولقد قال أبو بكر رضى الله عنه « والله

« البقية ص ١٦٨ »

العلم والإيمان

خواطر عن ... رمضان

وصارع الناسك الشيطان مرة ثانية فغلبه الشيطان وكاد يقتله .. فقال له الناسك كيف غلبتك فى المرة الاولى ثم كدت تقتلنى الان .

الأستاذ أحمد زين

كل عام وانتم بخير جاء رمضان شهر القرآن .. الشهر الذى تكثر فيه الخيرات وتزداد الطاعات .. ويقترب الانسان من الله .

ورمضان صوم وصلاة وعبادة وامل فى الله سبحانه وتعالى أمل ان يعطى المحروم ويتوب على العاصى ويشفى المريض ويملأ حياتنا بالخير والبركة

أمل فى أن يجيب الله ما تنطقه شفاهنا وما نحبه فى صدورنا وما لا نبوح به لاحد ولا يعلمه الا هو نناجيه فى الظلام والناس نيام والدنيا كلها سكون واحيانا تكون المنجاة بالكلام واحيانا تكون بالدموع واحيانا تكون بالنظر الى السماء واحيانا تكون شعورا ينساب داخل النفس فيهزها بعنف وقوة ولكنها نجاة والمنجاة خضوع والخضوع طاعة لله سبحانه وتعالى .

ان كل صدورنا يملؤها الرجاء وكلها تتجه الى الله ذلك ان الله سبحانه وتعالى هو الذى يبارك فى السعى ويحقق بعمل صغير أملا كبيرا ويعطى ويمنح بلا حساب ونحن نعيش برحمه الله أننا نعيش بامل يملؤنا فى الله سبحانه وتعالى من منا لم يقم كل ليله وقلبه يصيح يارب فى شئ يرجوه فى شئ يخشاه .فى شئ يريد أن ينفى شره فى شئ يريد ان يتحقق له والله برحمته يمسح الدمعه الحزينة ويضع مكانهـا الابتسامة السعيده يذهب الخوف ويدخل اليه الطمانينه .. ويمسح برحمته جراح الحياه .. ويضع الشفاء لمرض لا امل فى الشفاء منه ويسمع المظلوم وهو ينادى فى الظلام منسيا من الدنيا كلها ويرسل شعاع النور وسط اليأس القاتل . تنسانا الدنيا كلها وهو لا ينسانا . ويتخلى الناس عنا فنصيح يارب فيجيب الدعاء يضىء لنا نور الغد .. ويداوى جراح الحياة .. ويمسك بيدنا كلما سقطنا لنقوم من جديد .. ويجدد فينا الامل كلما حاول اليأس ان يخنقنا ويكون هو دائما موجودا عندما نجد انفسنا ضائعين وسط ضباب الحياه .. حين يتخلى عنك كل شئ فهو دائما موجود .. وحين يبتعد عنك الجميع فهو دائما قريب .. وحين يتخلى عنك الامل والرجاء فهو دائما المجيب .

واذا كان الله هو الامل وهو النور .. فلماذا لا نبدأ رمضان بعهد الله .. لماذا لا نبدأ رمضان ونجعله شهر الايمان .. وزيادة الايمان .. والاتجاه الى الله أكثر وأكثر حتى ينصرنا ويوفقنا فيما نعمل .. ان طريق الايمان دائما مفتوح .. لا تغلقه الذنوب مهما كثرت . فباب التوبه والرحمة لا يغلقه الله فى وجه أحد من عباده .. الا المشركين .. فلنضع الايمان فى قلوبنا والايمان اولا وقبل كل شئ هو خشية الله سبحانه وتعالى .. اذا دخلت خشية الله القلب دخله الايمان ودخلته الرحمه ودخله النور .. ويحكى ان ناسكا كان يعبد الله فى صومعته **حين جاءه بعض أصدقائه .. وقالوا له : ـ ان هناك شجرة فى مكان قريب يعبدها الناس .. وحمل الناسك فاسا وخرج من صومعته وقال : لابد من قطع هذه الشجرة .. وبينما هو يمضى فى الطريق جاءه ابليس على هيئة أعرابى ..**

وقال له ابليس . الى اين أنت ذاهب أيها الرجل .. ورد الناسك : هناك شجره قريبة من هنا يعبدها الناس .. اننى ذاهب لاقطعها .. وقال ابليس خل عنك ايها الناسك وماذا ستستفيد انت من قطع الشجرة فوهمه أياه ان الله لا يطالبه بذلك .. ولكن فائدة .. اذهب واعبد الله أنت فى صومعتك .. ولكن الناسك رفض وقال لابد ان اقطع الشجرة او اهلك دون ذلك . وحاول ابليس ان يقنعه بشتى الوسائل الا يقطع الشجره فوهما اياه ان الله لا يطالبه بذلك .. ولكن الناسك اصر .. حينئذ صارعه ابليس مرة فصرعه الناسك .. ومرة ثانيه فصرعه الناسك وعرف ابليس انه لا فائدة فقال للناسك . ساعرض عليك حلا احسن لا تقطع هذه الشجره وستجد كل يوم تحت وسادتك دينارين من الذهب . دينارا تأكل به وتعيش .. ودينارا آخر تتصدق به .. وهذا أفيد لك من الشجرة وقطعها .. ان هؤلاء المشركين سيجدون شجرة اخرى

يعبدونها ولن تستفيد أنت شيئا .. وفكر الناسك قليلا ثم قبل عرض ابليس .. وفى اول يوم وجد الدينارين تحت الوسادة .. وفى اليوم الثانى والثالث والرابع والخامس وجد الدينارين تحت الوسادة .. وفى اليوم السادس لم يجد الدينارين .. واغتاظ الناسك وأمسك فأسه وانطلق لقطع الشجرة .. وفى هذه المرة قابله ابليس وقال له : الى أين أنت ذاهب قال الناسك لاقطع الشجرة .. فرد ابليس لن تقطعها .. وتصارع الرجلان فصرعه ابليس مرة ومرة وكاد يقتله فى المرة الثالثة .. فسأله الناسك : ياهذا . كيف كنت عندما صرعتك فى المرة الاولى لم تقدر على .. وكنت تستعطفنى .. وكيف الان انت تغلبنى وتكاد تقتلنى .. قال ابليس : لانك فى المرة الاولى كان الله فى قلبك فلم يكن احد يستطيع أن يغلبك .. أما فى هذه المرة فان الذى فى قلبك هو الذهب ولذلك صرعتك.. وكدت اقتلك .. لان الذى فى قلبك هو الدنيا وليس الاخرة .. وفى حديث قدسى ان رجلا عندما جاء اجله جمع أولاده وقال لهم . ياأولادى .. انى عصيت الله فى حياتى - واخشى عذابه .. فاذا مت .. فأحرقوا جسدى .. والقوا نصف الرماد فى البحر .. وانثروا النصف الاخر على ساحة واسعة من الارض . فلما مات قام اولاده بتنفيذ ما أوصاهم به . فأمر الله البحر أن يرد ما أخذه .. وأمر الارض أن ترد ما أخذت فجمعه الله مرة اخرى .. ثم سأله . ماالذى دعاك الى ما أوصيت قال : خشية عذابك .. قال : انى غفرت لك ..

وهناك قصة الرجل الذى اراد أن يتوب .. وقد قتل تسعة وتسعين رجلا .. فذهب الى رجل عابد فقال له : لقد قتلت تسعة وتسعين رجلا وأريد ان اتوب .. قال له العابد : ليس لك توبة .. لن يقبل الله توبتك .. فقتله الرجل وبذلك أصبح عدد ضحاياه مائة .. ثم ذهب الى ناسك يعبد الله فى مكان منعزل . فقال له : اننى قتلت مائة نفس واريد ان أتوب .. فقال له الناسك لك توبة .. اذهب الى أرض كذا فان فيها قوما يعبدون الله .. تعبد معهم عل الله يقبل توبتك .. وفى الطريق وافى الرجل الاجل .. وتنازعته ملائكة العذاب .. قالت ملائكة الرحمة : أنه كان فى طريقه الى التوبة .. كان يريد ان يتوب .. وقالت ملائكة العذاب أنه قتل مائة نفس .. واحتكم الملائكة الى الله سبحانه وتعالى فأمرهم أن يقيسوا الارض منذ بدأ الرجل رحلة التوبة .. فاذا كان اقرب الى ارض التوبة غفر له .. واذا كان أقرب الى البلده التى بدأ منها رحلته عذب .. فقاسوا الارض فاذا هى أقرب الى أرض التوبة بمقدار يقل قليلا عن عقلة الاصبع فغفر له .. وقيل أن الله امر ارض التوبة فاقتربت .. ليغفر للرجل .

والله سبحانه وتعالى يقول : « **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم .. وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** » ومعنى ذلك ان الاستغفار والتوبة الى الله تبعد عنا العذاب .

مامعنى ذلك كله .. معناه ان طريق التوبة مفتوح وسهل وهو أمام كل منا .. بشرط ان نضع فى قلوبنا خشية الله .. « **أعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه .. فانه يراك** » . تحس ان الله يرانا .. وانه معنا وأننا لا نستطيع ان نخفى عنه شيئا .. لا داخل حجرات مغلقة .. ولا داخل مساكننا .. ولا حتى داخل قلوبنا .. ذلك أنه يعرف ما تخفى الصدور وهو مطلع على كل صغيرة وكبيرة .. اذا وضعنا هذا فى قلوبنا كان خطوة هامة فى الطريق الى العام الجديد .

ولنعلم أن الله موجود .. موجود فى هذا الكون وموجود فى كل مكان .. ان الانسان يجعل عقله دائما هو الميزان لكل ما يحدث .. وهذا مطلوب فى امور الحياة اليومية .. ولكن هناك أشياء قد تكون فوق قدره العقل أن يفهمها ويفسرها على الاقل فى المرحلة الحالية من تاريخ البشر وقد تأتى مرحلة بعد ذلك وتكشف اسرار جديدة .

والكون بخصائصه كلها وموارده الاولية وقوانينه هو كما خلقه الله - وكل ما استطاعت البشرية ان تفعله هو ان تكشف هذه الخصائص وتستخدمها ، فالهواء كان يمكن ان يحمل الطائرات لو اكتشف الانسان خصائص الهواء .. وعرف نظرية الطيران - والاكبر من خصائصه حمل الاصوات عبر الدنيا منذ فجر التاريخ .

والانسان ما هو الا مكتشف لهذا الكون .. فى كل يوم يكتشف فيه حقيقة تذهله قانونا جديدا يقلب الحياة راسا على عقب .. احيانا يغير النظره الى الدنيا كلها .. واحيانا يجعل غير الممكن ممكنا .. ولكن هذا الانسان عبر التاريخ يعرف انه وحيد فى هذا الكون هو يجهل خصائصه . ومازال يجهل الكثيرين خصائصه .. مازالت هناك اشياء فى أعماق البحار وفى باطن الارض وفى الفضاء وفى الكواكب الاخرى كلها تحمل للارض مفاجآت ومفاجآت وهذه الاشياء كلها موضوعة ومصنوعة بقدرة الله سبحانه وتعالى .. هو الذى أوجدها . واوجد قوانينها . وقدر الموقف الذى تنكشف فيه للانسان .. ولذلك فان العلم يجب ان يدفعنا الى خشية الله اكثر واكثر . واذا وضعنا فى قلوبنا خشية الله .. وضعنا امامنا الاخرة .. وبدأنا نحاسب انفسنا .

فالله موجود بكل قدراته يرانا ويسمعنا ويخلقنا ويبعثنا ثم هناك الحساب .. واذا استطعنا ان نضع ذلك فى قلوبنا ان نضع خشية الله وانه موجود يسمعنا ويرانا ويحاسبنا اذا وضعنا ذلك فى قلوبنا بدأنا عامنا الجديد .. بخطوة كبيرة نحو طاعة الله .. بايمان قوى يملأ نفوسنا .

واذا وضعنا هذا الايمان فى نفوسنا وفقنا الله فى حياتنا .. واصبح الصعب سهلا والمستحيل ممكنا .. وسترنا واحيانا حياة طيبة فى الدنيا والاخرة « **نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة .. ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم** » .

وكل عام وأنتم بخير .

هذا هو الإسلام قوام البشرية

فضيلة الشيخ محمود ابراهيم طايرة

٤

لقد وفر الله سبحانه للاسلام الحنيف ، من أسباب العظمة الخالدة الخارقة – بالاضافة لما أسلفنا فى المقال السابق – ما جعله بالقرآن الكريم قوام المائل ، وقصد الجائر . وصلاح الفاسد ، وقوة الضعيف ، ونصفة المظلوم ، ومفزع الملهوف ! ومصدر البر ، ومنبع الخير ، وذا حساسية فى تحسبه للمستقبل وشفافية ، فلا ترى خيرا الا وجدته سباقا اليه ، ولا تسمع عن معروف الا رأيته داعيا اليه ٠ ولا تكشف مخبوء فى الكون الا ألفيته منبها اليه وحاثا عليه (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ! فلا غرو ان فتح الاسلام الفتوحات ، ومصر الامصار ، ومد ظلال العمران ، واقام على ظهر هذه الارض حضارة عظيمة نعمت البشرية بها ازمانا طويلة ، وكانت حديثا فى فم الدنيا الى اليوم ، ثم صارت ، ولا تزال ، وستبقى ابدا ودائما ، صفحات مشرقة فى سجل التاريخ ، ناطقة بفضل الاسلام ، شاهدة على ما قدم للانسانية من خدمات جلى ليس يجحد بها الا جاهل أو مكابر او حقود ! ولا اخال التاريخ يجهل او يتجاهل ، « غرناطة » أيام أن كانت منارة للعالم عالية ، تشع علما على الدنيا وعرفانا ، على حين كانت اوربا تغط فى ظلام دامس » ٠

على أنه مما لا ينبغى اغفاله فى هذا المقام ، ان من سمات عظمة الاسلام المميزة ، انه – على ما له من شأن عظيم وقدر كبير وسلطان غالب ، وصبر فى جلل الخطوب طويل ، وقدرة على تحمل البلاء حيث لا يستكين ولايهن ، تعجم الشدائد عودة فلا تلين قناته ، ولا يزداد الا صلابة ومضاء ، لان معدنه ذهبى ، لا تزيده النار الا صفاء وبريقا ولمعانا ! وهو الذى حين جد الجد ، وعنف الصراع ، وحمى الوطيس ، غالب دولة الشرك والوثنية فغلبها ، وصارع الباطل فى مسئوليته بسلاح الحق فصرعه ، بعد أن انزله من شامخ عزه ، وعالى كبريائه الى مواطىء الاقدام ، ثم فك العقول من اسارها واطلق الحرية من سجنها ، واعاد للانسانية اعتبارها وقدم للبشرية الكثير من ضروب الاصلاح فى شتى مجالات الحياة ، وقلب النظام الاجتماعى رأسا على عقب ، حيث هدم المجتمع الوثنى الجاهلى الفاسد ، وبنى مكانه مجتمعا اسلاميا صالحا ذا مفاهيم ومضامين جديدة ، لم يكن للقوم عهد بها من قبل بل قل أنه صنع من هؤلاء الجاهليين المتخلفين خير أمة ، ضربت فى ميدان العدالة والمساواة ، والبر والمعروف ، والصلاح والاصلاح ، أروع الامثال ، وان شئت فقل – وأنت مطمئن – لقد استطاع الاسلام ان يغير مجرى التاريخ فى أقل من خمس وعشرين سنة !! اقول : ان الاسلام مع هذا كله ، كان فى حقيقته وطبيعته دينا سهلا ، بسيطا ، ميسورا ٠ كان سهلا لا صعوبة فيه ، وكان ميسورا لا تعسير فيه ، وكان بسيطا ليس فيه حرج ولا تعقيد ! وقد أعلن الناس بهذا ربهم الكريم الرحيم ، حتى يشجعهم ويرغبهم ، فيقبلوا عليه طائعين مختارين ، راضين مطمئنين ، بل فرحين مستبشرين ، وذلك تخفيف من ربنا ورحمة (ان الله بالناس لرءوف رحيم) ٠

قال الحق جل جلاله « **يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر** » وقال سبحانه : « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » وقال جل من قائل «**ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج** » « **ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** » وقال تعالى « **وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » وقال السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم « **ان هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق** » فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » ! الى آخر هذه النصوص ٠ وقد طبقت هذه المعانى الطيبة تطبيقا عمليا فى تعاليم الاسلام وأوامره واحكامه ، وظهر أثرها الطيب فى نفوس المسلمين على مر الايام : شعورا غامر السعادة فى العبادة وحمدا لله وشكرا ، وحبا واخلاصا لذاته الكريمة من أعماق القلوب ! فلما نزل قوله تعالى « **لله ما فى السموات وما فى الارض ، وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله على كل شىء قدير** » شعر المسلمون بشىء من الحرج ، اذ كيف يحاسبون على أمور لم يفعلوها بل لمجرد أن وقرت فى نفوسهم ؟ وعرف الرسول منهم ذلك ، غير أنهم فى نفس الوقت أدركوا ان هذا حكم الله فهو على العين والرأس ، وما عليهم الا السمع والطاعة ، فضلا عن أنهم اعتبروا ان مجرد شعورهم بالحرج من هذا الحكم خطيئة فى جنب الله فاستغفروا الله منها ، رضا وقبولا قابله ربهم برضا وقبول منه ، رضا برضا ، وقبولا بقبول ، رضوا عن الله ، فرضى الله عنهم وخفف سبحانه عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، واعلنهم فى قرآن كريم يتلى أنه لا يؤاخذ المرء الا بما اقترفت يداه من خير او شر ، فسرعان مانزل قوله تعالى « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت (اى من الخير) وعليها ما اكتسبت (اى من الشر)** » !

والصلاة وهى أهم أركان الاسلام ، حيث انها عماد الدين وركيزته ، يتجلى فيها لذى عينين فضل الله ورحمته بالناس ، بالتيسير عليهم ، والتخفيف عنهم ، فان من المعروف انها فرضت فى ليلة الاسراء والمعراج خمسين صلاة فى اليوم والليلة ، غير أن الرسول عليه السلام سأل ربه التخفيف ، لان أمته لا تطيق ذلك ، فتفضل المولى سبحانه وجعلها خمسا فى الفعل ، ولكنها خمسون فى الاجر ، ولعله تعالى فرضها خمسين فى الاول ثم خمسا فى الاخر لها ثواب الخمسين ليستبين للناس فضله ورحمته على العالمين ! وفى الصلاة ايضا يبدو تيسير الاسلام على المسلمين فى موضع آخر ، حيث رخص للمسلم اذا سافر طويلا ان يقصر الصلاة الرباعية الى ركعتين اثنتين فقط ، كما رخص له ايضا ان

يجمع صلاة كل وقتين فى وقت واحد ، وثمة موضع ثالث يظهر فيه التيسير والتسهيل فى أداء هذه الفريضة الهامة : ذلك ان المسلم يؤدى صلاته من قيام ، فان لم يستطع فمن قعود ، فان لم يستطع يؤدها بالايماء برأسه ، فان لم يستطع فبالايماء باهداب عينيه ! وكذلك تتجلى سماحة الاسلام وسهولته فى فريضة الصوم ، حيث رخص للمسافر فى أيام الصيام أن يفطر ، ثم يقضى بعد ذلك بعدد الايام التى أفطر فيها • كما رخص للعجوز الذى لا يستطيع الصوم أصلا ، او لا يستطيعه الا بمشقة شديدة • ان يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا • كما رخص للحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما ان تفطرا ثم تقضيا من غير فدية عليها • وكذلك الامر فى الحائض والنفساء غير أنه يبرز الان أمام مخيلتى سؤال يلوح لى أنه يدور فى خلد الكثير من الناس وهو : اذا كان السفر فى سالف الازمان شاقا وعسيرا ، حيث كانت وسيلته قاصرة على الابل – سفن الصحراء – والدواب ، ومن أجل ذلك كان من رحمة الله بالمسافرين ، ان يمنحهم رخصة قصر الصلاة والافطار فى أيام الصيام • أما وقد تعددت الان وسائل السفر من قطارات وسيارات وطائرات تطوى الارض طيا ، وتقطع المسافات الطويلة فى ساعات قليلة ، وبهذا سهل السفر وزالت مشاقة ومتاعبه ، فماذا عسى أن تكون الحكمة فى بقاء الرخصة السالفة الذكر معمولا بها حتى الان مع زوال أسبابها ؟! ونقول : اننا اذا نظرنا فى موضوع السفر نظرة شاملة متفحصة نجد أن السفر هو السفر ، مهما توفرت وتنوعت وسائله ، وخيل للناس أنها كفلت للمسافر الراحة ، وأزالت ما كان يعانيه فى الماضى من مشاق السفر ووعثاء الطريق ، إن السفر على أى حال فطنة المشقة بل ان المشقة حاصلة بالفعل حتى مع وسائل السفر الحديثة ، ذلك أن المسافر يفقد استقراره واطمئنانه اللذين كان ينعم بهما فى بيته ، كما يصبح مسئولا عن تدبير أمور معيشته ، بعد أن كان البيت يكفيه مؤونة تدبيرها ، ومالنا نذهب بعيدا ونلتمس هذه الاسباب لتبرير بقاء الرخصة ؟ والانفجار البشرى العالمى ، قد جعل الناس يتهافتون على القطارات والسيارات وما اليها بكثرة كاثرة مذهلة ، يتدافعون ويتشاحنون ، ويتشاتمون وقد يتلاكمون وغالبا لا يجد المسافر مكانا يجلس فيه ويستقر ، فيقضى الوقت كله واقفا على قدميه بكل صعوبة ، فالحاجة الى بقاء رخصة السفر ملحة الحاحا شديدا ، تسهيلا على الناس ورحمة بهم وجل المشرع الحكيم العليم بمصالح العالمين !

هذا ومن مظاهر كرم الاسلام وتيسيره على الناس ، أن المرء يقدم الحسنة ، مبتغيا بها وجه الله الكريم فيجازى عليها بعشر أمثالها ، ويقدم السيئة فلا يجازى الا بمثلها ! يقول ربنا جل علاه « **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لايظلمون** » • وقد يضاعف أجر الحسنة أضعافا مضاعفة ، قال تعالى : « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة** » ؟ ! بل قد يزاد ثواب الحسنة ويمتد حتى يصل الى سبعمائة ضعف ، قال الله سبحانه : « **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم** » • ولسنا نسترسل فى ذكر الامثلة ، فهى كثيرة فى هذا الباب ، لحث الناس على الخير ، واغرائهم بثوابه ، وانما نقف بك – أيها القارىء الكريم – وقفة قصيرة ، نوازن فيها بين الديانتين ، الاسلامية واليهودية ، فى مسألتين اثنتين ، على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ، لتعلم علم اليقين ، على سبيل تيسير دينك وسهولته ورحمته بالنسبة لغيره من الاديان ، الاولى أن المرء اذا وقع فى الخطيئة ، فتوبته فى الديانة الموسوية تكون بقتل نفسه حتى يتوب الله عليه ! قال تعالى : « **واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم، فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ، انه هو التواب الرحيم** » أما التوبة فى الاسلام ، فلا تغدوا أن يشعر المرء عند اقلاعه عن الذنب ، ورد ما يستطيع رده من حقوق الناس عنده ، بالاسف والندم على مافرط منه ، صادقا فى هذا مخلصا ، عازما على عدم العودة الى ما سلف منه ، فيقبل الله توبته ، ويغفر له خطيئته ! والمسألة الثانية أن الثوب اذا أصابته نجاسة لا يطهر عندهم الا بقطع مكانها • أما عندنا فيطهر الثوب بازالة النجاسة وغسل مكانها بالماء الطهور • أرأيت الى الفرق بين الحكمين فى الديانتين ؟ التوبة عندهم قتل وانتحار • وعندنا عزم واستغفار ! تطهير الثوب عندهم عقاب وتشويه ، وعندنا تنظيف ينقيه ! • لعمرى ان الفرق شاسع ، والبون كبير ، لا يحتاج منا الى شرح ولا تعليق !!

ولقد ذكرنى الحديث فى سهولة الاسلام ويسره وبساطته ، بنظرية للفيلسوف الفرنسى المادى « جيو » أوردها فى كتاب له اسمه « اللادينية المستقبلة » يزعم الفيلسوف فيها أن فكرة الدين أرضية سفلية ، وليست فكرة علوية سماوية ، أى أنها من صنع البشر ! ثم يرفع عقيرته بالتدليل عليها فيقول : ان الاديان قد نشأت بسيطة ساذجة مبهمة • ثم تطورت وتقدمت وترقت ، مقودة بقانون الترقى العام ، حتى صارت الى الحقائق المركبة التى نراها عليها اليوم !

هذا هو الدليل ، وسنحلله تحليلا منطقيا ، ثم نتصدى له بالرد عليه وتفنيده ، فنقول ، ان هذا الدليل يشتمل على مقدمتين ونتيجة • الاولى هى الصغرى وتقول : الاديان نشأت بسيطة ساذجة مبهمة ، ثم تطورت ، وتقدمت ، وترقت ، مقودة بقانون الترقى العام ، حتى وصلت الى الحقائق المركبة التى نراها عليها اليوم ، والمقدمة الثانية هى الكبرى وتقول : وكل ما نشأ بسيطا ساذجا مبهما الخ هو أرضى ، وبحذف المكرر فى المقدمتين تكون النتيجة وهى أن الاديان أرضية • ونحن لا نسلم المقدمة الصغرى بالنسبة للدين الاسلامى ، فانه ان كانت بعض الاديان الاخرى قد كثرت فيها الكتابات الدينية التى أضفى عليها ثوب القدسية حتى تكتلت ، ثم تحجرت بمرور الزمن ، ثم جاءت الفلسفة الحديثة تناقشها الحساب اليوم ، فان الاسلام نشأ بسيطا وما يزال بسيطا ، وسيبقى الى أبد الابدين بسيطا ، لم ولن يتطور أو يتغير ، بل بقى وسيبقى محفوظا بامر الله من التغيير والتبديل ، تحقيقا لوعد الله سبحانه فى قوله تعالى « **انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون** » ذلك أن الاسلام الحنيف يقوم على اصلين لا ثالث لهما • وهما توحيد الله ، ثم التقرب اليه بصالح الاعمال ، وكل ما جاء فى الاسلام غير هذين الاصلين ، هو شرح وتفسير ، وبيان وتوضيح لهما ، كما أن ما كتبه الكاتبون حول القضايا الدينية فى جميع العصور الاسلامية ، لم يضف ثوب القدسية على شىء منه ابدا ، حتى صار من تقاليد الكتاب المسلمين أن يختموا مقالاتهم الدينية بالجملة التقليدية • وهى « والله أعلم » ، وترجمتها أن المقالة هى تعبير عن رأى شخصى لصاحبها ، يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب • ومن حق اى فرد أن يعلق عليه وأن ينقده ، ما أسعفته الحجة وواتاه الدليل • واذا كانت المقدمة الصغرى غير مسلمة لما أسلفنا من بيان السبب ، فان المقدمة الكبرى لا وجود لها ، حيث أنها مترتبة على الصغرى ، وبالتالى يكون النتيجة غير موجودة أيضا • على أننا لو سلمنا جدلا بالصغرى ، فاننا لا نسلم بترتب الكبرى عليها ، لانه لا يلزم أبدا أن كل ما نشأ

البقية ص ٩٩

مكانة العلم في الإسلام

لم تعرف البشرية دينـــا مثل الدين الاسلامى . دين يزكى الفؤاد ويضيىء البصيرة ويدعو العقل الى التفكر والتدبروالنظر فى آيات الله تعالى والخروج من الدائرة المحددة الضيقة الى الرحاب الواسعة الفياضة كى يقف المسلم على آثار الله تعالى وعلى نعمائه وهو مع ذلك دين يدعو الى المعرفة الواعية الموصلة الانسان الى غايته التى يرتضيها والى الخلق القويم الذى يريده ولعل عنايته بالعلم انما جاءت بعد أن اكتمل العقل البشرى وبلغ ذروته وأصبح متهيأ لهذا النظر والتفكر . ولهذا فاننا نجد القرآن الكريم قد عاب على هؤلاء المشركين الذين « قالوا انا وجدنا آباءنا على امه وانا على آثارهم مقتدون » عـــاب عليهـم تمسكهم بعقيده آبائهم ولم يفسحوا للعقل طريقا فى دنيا حياتهم حى يقفوا على آثار الله تعالى ونعمائه . كما عاب عليهم تمسكهم بالقديم وعدم تطلعهم الى الجديد السليد بن نوعد هؤلاء الذين لم يستعملوا حواسهم وعقولهم استعمالا يوصلهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم قال تعالى : ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون.

ولعلنا نلمس شدة انكار القرآن الكريم على هؤلاء الناس عـــدم استعمالهم عقولهم فى قوله تعالى : اولئك كالانعام بل هم أضل .

ولعل ذلك الضلال الشديد جاء لانهم لم يستعملوا عقولهم التى ميزوا بها وكان من المفروض عليهم أن يستغلوها وأن يستعملوها فيما فيه خيرهم وهداهم وقد بلغ من شدة احتفاء القرآن الكريم بالعقل انه دكره نيفا وأربعين مرة فى القرآن الكريم لان عليه مدار التلكيف . اذا اكتمل وبدونه تسقط التكاليف ولهذا يقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : **رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق .. الحديث .**

وعناية الاسلام وحفاوته بالعقل لم يكن الا لانه الاداة الكبرى التى تدير الحياة وتدفع الانسان الى العلم والتعلم اذ بدونه لايستطيع الانسان التعلم او ادراك أسرار العلم . وكما ذكر القرآن الكريم العقل فى نيف واربعين موضعا فقد ذكر القرآن الكريم العلم نحو ثمانين وثمانمائة مرة فى مواضع مختلفة فى القرآن . ولعل هذا يبرز الدور الذى يجل القران فيه العلم ويكرمه ومع حفاوة القرآن الكريم بالعلم الا اننا نحب ان نقرر هن امورا حتى لا تختلط المفاهيم على كل ذى لب فهيم وهذه الامور هى :

١ – أن القرآن الكريم لميكن كتاب طبيعة أو كيمياء او كتاب حيوان او نبات وانما هو كتاب من عند الله انزل على محمد صلى الله عليه وسلم جاءت فيه اصول وقواعد تشير الى سنن طبيعية تدفع الانسان الى البحث والتدقيق والدراسة العميقه للكون وما عليه . كما قال تعالى **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** ، ويقول **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون** ويقول **ومن اياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** » ويقول سبحانه « **ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون** » . ويقول : « **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون** » .

الدكتور عبد الحميد أبو المكارم إسماعيل

من خلال هذه الآيات الكريمات تتضح لنا قدرة الله تعالى على الخلق والابداع لكنه تعالى لم يتعرض لصفة عملية الخلق كما نه لم يتعرض لنظرية احتكاك السحب بعضها ببعض كي يتولد منها البرق لانه لم يكن كتاب طبيعة أو حيوان .

٢ - يقرر القرآن الكريم عدم استقرار النظرية العلمية لان النظريات مبنية على النظر والتخمين فرب نظرية استقرت اليوم تأتى بعدها نظرية اخرى فتنقدها وهكذا لا يكتب للنظرية الاولى استقرار او ثبوت . قال تعالى **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** . اذ لا يستطيع الانسان ان يحصى العلم او يجمعه لان فوق كل ذى علم عليم .

ويدلل الله عز وجل على علم الانسان المحدود بقوله « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » . ويقول مدللا على الكشوف الهائلة فى الافاق ويقول **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد** .

٣ - القرآن الكريم لم يتعرض للجزئيات العلمية وانما وضع عموميات علميه للبشرية هذه العموميات كلما أمعن النظر فيها اكتشف الانسان أسرارا وأسرارا خالدة وعالية لم يكن الانسان يستطيع أن يكشف كنهها الا بعد أن وجهه القرآن الكريم اليها . وهنا نحب أن نذكر بعض أقوال الباحثين من غير المسلمين الذين بحثوا ولم يتوصلوا الى نظريات ثابتة يقول مارتين ستانلى كونجدن ان نتائج العلوم تبدأ بالاحتمالات وتنتهى بالاحتمالات وليس بالتعين . ونتائج العلوم بذلك تقريبية عرضة للاخطاء فى القياس والمقارنات ونتائجها اجتهاديه وقابلة للتعديل بالاضافة والحذف وليست نهائيه .

ويقول « رسل تشالز ارنست » ان كل الوجود الذى باءت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين ومع ذلك فان من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة يمكن أن يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية . ولعلنا نجد فى اقوال هؤلاء العلماء ما يفسح الطريق أمام أعيننا ويوضح لنا أن النظريات العلمية لاسبيل الى استقرارها او ثباتها لان فوق كل ذى علم عليم .

القرآن كما سبق القول يدفع الانسان الى التفكر والتدبر فى آيات الله تعالى والنظر فى ملكوته كى يقف المؤمن على حقيقة ايمانه ويزداد ذوى الهدى ايمانا باعمال الفكر واستعمال العقل . قال تعالى « **قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون** » . ويقول سبحانه مذكرا الانسان بخلقته « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** . ويقول للانسان كى يتدبر ويتذكر « **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت** » . الايات . ويقول للانسان موضحا له كيف ينبت له الزرع والثمار اذ يقول « **فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم** » . ويقول « **وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون** » . وهكذا نرى القرآن الكريم يدفع الناس الى النظر والتأمل واستعمال الفكر والتدبر . بعد هذا نقول ان العلم كان يشغل مجالات واسعة فى الفكر الاسلامى والانسانى ولعل ذلك قد جاء من توجيهات الاسلام لابنائه اذ كانت أول آية نزلت من السماء الى الارض على خير البشرية محمد صلى الله عليه وسلم . هو قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

ولقد أقسم الله عز وجل بالقلم فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون . وهذا يوضح المقام السامى للعلم والمنزلة العالية الكبرى للعالم والمتعلم .

ولقد لفتت هذه الآيات الكريمات وغيرها انظار المسلمين الى العلم والتعلم بعد أن رسم الطريق الى العلم والمعرفة اذ قال « **فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » ولعل القرآن قال هنا طائفة أى جماعة كى يتفقهوا ويعلموا أهلهم وأصحابهم بعد عودتهم فاذا لم تفعل الامة ذلك بأن لم تعلم طائفة من ابنائها كي يبصروا اخوانهم بأمور دينهم فان الامة تأثم وفى هذا يقول الشيخ المراغى فى تفسيره : ان تعلم العلم أمر واجب على الامة جميعا وهو أمر لا يقل فى طلبه عن وجوب الجهاد والدفاع عن الوطن . فكما ان الوطن يحتاج الى من يناضل عنه بالسيف فهو أيضا محتاج الى من يناضل عنه بالقلم وبالحجة والبرهان بل تقوية الروح المعنوية وغرس الوطنية وحب التضحية وخلق جيل يرى أن حب الوطن من الايمان . . ثم يقول وتشير الاية الى ان غاية طلب العلم هو التفقه فى الدين وفهم أسراره فهما تصلح به نفس العالم حتى يكون ربانيا يقول للشىء كن فيكون (*)

وان اثر ذلك فى الخارج هو الدعوة لله تعالى وبانذار الاهل اذا رجع اليهم اذ يعلمهم ويثقفهم ويدعوهم الى حب الخير والعمل والجد . واذا كان الاسلام قد دعانا الى التعلم والعلم فهو لم يحصر الانسان فى دائرة ضيقة بل دفعه الى الاستزادة منه بقوله تعالى وقل رب زدنى علما . وطلب الزيادة من الله تعالى فى العلم توضح لنا أن العلم والتعلم هما بتوفيق الله تعالى الذى خلق الانسان وعلمه البيان . ورسم للمتعلم طريق التعلم وضرب له المثل فى ذلك بموسى وهو نبى ورسول . والخضر . اذ اراد موسى ان يتعلم منه فانفسح له عما فى نفسه بقوله : « **قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** فاذا بموسى عليه السلام يرد عليه وهو فى تواضع تام وأدب جم اذ قال : **قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا** » . وهذه الاية وما اشبهها بلا شك دستور للمتعلم اذ انه تبع للمعلم وان تفاوتت مرتبتهما .

ولقد راعى موسى عليه السلام مقام الخضر كمعلم اذ استأذنه وما ذاك الا لحرصه على العلم والرغبة فى التزود منه ولعل موسى عليه السلام يضرب كما قلنا المثل العملى للمتعلم وما ذاك الا لفضل العلم . ولقد قرر النبى صلى الله عليه وسلم العلم ورحب به وبشر بأن الملائكة تحف به فقد روى عن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد متكىء على بردله احمر فقلت له يارسول الله انى جئت أطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها . ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب .

وهكذا يصور لنا الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة طالب العلم عند الله تعالى ومقامه بين الخلائق كلها اذ تحفه ملائكة الرحمن وتتكاثر عليه حبا لما يطلب بل ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل طالب العلم كالمجاهد فى سبيل الله اذ قال فيما رواه انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « **من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع** » .

ولقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم العلم شركة بين الناس جميعا والزم المتعلم ان يعلم جيرانه ويفقهم وذلك فيما رواه علقمة بن سعيد اذ قال خطب النبى ذات يوم فأثنى على طوائف المسلمين خيرا ثم قال : **ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم . ومابال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرنهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويفقهونهم ويتعظون اولا عاجلنهم بالعقوبة .**

هذه هى منزلة طالب العلم وطلبه ومقام المتعلم والعالم اما نشر العلم فان القرآن الكريم اعلن ان من يكتم العلم عليه أثم كبير وذنب عظيم اذ قال . **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . . الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم .**

اذ توضح الاية ان العلم شركة بين الناس جميعا كالماء والكلا والنار ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار . ولئن كانت هذه عقوبة هذا الكاتم للعلم فانه يجعل تعليم العلم أفضل الصدقات اذ قال « **افضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم** » . ولقد حرص أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على نشر ما تعلموا وأوصوا بتعليمه للغير . فقد روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه اذ قال تعلموا العلم فان تعلمه خشية لله . وطلبه عبادة .

ومذاكرته تسبيح . والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة . وبذله لاهله قربة . لانه معالم الحلال والحرام . ومنار سبل أهل الجنة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة . والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء . والسلاح على الاعداء . والزميل عند الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم فى الخير قادة قائمة تقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم بأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه . لانه حياة القلوب ومصابيح الابصار من الظلم وبه يبلغ العبد منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والاخرة .

التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام . وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام . وهو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء .

وهكذا نجد العلم حلية الاصفياء ونور الاتقياء وسراج الاولياء عن طريقه عرفوا ربهم وبه توصلوا الى معبودهم اذ وجدوا فى كل شىء له آية فأخلصوا لعبادته وشكروا نعمته فوافاهم بفضله وعلمهم من عنده وعدا منه وصدقا اذ قال واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم . لكن هممهم لم تقف عند حد بل تعدت بعد ذلك الى المعارف الدنيوية والنظر فى الكائنات الكونية ليخدموا المجتمع الانسانى وليقدموا

للبشرية زادا لا ينضب وفكرا لا يبلى وعلما لا ينتهى اذ برزوا فى كافة العلوم والفنون اذ جعلوا القرآن شغلهم الشاغل فاتخذوا من وحيه وآياته منطلقا لحياتهم ومنطلقا لافكارهم ولعلومهم وابحاثهم .

واذا ذكرنا بعض هؤلاء الصناديد انما نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر فمن هؤلاء العظماء احمد بن محمد النهاوندى اقدم فلكى عربى اذ كتب عدة رسائل وابحاث فى الاجرام السماوية وحركتها والكرة ذات الحلق ولقد تتابع من بعده الباحثون فى هذا المجال حتى بلغت بهم المقدرة ان انشأوا بروجا لرصد النجوم ولعل أكبر شاهد على ذلك برج أشبيليه الذى حول الى برج للناقوس فى عهد الاسبان . ولم ينته المسلمون عند هذا الحد بل رسموا صفائح للنجوم المنظورة وسموا النجوم الكبرى بالاسماء التى تعرف بها اليوم ومن هؤلاء ابن يونس الفلكى المصرى الذى الف رسالة فى عهد المنصور وهى رسالة فى الكسوف والاعتدال والانقلاب . واحتجاب الكواكب ولم تقف جهودهم عند الفلك بل تعدتها الى علوم الطبيعة ولعل ابن حيان له باع طويل فى هذا المضمار اذ وضع اصول علم الكيمياء وقواعده وخواص الجوهر وانواعه كما كانت لهم علوم على أعلى المستويات كالبصريات والجولجيا والديناميكا وغيرها وكذا علوم الطب والتشريح والتخدير وغيرها من العلوم التى تفخر الى اليوم بأن هؤلاء السابقين من المسلمين اساتذة لهؤلاء المتعلمين .

وبعد فان هذا يوضح ويكشف عن مناقب الاسلام وآثار المسلمين وكيف أنهم استخدموا أفكـارهم وعقولهم وعلومهم احسن استخدام ليخدموا البشرية جميعا وليخرجوا على العالم بأسمى النظريات واعلاها واحسنها وابهاها واجلاها وانضرها وازكاها لتكون شاهدا اكيدا على ان الايمان يصنع الرجال ويصنع العقول والقلوب والعلماء .

نسأل الله تعالى ان ينفعنا بما علمنا وان يعز الاسلام والمسلمين

انه سميع قريب مجيب

بقية مقال « هذا هو الاسلام »

بسيطا ساذجا مبهما ثم تطور وتقدم وترقى ، مقودا بقانون الترقى العام أن يكون أرضيا ، ودليلنا على هذا هو العقل البشرى ، فانه نشأ بسيطا ساذجا مبهما ، ثم تطور وتقدم وترقى ، مقودا بقانون الترقى العام ، ومع هذا لم يقل احد من الفلاسفة ـ ماديين أو روحيين ـ أن العقل البشرى أرضى ، بل اجماعهم معقود على أنه سماوى علوى ، وليس أرضيا سفليا ! وهكذا ينهار الدليل على راس الدعوى المزعومة فيهشمها ويحطمها ، وتصير ترابا تذروه الرياح ! اجل ـ هكذا يطيش سهم الفيلسوف الملحد ، كما طاشت من قبله سهام لا عداد لها صوبت كلها الى الاسلام على مدى اربعة عشر قرنا ، لكن سهما واحدا منها لم يصب من الاسلام شيئا . وبقى الاسلام عملاقا شامخا كالطود . بل كالجبل الاشم ، تهب عليه الاعاصير ، ولكنها تتكسر على قممه ، ويبقى الجبل هو الجبل ، فى شموخه وعظمته ، بفضل ثباته وقوته ، أو كالبحر الزاخر العميق ، يرمى فى جوفه بالاوساخ والاقذار ، ولكنه سرعان ما يقذف بها مع الزبد فتذهب جفاءا ، ويبقى البحر هو البحر ، فى صفائه ونقائه ورقة اديمه !!

اما بعد ، فان هذا هو الاسلام الذى تتوافر الادلة القاطعة على حقيقته انه دين الله ، فليس يصح ان يكون اسلام المرء عشوائيا او وراثيا ، فان ذلك جريمة فى حق العقل البشرى ، والفكر الانسانى ، بل يجب ان يكون اسلام المرء يقينيا نابعا من اعماق الوجدان تؤيده الحجة ويدعمه البرهان ، وعندئذ يردد نشيد المسلم المعتز بدينه ويقول :

أبى الاسلام لا أب لى سواه ... اذا افتخروا بقيس أو تميم
وأمى السمحة الغراء تهدى ... الى الايمان والحق القويم
أجل شريعتى ولهـا ولائى ... وأرضى لله بانعمل السليم
وفى حب الرسول حياة نفسى ... والاصرت أشـه بالهشيم

والبقية تأتى بعون الله .

الإيمان

صانع المعجزات

اذا أردنا أن نقيم انسانا ، فما الطريق الى ذلك ؟ وما هى الاعتبارات التى يجب ان نراعيها فى هذا التقييم ؟

أنقيمه بناء على شكله وهيئته ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » ؟؟ . أم نقيمه بناء على حسبه ونسبه ، والله تعالى يقول : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » . أم نقيمه بناء على ما هو فيه من جاه ومن سلطان وان كان مصدر أذى أو سلبية للناس يضرهم ، ولا ينفعهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « خير الناس انفعهم للناس » ؟

وكذلك الامة ، أو الدولة باى قيمة نقومها ؟

الدكتور ابراهيم هلال

ان التقييم الحق الذى يضع للفرد وللدولة قيمتهما ، هو مدى ما عليه الفرد أو الدولة من الايمان بالله وباليوم الاخر ، ومدى ما يصنعه هذا الايمان بأصحابه من همة عالية ، واستعداد لنفع الناس كما تقدم فى الحديث الشريف ، وكما هى روح الاسلام ، لان الايمان هو الذى يصنع الانسان ويوصله الى مرتبة الانسانية الحقة . فالانسان بدون ايمان ، مثله كمثل الحيوان الاعجم الذى لا يعرف أين يتجه ، ولا يعرف ما يضره وما ينفعه ، ومعد لان يسوقه غيره .

وكذلك الدولة التى لا تظهر فى جنباتها آثار الايمان وشواهده فهى أمة لا تميز عن قطعان السائمة فى شىء ، ولا عن وحوش البرية ، أو الغابة وأوابدها وفى متن هذه الامة جاء قوله تعالى : « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام ، والنار مثوى لهم** » . وجاء قوله : **ان هم الا كالانعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون** » ..

والايمان فى تكوين الانسان ، عنصر سحرى يجعل منه ذلك الانسان السوى أو ذلك الانسان الكامل الذى يمكن أن نرى فيه القيام بفرائض الله عز وجل ، والترك لما نهى عنه ، وكما يقول الامام الشوكانى : « **زاهدا فيما يتكالب عليه الناس من طلب العلو فى الدنيا : والحرص على رياستها ، لا يكون لنفسه شغل بملاذ الدنيا ، ولا بالتكاثر منها .. اذا وصل اليه القليل صبر ، وان وصل اليه الكثير شكر ، يستوى عنده المدح والذم ، والفقر والغنى : والظهور والخمول ، غير معجب بما من الله به عليه من خصال الايمان ، حسن الاخلاق ، كريم الصحبة عظيم الحلم كثير الاحتمال** » .

وهو مع الناس كما يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « **المسلم اخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربه من كربات يوم القيامة** » ، وكما يقول فيه : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » . وبالجملة ، فالمؤمن فيه من الخير الكثير الذى يتنوع بتنوع الحياة ومواقفها كما يشير اليه الحديث الكريم : « **الايمان بضع وسبعون شعبة ، أدناها اماطة الأذى عن الطريق** » . فالايمان يوجهه الى كل خير مرتقب ، سواء فى مجال السياسة ، والقيادة ، أو فى مجال الحرب ، والمعركة ، أو فى مجال الحياة العامة ودنيا الوجود ، فهو مصدر خير دائما ، وهو لا يحقد على أحد ، وانما يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **حب لاخيك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكرهه لها ، غير عياب ، ولا مغتاب ، ينزل الناس منازلهم يزهد فى الحرام ، ويباعد بينه وبينه كريم حليم رحيم على المؤمنين كما قال الله سبحانه فى وصف المؤمنين : « أشداء على الكفار رحماء بينهم** » . يقول الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ، لا يرائى ، ولا ينافق ، يؤدى ما عليه من الحقوق للغير ،

ومن الواجبات للدولة وللوطن ، يرق للفقير ، والعاجز والمسكين ، ويؤثرهم على نفسه ، لا يرى المباهاة فى الدنيا والتفاخر ، والتكاثر ، وانما التواضع لله ولعباده والظهور بينهم كفرد منهم ، وهكذا لا يقيس الناس الا بهذا المقياس ولا يقيمهم الا بذلك التقييم ، لا يغتر بمظاهرهم ، وانما يحكم عليهم من خلال أعمالهم لا يذل لجبار ، ولا يعين ظالما ، وبقدر ما عند الناس من ايمان فهم أحباؤه ، وبقدر بعدهم عن صفات المؤمنين فهم بغضاؤه .

والايمان اذا دخل النفس بهذه الكيفية صنعها ذلك الصنيع السحرى الذى أشرنا اليه فيما تقدم ، فهذا موسى عليه السلام الذى يخاطبه الله سبحانه بقوله : « **واصطنعتك لنفسى اذهب أنت واخوك بآياتى ، ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى ...** » . فيذهب الى ذلك الجبار الطاغية ، ويخاطبه بقوة الايمان دون مهابة له رغم أنه تربى فى بيته : « **أن أرسل معنا بنى اسرائيل** » **فيطيش عقل** فرعون لهذه الجرأة التى فاجأته ، وأخذته ويرد على موسى عليه السلام ، « **ألم نربك فينا وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين !** ؟ فيرد عليه موسى عليه السلام بما يفحم ويعجز ، قد وهب « **لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين** » ويرد عليه تربيته هذه بأنها كانت رمزا لتجبر وتجاوز للحد لا يحق لصاحبه أن يقف موقف الممتن : « **وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ! !!**

ويسير الامر على وتيرة الايمان هذه حتى ينتصر موسى عليه السلام ويؤمن السحرة ، ويصل بهم الايمان أيضا ، الى الشعور بأنهم بايمانهم بالله اقوى من فرعون وجنده ومن عدده ومن وعيده ، لو قال لهم : « **لاقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف ، ولاصلبنكم فى جذوع النخل : ولتعلمن أينا أشد عذابا ، وابقى !** فيردون عليه : « **لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياه الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ، وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** » .

وتنتهى المعركة بالاستمرار فى تحدى هذا الفرعون ، ويسرى موسى بهم ، ويتبعهم فرعون ، ويتراءى الجمعان ، فيقول أصحاب موسى انا لمدركون وهنا ينبرى الايمان فى ذروته من موسى عليه السلام ويرد عليهم رد المؤمن المتمكن : « **... كلا ان معى ربى سيهدين !** » .

وكان هذا الايمان فى أم موسى صانعا انسانة ، وصانعا أمة من جديد ، ومغيرا لوجه التاريخ ، اذ كان الايمان فى قلبها ، موجها حركة أم وعطفها على وليدها الى ان تلقى به فى اليم ، لا بغضا له ، ولا تخلصا منه ، وانما ابقاء عليه اذ خيرها الله سبحانه بين أن ترضعه فى بيتها ، وبين أن تلقيه فى اليم اذا أحست عليه خوفا فى البيت من فرعون وهى اذا القته فى اليم ، فانما هو فى رعاية وأمن : « **انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين** » ويصور القرآن الكريم مدى هذا الايمان الذى عمر به قلبها فعمرت به الدنيا ، وتغير وجه التاريخ ، فيقول : « **... لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** » وكان أن تم لها هذا الدور الذى بذلته فى حفظ ابنها من القتل ، والذى أملاه عليها حنان الام ، وايمان المؤمنة بالله ، ممتزجان : «**فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون** »

وأى أم لم تؤت قوة الايمان وقوة اليقين فى هذا الموقف ، كان سيدفعها عطفها على ولدها ، وحومها عليه ، الى القضاء عليه والذهاب به حيث تظن انها تحافظ عليه ، كما فعلت أمهات قبلها كثيرات !!

ولكن الايمان حول وجهة العطف والحنان وجهة غريبة تند على الافهام ، فكانت هذه الوجهة الغريبه ، هى دلالة العطف بحق لانها حفظت الوليد ، ودلالة الايمان ، لان العطف هنا لم يطغ على الايمان ، ولو كان عطف أم وحنانها ، لان الايمان كان صادقا وكان أقوى من أن يغلبه عطف أم على طفل رضيع . ومن هنا فيمكن أن نقول أن العطف بدون ايمان قد يضر ولا ينفع ، وان عاطفة الايمان هى المعتبرة فى توجيه الانسان ، وفى تقديره وتقييمه .

يتجلى لنا هذا الايمان فى ذلك الفصل الحاسم بين المؤمنين وغير المؤمنين ، وترجيحه كفة الاولين على الاخرين . وذلك فى موقف الصحابى الجليل والقائد العظيم عبادة بن الصامت من المقوقس هنا فى مصر ومن دولة الروم .

فقد جرت مفاوضة للصلح بين المقوقس وعمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، فارسل عمرو الى المقوقس وفدا على رأسه عبادة بن الصامت ، فلما دخل عبادة على المقوقس هابه ، وقال : « نحوا عنى هذا الاسود ، وقدموا غيره يكلمنى » فقال الوفد ان هذا الاسود افضلنا رأيا وعلما ، وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه . وقد امره الامير دوننا ، وامرنا الا نخالف رأيه وقوله ، وان الاسود والابيض عندنا سواء لا يفضل احدهما الاخر ، الا بعقله وايمانه » .

فرجا المقوقس عبادة أن يكلمه برفق حتى لا يزعجه . فقال له عبادة : « ان فيمن خلفت من اصحابى ألف رجل أسود كلهم أشد سوادا منى .. وانى ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا ، وكذلك أصحابى ، وذلك انما رغبتنا وهمتنا فى الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا ، ولا طلب للاستكثار منها » .

فأقبل المقوقس على عبادة ، وقال له : « أيها الرجل الصالح . قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت ..

« البقية ص ١٠٣ »

من ملامح وأخلاق

مجتمع العلم والايمان

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندى

- ٣ -

لن يستعيد مجتمعنا - مجتمع العلم والايمان - ملامحه الحقيقية ليتجلى بها على الوجود متألقا كأعظم وأبهى ما يكون ، الا باستصحابه ملامح وأخلاق المجتمع المؤمن الاول على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح لهذه الامة من أصحابه والسائرين على دربهم ، اذ أن هذه الملامح والاخلاق : هى المثل والنموذج ، وهى القدوة والاسوة ، كما انها وستظل هى الهدف والغاية ، وهى الرجاء والامل لكل مجتمع ينتسب الى حظيرة الايمان او يسعى الى تزكية نفسه والارتقاء بها الى عالم الخير والحق والجمال ، وأن يفاخر بسموه بها كل مجتمعات الارض المعاصرة فى الشرق او فى الغرب .

وكيف لا .. ومجتمع الايمان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو مجتمع قد فاز بتزكية القرآن الكريم له ، وثنائه على افراده ، كما نال كذلك شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بالخير ..

ففى آية من آيات القرآن الكريم تحدث الحق تبارك وتعالى عن هذا المجتمع فقال :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود » (من الاية ٢٩ سورة الفتح) .

فلقد أشاد الحق تبارك وتعالى فى هذه الاية بثلاثة من ملامح هذا المجتمع ..

١ - الغلظة والقسوة والشدة على الكافرين .
٢ - والرحمة والتعاطف بين المؤمنين .
٣ - واشتغالهم الدائم بالصلاة والركوع والسجود ابتغاء فضل الله ورضوانه والتماسا لرحمته ومثوبته ، وانعكاس كل ذلك على وجوههم ومحياهم نورا فى الوجه ، وسمتا حسنا بين الناس ، وسلوكا وخلقا يحتذى ويقتدى به . فيه اثر السجود والخشوع لله ، ورجاء الخير فيما عنده ، والتماس العون منه .

والشدة على الكافرين ، والقسوة عليهم ، والبطش بهم بلا هوادة أو رأفة ،فتلك حقيقة أكدها الواقع التاريخى ، وسجلها فى أدق وأوثق مصادره ، وهى بذلك أشهر وأوضح من أن تناقش أو يقام الدليل عليها ، ولقد تجلت فى حياتهم منذ أول يوم لعلاقتهم بالاسلام ، ونبيه صلى الله عليه وسلم وركونهم الى عقيدة الايمان والتوحيد .. ويكفى برهانا على ذلك موقف الصحابة بعد موقعة بدر من (الاسرى) وقد كانوا بين أب ، وابن ، وعم ، وقريب ومع ذلك : فعندما استشارهم النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أمرهم كان رأيهم فيما عدا أبى بكر وبعض منهم أن يقتلوا جميعا .. بل ان عمر رضى الله عنه - بالغ فى الامر وأشار بأن يقتل الاسرى بأيدى ذويهم وأقرب الناس اليهم من المؤمنين ، استئصالا لشأفة الكفر ، واجتثاثا لجذوره من الارض ، واقامة للبرهان والدليل امام الله ورسوله : أنه لم يبق فى قلوب القوم ممن آمن هوادة بالكافرين ، ولا رحمة ولا رأفة بهم ، ما داوموا على شركهم وعنادهم . وأصروا على كفرهم .

وقد يتساءل متسائل : ما معنى أن يثنى القرآن الكريم وهو كلام رب العالمين على خلق الغلظة والقسوة والشدة وعدم الرحمة فى عدة آيات من كلماته المحكمات ؟ بل وأن يكون ذلك فى سياق حديث القرآن الكريم عن الرحمة كقوله « **اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين** » (من الاية ٥٤ من سورة المائدة) وقوله « **أشداء على الكفار رحماء بينهم** » (الفتح الاية ٢٩) ؟

والجواب : أن الاسلام فى أعظم مصادره - كتاب الله تعالى ، وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم - قد دعا الى الرحمة وأوصى بها اتباعه دون ما استثناء ، بل لقد أوصى الاسلام اتباعه بالرحمة العامة التى تشمل : الانسان ، والحيوان ، والطير ، بل وجعل الاسلام ذلك من دلائل الايمان الكامل ، والارتقاء الانسانى بهذا الايمان ، ذلك أن القسوة فى قلب انسان هى دليل نقص كبير ، وتفشيها فى أمة هى امارة فساد خطير وداء وبيل ، بل ان الاسلام - وهو دين المستوى الفاضل للانسانية - قد اعتبر هذه القسوة علة العلل فى الفسق عن أمر الله تعالى ، والشرود عن صراطه ولذلك حذر منها ، ونبه اليها فى آيات كثيرة من كتاب الله تعالى .

غير أن هناك من الناس من يكون مصدر خطر عظيم على غيره : يتهدد حياته وعقيدته ، فكان من الحكمة ، أن يقاوم بما يفهم ، وأن يحارب بالسلاح الذى يشهره ، وبالمنطق الذى يحترمه .. لقد كان الاسلام ولا يزال : رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم ، ذلك وحى ما فهمناه من كلمات ربنا سبحانه فى قوله لنبيه - عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم - « **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » (الانبياء ١٠٧) .

لكن جحافل الشرك ، وشراذم المعتدين ، وذئاب البشر من العتاة والجبارين : أبوا الا أن يعترضوا الرحمة المرسلة ، وأن يضعوا العقبات فى طريقها ، والسدود فى مجراها ، حتى ينقطع مسيلها وجريانها عن الناس ممن اراد بهم ربهم رحمة أو اراد بهم رشدا ، كيما يهلكوا فى أودية الضلالة والجهالة ، فلم يكن هناك بد من ازالة العوائق ، وتحطيم العقبات ، وتنحيتها عن الطريق ، طريق الحق والايمان ، بالاغلاظ لهذه الجحافل ، والقسوة على هذه الشراذم ، والشدة على هؤلاء الذئاب العتاة .. وأن يكون هذا الاغلاظ ، وتلك القسوة والشدة ممن يمتدح بها أهل الايمان ، فى الوقت الذى يمتدحون به لرحمتهم وتعاطفهم وبرهم بالمؤمنين .. دون ان يكون فى ذلك تناقض أو خلف . ولقد كنا - أيها

القارىء – قد ذكرناك من قبل وفى حديثين متواليين – ببعض الصور والملامح والاخلاق التى كانت تظلل المجتمع المؤمن لسلف هذه الامة وركزنا محور الحديث فيها ليكون عن الرحمة – وبقى أن نكشف السر الذى كان يقف وراء ولاء هذا المجتمع لخلق الرحمة فى عمومها وشمولها .. واتخاذ ذلك منهجا لحياته ، وسلوكا وسمتا وطابعا مميزا له عن غيره من سائر المجتمعات : لقد كان هذا المجتمع المبارك يعى من تعاليم نبيه صلى الله عليه وسلم – ومن هدايته له – ومن النور الذى جاءهم به من ربه : أن الرحمة فى أفقها العالى ، وامتدادها المطلق غير المقيد .. هى صفة المولى تبارك وتعالى الذى شملت رحمته الوجود وعمت الملكوت « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما » غافر .

وأن التخلق بها والتحلى بجمالها يرشح صاحبها للقرب من ربه .. ففى الحديث « ان ابعد الناس من رحمة الله القاسى القلب » أخرجه الترمذى .

كما كان هذا المجتمع الراشد يعى فيما يعيه أن الرحمة : هى كمال فى الطبيعة الانسانية وسمو فى العواطف الحية النبيلة النابضة بالحب ولين الجانب ، وأن القسوة انما هى انتكاس بفطرة الانسان التى فطره الله عليها ، تجعله يهبط الى مهاوى الجماد الذى لا يعى ولا يهتز لشىء ...

وكان النبى صلى الله عليه وسلم هو القدوة والاسوة ، وهو النموذج والمثل الواقعى الملموس الذى يشهده هذا المجتمع ويحاول أن يأتسى به فى كل شىء استجابة لما أوصى به الحق سبحانه وتعالى عباده فى قوله « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » (الاحزاب ٢١) فلقد كان صلى الله عليه وسلم واسع الرحمة بالناس جميعا كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، محسنهم ومسيئهم ، كما كان واسع الرحمة بالاطفال والنساء والضعفاء ، وكان ذلك بعض ما أدخره الله تعالى له من أجل نجاحه فى دعوته « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (من سورة آل عمران الاية ١٥٩) .

وكان من نماذج القدوة والاسوة ، والامثلة الحية العملية التى علمها هذا النبى المبارك للناس ، وأعطاهم اياها : ما كان منه يوم صلى بالناس يوما . فسمع بكاء صبى وهو فى الصلاة ينادى أمه ببكائه . فما كان منه الا أن خفف من صلاته رحمة بالصبى وأمه حتى لا تفتن فى صلاتها . وما كان منه كذلك يوم أن مر – صلى الله عليه وسلم – بعد انتهاء احدى المعارك بجثة امراة مقتولة فغضب وقال : ألم انهكم عن قتل النساء ؟ ما كانت هذه لتقاتل ...

بل ان رحمته صلى الله عليه وسلم .. قد تجاوزت المدى حين بلغت رحمته بالحيوان حدا عجيبا ، فلقد أصغى الاناء الى هرة أرادت الشرب ..

وقام صلى الله عليه وسلم بنفسه على تمريض ديك .. كان قد مرض فى بيته .

ورأى جملا هزيلا .. قد أضناه الجوع والضعف والهزال .. فرحمه ورق له وقال ، « اتقوا الله فى هذه البهائم ، اطعموها ، واركبوها صالحة » .

وبلغت معاملته للخدم والارقاء ، ووصاياه فيهم حدا لم يعرفه التاريخ لقد كان كل ذلك بعض آثار ما فاضت به نفسه الكبيرة من معانى الخير والشفقة والرحمة التى حققت المعجزة التى صنعت خير امة اخرجت للناس .. تامر بالمعروف .. وتنهى عن المنكر .. وتؤمن بالله .

للحديث صلة

بقية مقال « الايمان صانع المعجزات »

وقد توجه الينا لقتالكم من الروم مما لا يحصى عدده ، ما يبالى أحدهم من لقى ، ولا من قابل ، وانا لنعلم أنكم لن تقدروا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، ونحن تطيب نفوسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولاميركم مائة دينار ، ولخليفتكم الف دينار فتقبضونها ، وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به » .

فقال عبادة : « يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفنا به من جمع الروم ، فلعمرى ما كان هذا بالذى تخوفنا به ، وان ذلك والله ارغب ما يكون فى قتالهم ، واشد لحرصنا عليهم .. وما شىء آثر لاعيننا ، ولا أحب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين ، اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم ، أو غنيمة الاخرة ان ظفرتم بنا ، وانها لاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا ، وان الله عز وجل قال لنا فى كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .. فليس بيننا وبينك الا خصلة من ثلاث فأقبل أيتها شئت .. ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الامير وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا » .

بهذا الايمان فتحت هذه الاقطار ، ودخلها الاسلام ، وتقلص عنها ظل الكفر والباطل ، والطغيان ، ولو تسلح بالجموع ، وأعد ما أعد من الخيل والرجال .

وبهذا الايمان يخلق الانسان ويصنع ، فيكون مصدر خير ، واشعاع نور وهداية ، وتخلق الامة ، فتكون كما قال تعالى لامة الاسلام : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... » .

تكريم الله للإنسان

أصبحنا نحيا فى عصر ظهر فيه أناس تنكروا لقيم وجودهم انسلخوا من جلودهم فأخذوا يتعالون على ماضيهم العريق ، وينكرون ما أسهم به تراثنا المجيد فى بناء الحضارة ، وما قدمه الاسلام فى صنع الانسان ويزعمون ان المبادىء هرمت فلم تعد تفى بحاجة الانسان المعاصر ، وانها كانت لزمن مضى وانقضى ، وان المعرفة الوافدة هى المصلح والمنقذ ، وان النظريات الملحدة هى نبت المعرفة ، وجماع اليقين « كبرت كلمة تخرج من افواههم أن يقولون الا كذبا » .

ولم نتعلم قط من ذى سباحة
سوى الغوص . والمضعوف غير مغالب

الأستاذ محمد المتولى النظامى

فالله تبارك وتعالى خلق الانسان فى أحسن صورة وكرمه بالعقل المفكر واللسان الناطق ، وختم رسله بخاتم الانبياء الذى قدم بمبادىء تسمو بالغرائز وتوجهها الى الخير ، وتزرع فى القلوب المحبة والاخاء ، ونزعة التشارك فى السراء والضراء وتمنح المرء حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، فيعمل العمل الصالح الذى يملأ قلبه بالراحة والطمأنينة ويسعده فى دنياه ويجعله يظفر بالنعيم فى أخراه وصدق قول الله سبحانه : **« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب »** . ويقول عز من قائل : **« أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ! »** .

١ - فالانسان كرمه الله بأن خلقه فى أحسن صورة وأحسن تقويم ، ولم يك أصله قردا تحول بالنشوء والارتقاء الى انسان كما يزعم دارون فى نظريته المتشيع لها أدعياء المعرفة المنبهرين بكل ما هو مستورد - وان كان هذا المستورد يحقر الانسان ويزرى بشأنه ، وان كانت تقره تعاليم السماء وشريعة الخلاق العليم القائل **« ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون »** .

أ - فالحق تبارك وتعالى يقول : **« ولقد كرمنا بنى آدم ! »** ويقول **« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »** ، ويقول : **« وصوركم فأحسن صوركم »** ، ويقول **« فى أى صورة ما شاء ركبك »** . ولا شك ان التكريم وحسن الصورة ، والتقويم يتنافى مع صورة القرد وأخلاقياته .

ب - والحق تبارك وتعالى يخبرنا فى كتابه الكريم الصادق بأنه خلق الانسان أول الامر نوعا مستقلا ، وليس متطورا عن نوع آخر من أنواع الحيوانات - كما يزعم صاحب النظرية يقول الخالق تبارك وتعالى **« عن خلق آدم »** **« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »** ، ويقول عز من قائل : **« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون »** . ويقول : **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »** . ويقول عز شأنه : **« الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه »** .

ج - على أن أصل النشأة مسألة غيبية لا يصل اليها انسان بالحواس أو التجربة أو العقل والله تبارك وتعالى العالم بأصل النشأة ومبدأ الخلقة قد نفى عن الانسان معرفة ذلك فقال تعالى :

« ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ! » .

د - على أن الانسان كما هو معروف خلق كما خلق سائر الحيوان ومنها القرود من تراب ومن ماء مهين ، ولكن الله ميزه على سائر الحيوان بالنطق والعقل المفكر وهو بهذا العقل المفكر أصبح مكلفا بقيم ومبادىء وأخلاقيات ، وأصبح مسئولا عما يفعل قال تعالى :

« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

ويقول عز من قائل : **« وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى »** ويقول جل شأنه : **« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير »** .

وهذا الانسان اذا خرج على القيم والمبادىء والاخلاقيات فان الحق تبارك وتعالى يجعله كالقردة فى الذلة والمهانة يقول تعالى عن اليهود - «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» . ويقول سبحانه « وجعل منهم - القردة والخنازير .. وعبد الطاغوت .

وبعض الناس حين يتألمون من الانسان فانهم يفضلون عليه الحيوان ويأنسون بالحيوان ويفزعون من الانسان يقول القائل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

٢ - والانسان كرمه الله بالمبادىء السماوية التى تحقق التوافق بين القلب بدوافعه ورغباته وبين العقل باتزانه وتوجيهاته والتى توجه الغرائز الى أهداف نبيلة وتسمو بها ،

وتردع النفوس عن شرورها وأهوائها ، فيصبح المسلم كأنه ملك يمشى على الارض ، تحكم المبادىء تصرفاته ، ويراقب الله فى تصرفاته وبذلك يثبت ضعف ما يقول به – فرويد – من أن الانسان تحكم تصرفاته الغريزة الجنسية فهو يعمل من أجل المرأة ، ويجمع المال من أجل المرأة ٠٠ وكل تصرف له وراءه دافع جنسى ٠

أ – ونحن نقول اذا انطبق ذلك على المستهترين المنحلين فانه لا ينطبق على المسلمين الصادقين الذين يعملون ابتغاء مرضاة الله للفوز برضوان الله دنيا وآخرة ٠٠ والذين حول الاسلام مسارات غرائزهم الى أهداف جليلة واغراض سامية نبيلة ، فأبو بكر يتبرع بكل ماله فى سبيل الله ٠٠ ويقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **وماذا ابقيت لاهلك ؟** فيقول : **ابقيت لهم الله ورسوله** ٠ وعمر يلبس ثوبا مرقعا ويأكل القديد بزيت حتى أسود جلده ٠٠ ويقيم حد الجلد على ولده وفلذة كبده ٠٠

وعلى يجاهد فى سبيل الله ، ويحيا زاهدا فى متع الحياة ويخاطب الدنيا طالبا أن تغر غيره وتقوم زوجته فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بادارة الرحى لتطحن القوت حتى تتورم يداها ، وتذهب مع على كرم الله وجهه الى رسول الله يطلبان خادما فيعطيهما رسول الله غذاء روحيا ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . **هلا ادلكما على ما هو خير من هذا : تكبران الله وتحمدان الله وتسبحان الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة** ٠٠

ويتبرع عثمان بتجارة له قدمت من بلاد الشام وأوصلها التجار الى خمسة أمثال ثمنها فيقول أعطيت أكثر أعطانى الله الذى يقول ، « **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** » ٠٠ ثم وزعها على الفقراء والمساكين ٠٠

وعلى زين العابدين يصنع لنفسه جرابا يحمل فيه الدقيق على ظهره ويضع للفقراء حاجياتهم سرا دون أن يعرفوه ٠٠

ب – والمسلمون الصادقون على مر العصور يستشهدون فى سبيل الله من أجل الاجر العظيم لا من أجل امرأة ٠ وتقطعهم السيوف اربا وهم صامدون ٠

فجعفر بن أبى طالب يقود الجيوش فى غزوة مؤتة فيعقر العدو فرسه ٠٠ فيترجل ويقاتل حتى قطعت يده اليمنى فامسك الراية بيسراه وجاهد حتى قطعت ، فلم يلق الراية ولم يبرح موقعه حتى مزقت السيوف جميع جسده ٠٠ وبلغت جراحه أكثر من سبعين جرحا ٠

وذلك الصحابى انس بن النضر يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحد ويصاب بأكثر من ثمانين جرحا وتختلط معالمه من كثرة الضرب فلا تعرفه الا أخته بعلامة فى أصبعه ويستشهد وهو يقول : « انى لاشم ريح الجنة » ٠

وعمير بن الحمام يرمى بتمرات كان يأكلها قبل أن يتمها ويندفع الى الجهاد طلبا للاستشهاد حتى يظفر به وهو يردد

ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل الميعاد

ويحدثنا الصحابى حذيفة الغنوى رضى الله عنه ، فيقول انطلقت بعد موقعة اليرموك ابحث عن ابن عم لى بين الجرحى لاسقيه من ماء كان معى فلما وجدته قلت له – اتشرب ؟ قال نعم اسقنى فلما هم بالشرب سمع صوت مسلم يطلب ماء فقال اسقه أولا ٠٠ فذهبت اليه لاسقيه فوجدته الصحابى هشام بن العاص فلما هم بالشرب سمع صوت مسلم يتأوه ويقول اسقنى فقال اسقه اولا ، فذهبت اليه لاسقيه فوجدته قد مات فرجعت الى هشام فوجدته قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا به قد مات وصدق قول الله سبحانه : « **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** » ٠

وصدق جل شأنه « **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ٠٠ ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما** »

ويقول عز من قائل : « **ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** ٠٠

٣ – والدين الاسلامى يمنح الانسان حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع – وضع مبادىء ونظما اقتصادية للعمل والتملك والانفاق عالجت هذه النظم مشكلة الفقر فى المجتمع وقربت الفوارق وحققت الاكتفاء الذاتى وادى تطبيقها الى تحقيق التعاون والرخاء والاخاء بين أفراد المجتمع منذ أربعة عشر قرنا – ونحن لو طبقناها لسمت بنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا واخلاقيا كما سمت بالاباء – ولاعفتنا عما ينادى به البعض من نظم اقتصادية مستوردة ٠٠ تتنافى مع مبادئنا وعقيدتنا ، فتنكر الله والدين والقرآن والرسول ، وتنكر العمل الصالح واليوم الاخر ٠٠ وينعدم فى دنياها الخوف من الله وينعدم بانعدام ذلك الصبر والامن والعدالة والرحمة وحرية التفكير والتعبير ، وتجعل التملك للدولة وتحول بين الفرد وبين التملك ، فهو يعمل ليأكل كالحيوان وتقضى على نظام المواريث ونصب الناس فى قوالب متساوية مع أن الله لم يخلق الناس متساويين فى أى شىء جسمانى او عقلى قال تعالى :

« **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** » ٠٠

وقال عز من قائل : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** »

واذا كان البعض يزعم ان النظرية الماركسية حققت اكتفاء ذاتيا لبعض الدول الشيوعية فلماذا اذن تستورد مئات الاطنان من القمح عن طريق الهبات والقروض ؟ ثم وما القول فى اليابان التى اوصلها اقتصاد رأسمالى لا يتقيد بقيود الى ما تريد ؟ ولكن نظام الاقتصاد الاسلامى اسمى من النظامين فقد أوصل تطبيقه المجتمع الاسلامى الى الاكتفاء الذاتى المرتبط بالايمان والعزة والحرية والتعاون وكل ما هو خلقى كريم ٠

ان الاسلام الذى يزعم البعض أنه لزمن مضى وانقضى هو دين الحياة ٠٠ دين الحرية ٠٠ حرية الاعتقاد (لا أكراه فى الدين) حرية العمل المشروع « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » ٠

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يد تشققت من العمل « **هذه يد يحبها الله** ! ٠

حرية الرأى والتحرر من عقدة الخوف لان كبت الاراء الحرة والزوج بالناس فى السجون انما هو ظلم يتنافى مع اخلاقيات الاسلام قال تعالى « **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون** » ٠٠ ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من رأى منكم منكرا فليغيره**) ٠

فحرية الرأى مكفولة فى ظلال المبادىء الاسلامية فذلك عمر ابن الخطاب يتقبل حرية الكلمة من رجل قال له اتق الله يا عمر ٠ وعندما قال احد الجالسين اتقول ذلك لامير المؤمنين ؟ قال عمر : **دعه فليقلها نعم ما قال فلا خير فيكم ان لم تقولوها ٠٠ ولا خير فينا ان لم نتقبلها ونسمعها** ٠٠

وعندما كان يخطب وسمع لغطا فى المسجد ووقف رجل يتهمه باستغلال النفوذ ذاكرا أنه وزع على كل مجاهد من أموال الغنائم حبرة واحدة واخذ لنفسه حبرتين – تبسم امير المؤمنين وطلب من ولده عبد الله الاجابة فذكر ولده امام المسلمين انه قد تنازل عن حبرته لوالده فصنع من الحبرتين معا ثوبا ، واعلن المسلم عن اقتناع الان سمعا وطاعة ٠٠

وذلك معاوية بن أبى سفيان وهو أمير المؤمنين تصارحه امرأة مسلمة بانها تكرهه وتحب على بن أبى طالب نظرا لعدله

البقية ص ١١٣

الإسلام دين العمران

يمكن للباحث فى الاسلام ماضيه وحاضره ، أن يلقبه بدين العمران ، ذلك لانه ما حل بامة الا دفعها الى اقامة صرح العمران دفعا ، بتهيئة اسبابه لها من العلم والعمل والتفكير ، وتذليل سبيلها اليه من الحث على احياء الموات ، واصلاح الارض وتعميرها بالزروع والثمار،واقامة المنقض، والاشادة بذكر الحياة الطيبة ، والجنات الفيحاء ، والمياه الجارية ، جزاء للقائمين على سنته فى الحياة الدنيا ، اذا انقلبوا يعجلهملهمفيها، اذا انقلبوا الى ربهم بحياة ارفع منها ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر،كل هذا وهوجارعلى طريقتهمن الجمع بين البسطتين بسطة الروح وبسطة الجسم ، والتوفيق بين السعادتين : سعادة الدنيا وسعادة الاخرة .

فضيلة الشيخ رجب العايدى

ما كاد النبى - صلوات الله وسلامه عليه - ينتقل الى الرفيق الاعلى حتى انتدب المسلمون لتحقيق دعوة الله من اعلاء كلمة الله فى الارض فانتشروا فيها ، لا عادين على أهلها ، ولكن داعين لهم الى الحق ، ولا هادين ما شيدوه ، ولكن مكمليه ، وموجهيه الى وجهة الخير الخالص ، تالين على العالم قوله تعالى : **« ياايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم : وأنزلنا اليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيما »** ، **« من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة : ولنجزينهم اجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ! »** ، **« وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين ! »** .

فما كانت الا وكمضة برق - كما قال مؤرخو الغرب أنفسهم - حتى انتهى المسلمون الى الصين ، وما لبثوا بعدها غير قليل حتى دعت دعوتهم القارات الخمس ، وانفتحت امامها ابواب العمل التى كانت مغلقة ، فسرت فى أممه كافة روح لم تكن فيهم من قبل ، وكأنها كانت مندفعة فى تهور ، فوقفت حيث تتسمع لتلك الصيحة التى ردد اصداءها بقاع الارض ، وما هى الا سنون معدودة ، حتى نبض عرق الحياة فى الشام ومصر ، وكانتا جثتين هامدتين تحت براثن الرومان ، ثم تلتهما العراق وفارس ، وكانتا تحت سلطان أهلها هيكلين عظميين ، لم يبق فيهما غير زماء يوشك أن ينبض ، فتصبحا هشيما تذروه الرياح .

ثم ما لبثت الممالك القائمة بين فارس والصين والهند وسيبريا ان افاقت من غيبوبتها الطويلة ، وادركت أن لها وجودا ، وانها يجب أن تحيا حياة جديدة .

ثم ما كاد يفتح طارق بن زياد الاندلس ، وينشر فيها روح الحياة ، حتى تنبهت الممالك الاوروبية لما هى فيه من الخلافات المذهبية ، والحروب الجاهلية ، والجهالة المستحكمة ، فأخذت تتنسم نسمات ذلك العالم الجديد ، وتعشو الى ضوئه ، وتستفيد من جواره ، كل هذه الامم التى كانت كالجثث المصبرة ، أو الاجساد المسخرة هبت تتلمس الحياة والعمران ، متأسية بما كانت تراه وتسمع به من أثر الاسلام فى اهله من تحضير الامصار ، واشادة البلدان ، وتعبيد الطرق واحياء الموات ، وتسهيل الاتصالات ، واقامة المبانى ، وتنشيط التجارات ، وبعث الصناعات ، واستخراج المعادن ، وبناء المستشفيات ودور العلم وبيوت الحكمة ، وتأسيس المكتبات ، وترجمة المؤلفات ، هذه الحركة المحببة التى كان مثارها بلاد المسلمين وصلت الى ما يجاورها من البلدان ومنهم

الى من يليهم حتى عمت أنحاء المعمورة ، وتولد منها ما فيه العالم اليوم من علم ومدنية .

فهل كانت هذه الحركة من النهوض العالمى العام بباعث الاسلام ؟ اذا كان الامر كذلك فما هى الايات الدالة عليها من الكتاب والدلالات القاطعة عليها من الاثار ؟ . قال الله تعالى : « **والى ثمود أخاهم صالحا** » اى وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا **قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشاكم من الارض ، واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا اليه ، ان ربى قريب مجيب** » ففى هذه الاية الكريمة حث على العمران وامتنان من الله على عباده بايتائهم واعطائهم القدرة عليه ، قال العلامه البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى « **واستعمركم فيها** » اى اقدركم على عمارتها وامركم بها . وقد اكبر الله فى آيات كثيرة من الكتاب ووصى المسلمين بأن يحافظو عليه ، ويعنوا به فقال عز وجل : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، ان رحمة الله قريب من المحسنين** » . ووصف الله الفاسقين فقال : « **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ، ويفسدون فى الارض . اولئك هم الخاسرون** » وعرف الد حصوم الحق فى أيات كريمة فذكر ان من اخلاقه « **واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** » **ولو اردنا ان تستقصى ما ورد فى الكتاب الكريم من الايات الناهيه عن الفساد فى الارض لاستوعبت صحفا كثيرة : فلنكتف بما ذكرنا فان فيه لبلاغا للمؤمنين .**

نعم : ان الفساد ليس خاصا بالعمران فانه يشمل كل ضروب الاعمال التى توجب التصدع فى بناء الاجتماع والاضطراب فى نظام المعاملات والاخلال بالامن والعدوان على الضعفاء الى آخره ، ولكن مما يندرج فى معناه هدم المبانى وتحطيم المعالم ، وتخريب المدائن ، واهلاك الحرث والنسل .

ومما يدل على ان الله تعالى يعتد بكل ذلك امتنانه على بنى سبأ من اليمن بما وفقهم اليه من تشييد القرى ، والاكثار منها والاشارة الى ما أسدى بعض القرى من بركاته « **وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى واياما آمنين** » فهذا نص صريح فى الاشادة بذكر العمران والتنبيه على انه من فضل الله على عباده الصالحين . ومما يناسب هذا المقام قوله تعالى : « **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا : وهل نجازى الا الكفور !** ، وفى هذه الاية اشارة من الحق – سبحانه – بأن **الخصب والبركة وخفض العيش** آية من آياته تستدعى الشكر لواهبها ، وفيها تنويه بالبلدة الطيبة ، ايذانا بأنها من النعم التى تجب المحافظة عليها والاعتداد بها ، ثم انظر كيف ان الله جعل جزاء أهلها حين أعرضوا عن محابه ، وأقبلوا على مكارهه ان ابدلهم بالخصب والنماء وبالبلدة الطيبة الحافلة بوسائل العمران اطلالا دراسة وبيئة ، لا تثمر لهم غير النباتات التى لا ثمرة لها ، فكما جعل الخصب والعمران من النعم التى يجب استدامتها ؛ جعل القحولة والخراب من النعم التى يجب تجنبها .

ولفت الحق سبحانه وتعالى الناس الى أنه لا يهت ، لانه يكره لشيعته التوسع فى العمران ، ولكنه يهلكها لانحراف أهلها عن الصراط السوى ، واسرافهم على انفسهم ، واستخدام وسائل المتع المشروعة التى فتحها عليهم فى الاستهتار فى الشهوات فقال تعالى : « **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** » . وقد بين الله تعالى فى موطن آخر ان العلة الحقيقية فى اهلاك القرى ، وازالة عمرانها ما جناه أهلها على انفسهم من ناحية ادابهم وأخلاقهم وانه عز وجل اعذر اليهم بالنصح وارسال النذر لعلهم يرجعون الى رشدهم ، فقال سبحانه « **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ، وكنا نحن الوارثين ، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون** ! . فانظر كيف يشير الله تعالى الى أن أهول المساكن بسكانها ، وحفولها بأهلها من النعم التى يجب ان تستبقى بالقيام بحقها ، وان ماينافض هذه الحالة من اقواء الدور ، وخلوهامن أصحابها سببه البطر ، والبطر فى هذا الموطن الاستخفاف بالنعمه وعدم الاعتداد بها .

ومن أقطع الدلائل على اهتمام الاسلام بالعمران واخباره لشانه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى أصحابه حين يبتهم للغزو عن هدم الدور واحراق الزروع الا ماتقضى به حاجة حربية ملحة وليس بعد هذا فيما نظن مرمى فى الاعتداد بالعمران ، وفى الاحتفال بأمره .

بهذه الروح الكريمة انتشر المسلمون فى الارض فمروا على مدن وأمصار وقرى لا تدخل تحت حصر . فلم يمسوها بسوء بل زادوا فى عمرانها ، وأمروا باشادة امثالها ، وعرفوا ان العمران لايقوم الا بحافز من الخصب ، فعملوا على احياء موات الارض ، ولما استتب لهم الامر امروا بترجمة الكتب اليونانية والسريانية والهندية فى الزراعة والعمارة وطبقوها على العمل ، ولما كان العمران لايقوم بلا صناعة توائيه بالحاجات الضرورية له لم يدعوا صناعة من الصناعات التى صادفوها فى البلاد المختلفة تعلموها وحذقوها ، وزادوها تحسينا وارتقاء .

وبما أن الصناعة فى حاجة مستمرة الى المواد الاولية فلم يقصروا فى هذا السبيل فاحتفروا الارض واستخرجوا كنوزها المعدنية وأسسوا المصانع لسبكها وصنعها ، وكل هذا يحتاج الى المام شامل بالعلم الطبيعى ، فلم يتوانوا فى تدارسه وتفهمه ، ونقل كتبه القديمة الى العربية ، وبالغوا فى دراسة الجواهر وصفاتها ومميزاتها وكيفية تحليلها وتركيبها ، ووضعوا لذلك علما سموه بالكيمياء وعنهم اخذ المعاصرون باسمه العربى ، ولما كان هذا لا يغنى الا بالتوسع فى العلوم الرياضية فقد تبسطوا فيها الى أبعد مما وصل اليه الكلدانيون واليونانيون القدماء والفرس ، حتى اداهم التبحر اليها الى ابتكار عام جديد فيها سموه علم الجبر ، وقد اخذ الاوربيون عنهم بهذا الاسم العربى .

لم يدع المسلمون علما ولا فنا ولا صناعة ولا وسيلة لتكميل صرح العمران الا اخذوا بها وزادوها بجهودهم رقيا ، ولم تمض عليهم مائتا سنة حتى كانوا فى كل ناحية من نواحى النشاط العقلى والعملى امة يرجع الناس اليهم فيها ، فلم يكونوا مجرد فاتحين ، ولكنهم كانوا معلمين ومصلحين ايضا . نزلوا الشام فعمروا مدنها ، واحيوا مواتها ، وجعلوا عواصمها عواصم العلم والحكمة ، وفتحوا مصر فنشروا فيها العدل والانصاف ، ورقوا صنائعها وجعلوها تنافس ارقى الممالك الارضية ، وتولوا العراق ، وكان قبلهم تابعا للفرس فنقلوا اليه عاصمة الدولة ، فابلغوه الى مكانة من السؤدد لم يكن له حتى فى زمن الاشوريين والبابليين ، فكانت عاصمته بغداد سيدة العواصم لكنها علما وصناعة ومدنية ، فاكتظت بالسكان حتى بلغوا فيها الى مليونى نسمة وهو عدد لم يسمع ، فى بلد سواها حتى ولا أثينا وروما فى ابان عزهما وحضارتهما التاريخية واجتازوا الاندلس فأسسوا فيها دولة كان لها الاثر البعيد فى نشر الثقافة العلمية حتى أصبحت جامعاتها تهب النور لمن يطلبه منها ولو كان اجنبيا عن الاسلام لا يمت الى دولة بأقل صلة ، فكثر فيها الطلاب الاوروبيون يعبون من معينها الصافى ويعودون الى بلادهم ينشرون العلم والمدنية ، وكان من تعلم فيها سلفستر الذى تولى البابوية الرومانية .

وقد بلغ من علو كعب الاندلس فى العمران والمدنية ان ملوك أوروبا كانوا يقصدونها للاستشفاء على ايدى أطبائها فيقابلون باكرام ، ثم يعودون الى بلادهم يشيدون بذكر الحضارة الاسلامية . وقد أثرت مدنيه المسلمين فى الاوروبيين تاثيرا عميقا حتى انهم نقلوا كتب ابن رشد وابن زهر وابن سينا وغيروها الى لغاتهم واخذوا يتدارسونها ، فكانت سببا فى انهاض هممهم وهم فى ليل دامس من الحكم المطلق فهبوا يتطلبون الحياة ثائرين على نظمهم الجائرة . مجازفين بحياتهم فى سبيل الحياة والحرية ، فدام التنازع بينهم وبين الاخذين بمخنقهم قرونا حتى تم لهم النصر عليهم فى القرن السادس عشر ، فكان العهد الذى يسمونه عهد البعث الذى سبق عهد المدنية الاوروبية الحاضرة ، فهذه المدنية التى فتنت العالم اليوم بعلومها وفنونها وصنائعها للمسلمين بوجودها كما رأيت ، وكما يعترف به مؤرخوها فى مؤلفاتهم المتداولة .

فالفتوح الاسلامية لم تكن فى حقيقتها الا صوت الحق ينبه الغافلين ويوقظ النائمين ، ويستحث همم الحاكمين والمحكومين الى تلمس الحياة الصحيحة والخروج مما هم فيه من التقاليد الموبقة والرسوم المهلكة . وقد نجح الاسلام فى تحمل هذه التبعة الى حد بعيد فأحدث فى العالم دويا امتاز به دون سائر الفتوح العالمية ، فكان من أثره الخير العميم ، بخلاف تلك الفتوح فقد خلفت وراءها الخراب والدمار حتى انها اتت امما برمتها تحت تلاقل واضطهادات يقشعر لقراءتها جلد الانسان . افلا يستحق بعد هذا العرض أن يلقب الاسلام بدين العمران ؟

العمران العالمى العام ؟ .

حب الوطن من الإيمان

ايها القارىء الكريم : الايمان كلمة لها مغزاها ومعناها ولها روعتها ولها دلالتها : اذا سمعها الانسان استراحت نفسه وهدأ خاطره واطمان وجدانه وهو وصف المخلصين من عباد الله الصادقين باعمالهم في هذه الحياة « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

الدكتور محمد جمال الدين عواد

والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وأن تؤمن بالقضاء خيره وشره . فالله عز وجل هو خالق هذا الكون ومبدعه ومنظمه ومسيره « **فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم** » .

له وحده التسبيح والتقديس والتنزيه والتعظيم « **وان من شىء الا يسبح بحمده** » .. **ولله يسجد من السموات ومن فى الارض** » هو وحده صاحب الأمر والنهى المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص بيده الحياه والموت اليه المرجع والمآب « **هو يحى ويميت له الحكم واليه ترجعون** » له عباد مقربون هم ملائكته « **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » وقد شاء سبحانه رحمة بعباده ان يرسل اليهم رسلا اصطفاهم من خلقه واجتباهم من عباده ليقودوا الناس الى الخير ، ولينقذوهم من الضلال وليأخذوا بيدهم الى الطريق الموصل اليه طريق الحق والهدى والنور **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل** « واوحى اليهم بكتبه المقدسة وتعاليمه الفاضلة الرحيمة العادلة لنعيش عيشة السعداء ونكون فى الدنيا كرماء واعزاء « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » فآمنا به وصدقناه واتبعنا النور الذى انزل معه فكانت لنا البشرى بهذا الايمان « **وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** » .

وجعل كتابنا القرآن نتدبر آياته ونتعظ بعظاته ونسير على سننه ومنهاجه « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » وكان لنا شرف الانتساب اليه والانضمام تحت لوائه « **كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

هذا الاله الخالق يا أخى يرزقك ويرعاك ويحرسك ويراقبك ويكون معك دائما فى سيرك وممشاك وفى صباحك ومسائك « وهو معكم أينما كنتم » يعلم ظاهرك وباطنك ويسمعك فى سرك ونجواك « مايكون من نحو ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » .

فهو سبحانه المتصرف فى أمورك المدبر لشئونك كل شىء منه واليه « **الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين** » فلا تخضع الا له ولا تلجأ الا اليه ولا تطلب الا منه كما علمك نبيك ورسولك سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقال « **اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله** » لانه هو الذى بيده أمرك وبيده ضرك ونفعك وحياتك وموتك « **واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين** ».

فالانسان مهما بلغ أمره فى الحياة لا حول له ولا قوة الا بحول الله وقوته وقد نبه النبى الكريم على ذلك فقال **وأعلم أن الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك** » .

فالمؤمن يرضى بحكم القضاء ويحمد الله فى السراء والضراء واثقا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه « **قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**

هذه العقيدة القوية اذا امتلأ بها قلب المؤمن جعلت منه رجلا فى هذه الحياة يصبر على الشدائد ويستهين بالمصاعب يجاهد فى سبيل الله وفى سبيل وطنه ليحيا حياة كريمة عزيزة « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » وشأن المؤمن أن لا يكون بخيلا ولا جبانا ولا مستغلا ولا فاجرا ولا مستبدا ولا ظالما « **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون** » بل شأنه أن يكون عفيفا كريما واسع الصدر رحيما بالغير عادلا بين اخوانه مستجيبا لدعوة الحق تقوم علاقاته بين الناس على الصدق والاخاء والحب والوفاء يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه** » .

ومن صفات المؤمن : ان يحب وطنه وأن يؤمن به وأن يعمل على رفعته واعلاء شأنه وأن يضحى بما يستطيع أن يضحى به فى سبيل انهاضه والذود عنه وحمايته من المستعمرين وأذناب المستعمرين والرجعيين والمستغلين وهو واجب يأمر به الدين لانه المكان الذى نبت فيه الانسان وعلى أرضه درج وبين أرجائه غدا وراح غذاه ماؤه واقلته ارضه واظلته سماؤه فيه أهله ورفقاؤه واصدقاؤه واحباؤه . استمع يا أخى الى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما اذن له بالهجرة من مكة الى المدينة « **والله يا مكة انك لاحب بلاد الله الى الله وانك لاحب بلاد الله الى ولولا أن أهلك اخرجونى منك ما خرجت ابدا** » وهذا يدل على مبلغ حبه واعزازه لها .

فاحب وطنك يا أخى من كل قلبك وكن مؤمنا به فالايمان به جزء من الايمان بالله وقد ورد فى الاثر « **حب الوطن من الايمان** » ، ووطنك الخاص هو الذى عشت على أرضه ونسبت اليه ووطنك العام هو وطن العروبة والاسلام . فوجودك من وجوده وكيانك من كيانه فامنع عنه ظلم الظالمين وبغى الباغين وكيد المعتدين وحقد الرجعيين واحتلال المستعمرين جاهد فى سبيل ذلك ما استطعت حتى تحمى حمــاه واضرب على يد كل من يحاول أن يعبث بكيانه أو يحتكر موارده أو يستعبد ابناءه او يدنس أرضه وارتفع به فوق الخلافات والمنازعات وان رامه أحد بسوء فكن كما قال الشاعر :

ساحمل روحى على راحتى
وأمضى بها فى سـبيل الردى
فاما حيـاة تسر الصـديق
واما ممات يسـوء العـدا

فلنؤمن بالله والوطن من أعماق قلوبنا فالايمان بذلك هو اساس الحياة الفاضلة الكريمة للافراد والشعوب على سواء وهو الصلة الوثيقة بالله علام الغيوب .

واذا نظرنا الى المؤمنين الاول لم نجدهم وصلوا الى ما وصلوا اليه الا بهذا السلاح القوى وهو سلاح الايمان فلم تكن لهم قوة ولا عتاد ولا عدة ولا استعداد بالنسبة لما كان لدى اعدائهم - وانما كانت لهم قوة الايمان فبالايمان حاربوا حتى انتصروا وجاهدوا حتى ظفروا وبالايمان سادوا وشادوا وبالايمان ملكوا وعزوا وبالايمان حكموا وعدلوا وبالايمان رفعوا راية الاسلام عالية خفاقة فى ربوع الارض وفى ارجـاء العالم .

فياشباب الامة الاسلامية والعربية املاوا قلوبكم بالايمان بالله وبالوطن فانتم حملة اللواء وانتم معقل الامل وموضع الرجاء وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفقنا الله جميعا لرفعة ديننا ووطننا وجعلنا من المهتدين بهديه وشريعته .

القاهرة ودورها فى الحضارة الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن زكى

ان المدائن الاسلامية العظمى فى صفحات التاريخ الاسلامى ، لتصور مشهدا فاتنا يجمع بين العظمة والابهة • ومن تلك المدائن الثرية بتاريخها وتراثها واحداثها : قرطبه ، القاهرة ، بغداد ، حلب ، دمشق ، بخارى وسمرقند • هذا الثبت من اسماء المدن الشبيهة لا نهاية له ، ومع ذلك فليس من بينها مدينة كالقاهرة ، تسمو الى مثل مكانتها الحضارية المجيدة •

والقاهرة قديمة فى تاريخها الذى يرجع الى أكثر من ألف سنة ، وقد واصلت دورها الهام حتى يومنا هذا ، وعلى مر السنين ، معقلا للاسلام وجمعا للعلماء ومتحفا للكنوز محتضنة ثروة لا حصر لها من روائع الفن الاسلامى والمخطوطات العلمية النادرة •• كم افادت بفضل موقعها الفريد فى قلب العالم بين القارات الثلاث •• من الربح والنفع من حصيلة تجارة النقل المثمرة بين موانىء البحر المتوسط والشرق البعيد ، ومن ثم اصبحت القاهرة من أغنى مدائن العالم فى العصر الوسيط •

ويرجع تاريخ القاهرة الى عام ٩٦٩ م حينما فتح جوهر الصقلى قائد جيوش الخليفة الفاطمى المعز لدين الله مصر ، واسس القاهرة لتكون مقرا حصينا لمولاه ، كما شيد الجامع الازهر ، فقد كان تخطيط جوهر – لا يعني تاسيس قاعدة جديدة بيد انه كان يهدف الى بناء قصر للمعز ، ومن ثم ظلت القاهرة ولمدة طويلة قصبة محصنة تسكنها أسرة الخليفه المعز وموظفى الادارة وافراد حاميته ولم تمتد خارج أسواره الفاطمية الا بعد سنوات طويلة من الحكم الفاطمي فاصبحت القاهرة حينذاك حاضرة مصر ويسمح للناس للدخول اليها والعمل فيها بعد أن كانت كما قلنا معقلا ملكيا ٠

وبدا تشييد الازهر الشريف يوم الاحد ٣ ابريل عام ٩٧٠ م وانتهى بناؤه في ٢٤ يونيو ٩٧٢ م ومنذ ذلك اليوم يعتبر حتى يومنا هذا مفخرة من مفاخر الاسلام ٠ وفى عام ٩٨٨ أخذ يقصده العلماء والطلاب واصبح قبلة المسلمين واعظم الجامعات فى العالم الاسلامى ٠ ففى تلك الايام السالفة وكما هو الحال اليوم ، يفد الطلاب الى الازهر من جميع انحاء البلدان الاسلامية لتلقى علوم الدين من علماء الاسلام ، دروس الشريعة والفقه والتفسير والحديث واللغة العربية والنحو والمنطق ٠ ولم تمض سنوات على انشاء القاهرة حتى ترعرعت وازدهرت واصبحت مدينة زاهية لها رصيد زاخر من الحضارة الاسلامية ، فقال عنها المقدسى الجغرافى العربى عام ٩٨٥ : كانت بغداد فيما سلف مدينة مشهورة ، بيد أنها تتضاءل اليوم ورحل عنها البهاء ، فلم الق فيها المسرة او ما يستحق الاعجاب ٠٠ والقاهرة اليوم هى ما كانت عليه بغداد الامس ، لا أعرف مدينة أخرى فى دنيا الاسلام اكثر منها بهاء ٠٠ ولم يألو الفاطميون جهدا ان يجعلوا القاهرة قاعدة دولتهم أبهى المدائن الاسلامية الاخرى وأعظم المراكز العربيه حضارة فسمت شهرتها على ما استمتعت به بغداد وقرطبة ٠ ولا يخفى أن القرنين العاشر والحادى عشر كانا ذروة العصر الذهبى للحضارة الاسلامية

جامع الازهر وجامعتها

أسس يعقوب بن كلس وهو يهودى اعتق الاسلام واصبح فى خدمة المعز ومن ثم أبدى تفاخره بالاسلام – كان أسس ابن كلس هذه الدراسات الدينية العليا فى الازهر سنة ٩٨٨ م وما لبث أن عين للتدريس فيه خمسة وثلاثين أستاذا للشريعة واصبح الازهر مثالا لجامعة عالمية تدرس فيها بالاضافة الى العلوم الاسلامية الحصينة ، الدراسات المتوارثة عن العالم القديم كالرياضيات والفلك وعلوم الفيزياء والاحياء والطب والنحو والشعر والفنون والفلسفة ٠ وأصبح البحث العلمي ممكنا بفضل مكتبة اقامتها الخلافة الفاطمية فى القصر الكبير ، وكانت هذه المكتبة تتكون من اربعين غرفة مشتملة على طائفة هائلة من الكتب فى شتى فروع المعرفة ٠ وكانت اكبر مكتبة فى العالم الاسلامى ويمكن اعتبارها واحدة من عجائب الدنيا ٠ وحفظت نسخ من القرآن الكريم فى غرفة خاصة وكانت تنسخ باليد بوساطة النساخين المشهورين وكانت محلاة بالذهب والفضة وزخارف انيقة أخرى ٠

دار الحكمه

وفى يوم السبت ٢٤ مارس عام ١٠٠٥ افتتحت دار الحكمة «دار المعرفة» ، فى القاهرة ومؤسسها هو الخليفة الفاطمى الحاكم بامر الله وكان بها مكتبة وقاعة للمطالعة وصارت بمثابة ملتقى للعلماء وعلماء الطب ورجال الفلك والرياضيين ، وكان الخليفة الحاكم بامر الله يمنح العلماء منحا سنوية ، وفى عام ١٠٤٥ م اعد للمكتبة « كتالوج » ، احتوى على ٦٥٠٠ من المؤلفات الفلكية والفلسفة وقد اغلقت دار الحكمة ابوابها فى نهايه القرن الحادى عشر على ايام الوزير الافضل لكن اعيد افتتاحها فيما بعدعام ١١٢٣ فى مكان آخر ٠

علماء واساتذة

وفى ايام الفاطميين اشتهر عدد عظيم من أعلام العلماء، ٩٦٩ – ١١٧١ م » وكان فى طليعتهم الطبيب على بن رضوان « ت – ١٠٦١ » الذى خلف رسالة ممتازة عن أحوال الطقس فى الفسطاط وبعض القواعد الصحية لاهالى مصر وقد درسها العلماء الغربيون ٠ وفى أثناء الحكم الفاطمى : واشتهر العلامة الفلكى ابو الحسن بن يونس المصرى « ت ١٠٠٩ م » الذى سبق جاليليو الايطالى فى اختراع الرقاص وفى استعماله فى الساعات الدقاقة وقد شيد له الخليفة مرصدا يجرى فيه تجاريبه على جبل المقطم قرب الفسطاط وتمكن فيه من تحقيق أرصاد الذين قدموه كما ادخل تحسينات على الجداول الفلكية ٠

ويقابلنا فى هذا العصر ومنهم ابو على الحسن بن الهيثم عام ١٠٣٩ م ، أعظم علماء المسلمين فى الفيزيقا بل اعظم علمائها فى العصور الوسطى وكان أيضا فلكيا ورياضيا وطبيبا ٠ واهم كتب ابن الهيثم ، كتاب المناظر ، الذى ترجم الى اللاتينية سنة ١٥٧٢ ٠ وأخذ عنه علماء اوروبا وافادوا لاسيما فى موضوع « انكسار الضوء » وقد عرف قدر هذا العالم بوساطة : روبرت جروستست أسقف لنكولن وعن طريق غيره من العلماء ٠ ونبغ فى عصر الحاكم بامر الله وطبيب العيون الكحال ابو القاسم عمار بن على الذى كان يزاول عمله فى القاهرة وهو صاحب كتاب المتحف فى علاج العين ويشتمل على أوصاف شتى لامراض كثيرة وطرق معالجتها ٠ والجزء العلمى من هذا الكتاب هام جدا تناول فيه أجراء ست عمليات ماء العين ، كتاراكت ، واحداها عملية لماء العين اللينة للامتصاص بوساطة أنبوبة معدنيه مجوفة أخترعها عمار بذاته وقد ترجم الى العبرية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ٠

ونذكر ايضا الامير ابو الوفاء المبشر بن فاتك وكان من أفاضل علماء مصر الفاطمية «ت فى القرن الحادى عشر الميلادى »وممن أجادوا الحكمة والعلوم الرياضية كما أشتغل ايضا بالطب وللمبشرين فاتك مجموعة من الامثال نسبت الى قدماء الحكماء ، عنوانها « مختار الحكم ومحاسن الكلم »جمعها هذا الحكيم فى القرن الحادى عشر وترجمت هذه المجموعة الى الاسبانية بعنوان « قطع الذهب » ٠ أما النصوص الغربية لهذه الحكم فقد ترجمت عن اللاتينية ونقلها الى الانجليزية الايرل ريفرز باسم « أمثال الفلاسفة وحكمهم وكان هذا الكتاب اول مطبوع أنجليزى – بعه ، وليم وكاكستون سنة ١٤٧٧ وكان رائد الطباعة فى انجلترا ٠

بعض الرحالة العرب فى القاهرة

وبعد أن مرت عشر سنوات على نهاية حكم الاسرة الفاطمية زار الرحالة الاندلسى وابن فلنسية ابن جبير مدينة القاهرة ، وكان ذلك عام ١١٨٣ اثناء حكم السلطان الموهوب « صلاح الدين الايوبى » قد عجب ابن جبير من مشاهدته اشياء كثيرة انشأها هذا السلطان يقول رجالتنا :

« وشيد أيضا بازاء ضريح الامام

الشافعى ، مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها ، لا أوسع مساحة ولا احفل بناءه يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ، بازائها الحمام الى غير ذلك من موافقتها ، والبناء فيها حتى الساعة ، والنفقة عليها لا تحصى . يفد اليها الطلاب من البلاد البعيدة فيلقى كل واحد منهم مسكنا ياوى اليه ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه وقدر من المال يقوم به فى جميع أحواله . واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الوافدين حتى أمر بتخصيص حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك ، ونصب لهم مستشفى « بارتستانا » لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم اطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يامرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء . وقد رتب أيضا فيه أناسا يشرفون على ارشاد المرضى فى المستشفى ويتصلون بالاطباء ويشرحون لهم احوالهم ليتكلفوا بمعالجتهم .. ثم وصف ابن جبير بعد ذلك القصر الذى يشغله هذا المستشفى

القاهرة أثناء حكم سلاطين المماليك البحرية

أستمر حكم المماليك سنين طويلة ١٢٦٠ ـ ١٥١٧ ، حتى غزى العثمانيون مصر واخضعوها لسيادتهم « ١٥١٧ » وفى أثناء حكم المماليك استمتعت البلاد برخاء اقتصادى أدى الى توسع القاهرة ، جنوبا وغربا وشمالا ، فمن الناحية الشمالية ، المواجهة لبابى الفتوح والنصر تمت ضاحيه الحسينية الجديدة ، وتجاوزها العمران . ونشاهد فى القاهرة اليوم ـ طائفة رائعة من العمائر المملوكة التى شيدها السلاطين والامراء ، كالمساجد والمدارس التى تحتضنها المساجد والخانات والقصور . ونستطيع اليوم أن نتخيل ولو قليلا ما كانت عليه تلك المبانى من جمال فريد ، حينما نطالع ما كتبه عنها الرحالة من خلال وصفهم لها . وحينما نشاهد فى المتاحف تلك التحف الجميلة واللطائف النادرة التى زينت قصورهم ودورهم .

ما رآه الرحالة ابن بطوطة

وقد تنافس الرحالة والكتاب العرب فى وصف القاهرة الفاتنة . ونذكر من هؤلاء امير الرحالة المغاربة : ابن بطوطة الذى زار القاهرة عام ١٣٢٦ م ووصف ما شاهده فى عبارات أنيقة بعد تأثره بحماسة الامراء فى تشييد الجوامع والخانقات كخانقاه بيبرس الجاشنكير على سبيل المثال . قال ابن بطوطة : **والقاهرة هى أم البلاد وقرارة فرعون ـ تموج موج البحر بسكانها ، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وامكانها .** قهرت قاهرتها الامم وتملكت ملوكتها نواصى العرب والعجم .. المتناهية فى كثرة العمارة ، المتباهية بالحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ، ومحط رجل الضعيف والقادر ، وبها من شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضيع ونبيه .. الخ .

لقد ولدت فى مصر منذ ازمان بعيدة ، أعظم الحضارات الانسانية كما قامت على تربتها ايضا أول دولة سامية النظم عرفها التاريخ القديم ، كذلك عاشت فيها حضارتان اضاءتا العالم ، هما الحضارة الاغريقية والحضارة الرومانية ، وفى أعقابها جاء الاسلام جالبا معه حضارته الجديدة . ثم انشئت القاهرة ونهضت على مر الزمن حتى اصبحت هى بذاتها المدافعة عن الدين الحنيف وحضارته أيضا . واليوم ـ تمثل القاهرة الاسلامية دون منافس وبكل صدق ، أروع أعمال العمارة والفنون خلال الف سنة متواصلة .. تشاهدون مختارات منها فى أبهاء المتاحف ومعارض الفن الجميل وكل تحفة تتحدث عن فتنتها وجاذبيتها فهى بحق وليدة صناع الحضارة الاسلامية التى نحتفى بها فى مهرجان لندن .

بقية مقال « تكريم الله للانسان »

فى الرعية وقسمه بالسوية وحبه المساكين .. واعظامه لامر الدين فيقبل الرأى الحر بسماحة نفس ورحابة صدر ، وتلك هى أمثلة تنبض بالحياة لحرية الكلمة فى الاسلام وتحقق اخوة ومساواة وحرية رأى . نضعها أمام من بهرتهم النظريات المستوردة فتبنوها وغفلوا عن ما هى تطبيقها ..

فاذا ما أتى البعض الان فزعم ان تسعة اعشار الدين الاسلامى عبادات واخلاقيات والعشر الباقى يجب ان يبنى اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا بنظريات مستوردة فنحن نقول لهؤلاء ان الخفافيش تعمى فى ضوء النهار لا لعدم وجود النور وانما لعمى فى أعين الخفافيش والله تبارك وتعالى يقول :

« الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » .

ونحن نقول لهؤلاء عندنا نظام اقتصادى اسلامى حقق الرخاء والاخاء والتعاون قبل ماركس باكثر من الف عام وأحدث تطبيقه اكتفاء ذاتيا عن طريق العمل المشروع والتملك الفردى فى حدود ما شرع الله وعن طريق اداء الزكاة والصدقات والكفارات والتكافل الاجتماعى والتكفل بالاقرباء وتولى الدولة جمع الزكاة والانفاق على المحتاجين حتى كان المسلمون الاوائل لا يجدون من يأخذ الصدقات ذلك عبادة بن الصامت قدمت اليه هدية فقال لابنه اذهب بها الى آل فلان فهم احوج اليها منا ـ وكلما جاء بها الى أهل بيت قالوا هذا حتى رجعت الى مصدرها الاول ..

انها نظريات يتناقلها البعض على انها حقائق مسلم بها والنفوس الضعيفة تريد اكتساب شهرة فتتبنى الغريب من الاراء على طريقة ـ خالف تعرف ـ والنفوس الضعيفة تولع بالتقليد لكل ما هو مستورد وجديد فتكون اشبه بالسائمة البلهاء تجرى الى مصرعها باعواد العشب الاخضر وتريد أن تحيا فى عالم ملىء بالجوع الروحى عالم ينعدم فيه الامان والخوف من الله وينعدم فيه العمل الصالح رغبة فى ثواب الله وطمعا فى عقابه ، وينعدم فيه حرية التفكير والتعبير بادعاء ان صالح الدولة انما هو فى السيطرة على الاخرين وتسخيرهم بدون أى اعتبار لادميتهم مما يجعل الفرد لا قيمة له فى حد ذاته ولا حرية له فى تصرفاته فهو يحيا ليأكل ويفكر ويكتم فلا ينطق وصدق قول الله فى شأن أمثال هؤلاء **(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » .**

حول مأدبة الله

الأستاذ محمد دياب

اذا كان رمضان هو شهر نزول القرآن .. فان الزمان كله الى يوم الناس هو القرآن .. لا يكفى أن نحتفى به شهرا ونغفله بقية الشهور .. ولا تجزىء تلاوته وتدارسه فى ايام عن نسيانه فى سائر الايام .. ولا ينفع اتباعه والعمل به فى زمن دون زمن

ان القرآن الحكيم هو كتاب الحياة ودستورها الالهى الشامل .. والحياة بدونه فى كل دقائقها وثوانيها هى حياة بلا دستور ولا كتاب .. والحكمة فى احتفالنا بشهر القرآن ان يكون بداية تذكير دائم باحيائه فى حياتنا سلوكا وضميرا وفكرا واخلاقا .. مثلما كان بداية لنزول الروح الامين به على قلب الصادق الامين صلى الله عليه وسلم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

ولعل مماتوحى به المناسبة الكريمة .. ان نتحلق حول مأدبة الله التى هى القرآن .. وان نلم بطرف - ولو يسير - عن نزوله .. كيف نزل ؟ وفى أى وقت ؟ وكيف تم جمعه ؟ ثم .. ما هو حظ المسلمين من تعلمه وقراءته ؟

لقد نزل القرآن المجيد بلفظه ومعناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحى من جبريل عليه السلام .. والوحى هو اعلام الله تعالى انبياءه بما يريد سبحانه .. اما بالكلام المباشر او برسالة ملك او الهام أو منام . روى البخارى من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، ان الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : **يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو اشده على ، فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول . قالت السيدة عائشة ، ولقد رايته ينزل عليه الوحى بالقرآن فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا .**

ولكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه شديد الحرص على حفظ ما كان يلقنه له جبريل من آيات الكتاب العزيز . فكان يسارع بنطق ما يسمع من جبريل قبل ان يتم كلامه لكيلا ينسى ما سمع منه .. وكان عليه الصلاة والسلام يعانى من ذلك مشقة وشدة .. فنهاه رب العزة عن هذا التعجل ، وامره بالانصات حتى يقضى اليه وحيه ، ووعده بأنه آمن من النسيان .. وفى ذلك نزل قوله سبحانه : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه : فاذا قرأناه فاتبع قرانه ، ثم ان علينا بيانه »** .. قال ابن عباس : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع اليه ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبى كما قرأه .

أما زمن نزول القرآن الكريم .. فقد حددته ثلاث آيات بينات .. هى قول الحق تبارك وتعالى : **« انا انزلناه فى ليلة القدر »** وقوله : **« حم والكتاب المبين : انا انزلناه فى ليلة مباركة »** وقوله : **شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان !** فهذه الايات تفيد أن القرآن قد نزل ليلا .. وان ليلة القدر المباركة التى نزل فيها هى احدى ليالى شهر رمضان .

يقول الامام الشيخ محمد عبده : ان المراد من انزال القرآن فى الايات الثلاث ، هو الابتداء بانزاله .. والقرآن كله ، والجملة منه وان قصرت ، من ذلك يسمى قرانا ويسمى كتابا .. اى أن بدء نزول القرآن كان فى شهر رمضان ، ثم توالى نزوله بعد ذلك منجما وفق مقتضى الحال .

وهناك من يقول بان القرآن قد نزل كله من بيت العزة الى السماء الدنيا فى ليلة القدر .. ثم نزل مفرقا الى الارض حسب الاحداث والوقائع فى مدة رسالته صلى الله عليه وسلم .

وقد وصف الامام محمد عبده هذا القول « بانه من الجرأة على الكلام فى الغيب بغير حجة قاطعة ، وليس من الجائز ان نعتقد بشىء من ذلك ما لم يرد فيه خبر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم » .

ومع أن هذا من الغيب الذى لا يعلمه الا الله .. ومع انه لم يرد فيه خبر متواتر صحيح .. فان العقل ايضا لا يقبله .. والا فما هى فائدة نزول القرآن الى السماء الدنيا وعمله انما هو هداية الناس فى الارض ؟!

وهناك ايضا من يروق له ان يتحدث فى موضوع جمع القرآن الكريم .. لا لبيان هذا الموضوع وتوضيحه .. وانما للايهام بأن كتاب الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كان فى فترة ما بعد انتهاء الوحى عرضة لتغيير او تبديل .

وهذا محض افتراء .. فكتاب الله محفوظ بعناية الله الذى تعهد بصونه وحفظه من كل عبث .. يقول الحق سبحانه : « **لا تبديل لكلمات الله** » ويقول : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » .

وقد انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ، والقرآن الكريم كله محفوظ فى صدور الحفاظ والقراء والمعلمين ، ومكتوب - فوق حفظه فى الصدور - بواسطة كتاب الوحى الذين بلغ عددهم ثلاثه واربعين كاتبا أشهرهم الخلفاء الراشدون .. فلما اجتاحت معركة اليمامة كثيرا من الحفاظ على عهد ابى بكر رضى الله عنه ، خشى الخليفه الاول ان تقضى حروب الردة على الحفظة فيقضى على القرآن معهم .. فطلب من زيد بن ثابت كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع القرآن ويجمعه .

يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه : فتتبعت القرآن اجمعه من جريد النخل وصفائح الحجارة ورقاع الجلد وعظم البعير والشاة الجاف والورق البردى وصدور الرجال .. حتى وجدت آخر سوره التوبه مع ابى خزيمة الانصارى ، لم اجدها مع احد غيره .. فكانت الصحف عند ابى بكر حتى توفاه الله .. ثم عند عمر فى حياته .. ثم عند حفصة بنت عمر .

فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه ، اختلف المسلمون فى الامصار على قراءة الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن على رسول الله ، وقامت مشادات بين المسلمين تعصب فيها كل فريق لقراءته وسفه قراءة الفرق الاخرى .. فسارع عثمان الى نسخ اربعة مصاحف من الصحف التى كانت عند حفصه بنت عمر ، وارسل واحدا منها الى الكوفة ، وواحدا الى البصرة ، وواحدا الى الشام ، وابقى لنفسه مصحفا بالمدينة .. كما عين زيد بن ثابت معلما للقرآن بالمدينة ، وعامر بن قيس بالبصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمى بالكوفة . والمغيرة بن هشام بالشام ، وصار كل من هؤلاء المعلمين يقرأ بما فى مصحف عثمان .. وبذلك تم حفظ القرآن .. وحفظ اجتماع الامة عليه .

على هذا النحو . فان تعليم القرآن الكريم وتعلمه فضيله مطلوبه من أعظم فضائل الخير التى حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : **خيركم من تعلم القران وعلمه** . وقوله لابى هريرة رضى الله عنه : يا أبا هريرة ، علم الناس القرآن وتعلمه ، فانك ان مت وانت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق .

يقول الامام ابن كثير : وانما كان هذا فضل تعلم القران وتعليمه ، لان هذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل ، وهم الكمله فى انفسهم المكملون لغيرهم ، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى .. وهذا بخلاف صفة الكفار الذين لا ينتفعون ولا يتركون احدا ان ينتفع ، كما قال تعالى فى حقهم **وهم ينهون عنه وينأون عنه** » .. اى انهم ينهون الناس عن اتباع القران مع نأيهم وبعدهم عنه ايضا ، فجمعوا بين التكذيب والصدق كما قال تعالى « **فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها** » ، فهذا شأن شرار الكفار ، كما ان شأن الاخيار الابرار ان يتكملوا فى انفسهم وان يسعوا فى تكميل غيرهم كما قال تعالى « **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** » ، فجمع بين الدعوة الى الله من تعليم القران والحديث والفقه وغير ذلك ، وعمل هو فى نفسه صالحا وقال قولا صالحا أيضا ، فلا أحد أحسن حالا من هذا .

وليس المراد بتعلم القرآن وتعليمه مجرد الحفظ والتحفيظ ، وانما معرفة القواعد والاحكام التى يجب على المسلمين أن يسيروا عليها بالنسبة لكتاب الله تعالى .. فالامة كما هى متعبدة بفهم معانى القرآن واقامه حدوده ، متعبدة أيضا بتصحيح الفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة ، المتصلة بالحضرة النبويه التى لا تجوز مخالفتها ... فتلك هى الكيفيه التى نزل بها القرآن ، **والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :** ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل

•••••••

هذه قطرات من فيض مأدبة الله ... التى لا يعذب الله قلبا وعاها .. ولا يروع نفسا دخلت فى حماها فابتغوا الهدى بالقرآن .. فمن ابتغى الهدى من غيره اضله الله .. وابتغوا به القرب من الله .. فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا تتشعب معه الاراء ، ولا يمله الاتقياء .. من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

« **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظه من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** » .
صدق الله العظيم .

الحق في الشرع الإسلامي

الأستاذ أحمد بهجت

شرف الحق أن جعله الله اسما من أسمائه وسعد البشر أن منح الله الحقوق لعباده . فسبحان الحق ـ سبحان الله .

ان للحق معانى كثيرة يجمعها جميعا انها تفيد الوجود والثبوت وأعظم معانى الحق هى انه اسم من أسماء الله سبحانه وصف بها نفسه لثبوت ربوبيته والهيته ـ فهو الملك الحق الثابت فى ذاته .. الثابت فى صفاته .. وهذا هو المعنى الاجل الاعظم للحق

على انه من نعم الله على عباده أن جعل لهم حقوقا وهى المصالح المستحقة شرعا . وهى الاختصاصات المقررة فى شريعة الله سبحانه والتى تسوغ للعبد سلطة على عبد أو مصلحة له على مقتضى الشرع الحنيف فقد جعل الله لعباده الحق لهم المطالبة به أو منعه عن الغير أو بذله أو التنازل عنه وهو يطلق على الملك كما يطلق على المنافع والمصالح فحق القصاص وحق الطلاق وحق الولاية وحق الشفعة كلها حقوق ممنوحة من الله لعبده مقررة فى شريعته وقد أوجب سبحانه على الناس احترامها وحدد نطاقها فهى حقوق واجبة الاحترام لا تسلب ولا تسرق ولا تغتصب فالله اذ يمنح هذا الحق يجعل صاحبه مستأثرا بمضمونه دون سواه من الناس فالمالك يتسلط على ملكه والمقرض ينفرد بحق اقتضاء دينه ..

والى جانب هذه الحقوق جعل الله رخصا فالناس بالنسبة لها فى مركز واحد من حيث المزاولة والتمتع والاستئثار والانفراد وهى تختلف عن الحق من هذه الناحية .

والحق يكون دائما له سبب محدد معين بذاته فحق القصاص سببه القتل وحق الملك سببه العقد . ومصدر الحق هو الجهة المانحة له اذ كان ذلك ولكن الشرع الاسلامى يهدف الى اسعاد الانسان فى الدنيا والنعيم فى الاخرة فانه ينظر الى الحقوق نظرة دينية قوامها أن الانسان فى الاصل لا يملك الحقوق . وانما هى ارادة الخالق سبحانه منحته الحق نعمة من الله وفضلا كبيرا . فالله سبحانه اذ منح الحقوق لعباده انما كان ذلك لحكمة ارتآها وفيها تحقيق صالح الجماعة ومن أجل هذا فان ممارسة الحقوق تدور فى هذا الفلك .

فالحق يمارس فى اطار صالح الجماعة . فلا يجوز للفرد أن يمارس حقه بما يضير الغير ذلك أن الحق الممنوح له فرض الله له الحماية باحترام الناس له وفى الجانب المقابل يتعين أن تمارس الحقوق بعيدا عن الاضرار بالخلق ومن الحقوق ما هو خالص لله تعالى وهى تلك الحقوق التى تحقق صالحا عاما فالصالح العام هدفها ومبتغاها ومثلها العبادات فهى حقوق خالصة لله وان حققت خيرا خاصا للفرد . فالايمان حق لله والصلاة والصيام كلها حقوق لله على عباده .

ومن الحقوق ما يحمل معنى المؤنة فيأمر الله سبحانه عباده بأن يبذلوا من مالهم شيئا تقربا له واحتسابا كصدقة الفطر وهى محققة لصالح عام حتى لا يوجد بين صفوف الامة جائع .

ومن الحقوق أيضا الحق لله علينا ما شرعه عقوبة وحدا كحد السرقة وحد شرب الخمر وحقوق أخرى تدور بين العقاب والعبادة ككفارة القتل الخطأ وحنث اليمين ومنها ما تدور بين العقوبة والمؤنة كالخراج وفيه المؤنة غالبة .

والغاية من هذه الحقوق التى لله علينا هى الطاعة كحكم الله وتحقيق صالح العباد فقد ابتغى بهـــا سبحانه للناس نفعا وللبشر خيرا .

أما حقوق العباد وهى تلك التى تحقق مصلحة خاصة للفرد كحق الملك وحق الدية وحق الجار فى الشفعة الى غير ذلك من الحقوق وهى كثيرة لا تحصى فقد منحها الله لعباده فضلا منه ورحمة . وقد ذهب بعض الفقهاء الى معيار للتفرقة بين حقوق الله وحقوق العباد الى أن الاولى ليس للعبد اسقاطها واما الثانية فللعبد التنازل عنها والتصرف فيها .

ومن الحقوق الممنوحة للبشر حقوق جعلها الله لعباده وحقه سبحانه غالب فيها فحد القذف مثلا فيه لله حق غالب وذلك زجر للناس وحتى لا يمسوا حرمة عفيف وبذلك ينقى المجتمع من اثم القذف . وتتحقق صيانة هذا المجتمع من الفساد والى جانب هذا الحق لله فان حق المقذوف قائم على رفع العار عنه .

« البقية ص ١٤٧ »

القرآن الكريم

مسابقة من إعداد

المركز الثقافى

« المقاولون العرب - عثمان أحمد عثمان وشركاه »

موضوعات العدد الخامس

١٣٩٦ - ١٩٧٦

•• يرى قارىء منبر الاسلام بعد هذه السطور مباشرة موضوعات العدد الخامس « ١٣٩٦ ١٦٧٦ » من التجربة الرائدة « مسابقة القرآن الكريم » التى ترعاها « المقاولون العرب - عثمان احمد عثمان وشركاه » وهى التجربه التى قدمنا تقييما لها من خلال بعض أعدادها على صفحات هذه المجلة ، والتى تقدم للقارىء المسلم زادا من الثقافة الاسلامية من خلال فهم مستنير لايات القرآن الكريم ، يستلهم تراث سلفنا الصالح الذى يتمشى مع منطق القرآن والسنة ويستقرىء التاريخ ، ويعيش احداث الحاضر •• ويحاول من خلال دراسات جادة واصيلة ان يساهم فى حل مشكلات المسلم المعاصر من خلال تعاليم الاسلام كما رسمها القرآن المجيد وكما عبرت عنها سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء على فترة من الرسل ، وختم الله به رسالات السماء .

وموضوعات العدد الخامس هى على الترتيب :

١ - القرآن الكريم والتاريخ .
٢ - القرآن الكريم والمجتمع .
٣ - القرآن الكريم والتدبر .
٤ - القرآن الكريم وعلم الغيب .
٥ - القرآن الكريم واللغة العربية .
٦ - القرآن الكريم والامومة .

وفيما يلى الاسئلة المطلوب الاجابة عنها فى كل موضوع من هذه الموضوعات :

القسم الاول :

القرآن الكريم والتاريخ

السؤال الاول : فى القرآن الكريم اشارة الى « ذى القرنين » فى قوله تعالى فى الاية رقم ٨٣ من سورة الكهف « **ويسألونك عن ذى القرنين** » ••

أ - ما رأيك فى حقيقة هذا الملك الذى أشاد به قصص القرآن الكريم ، والذى اختلفت فيه التفاسير القديمة والحديثة ؟

ب - وما هو الاقرب الى الصواب بحسب النص القرآنى ؟

السؤال الثانى : فى قوله تعالى « **الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الاوتاد** » الايات من ٦ - ١٠ سورة الفجر - ذكر لحضارات زاهرة قامت فى الجزيرة العربية وفى مصر ..

أ - ماذا تفهم من معنى الربط التـــاريخى والحضارى بين حضارات الجزيرة العربية وحضارة مصر منذ فجر التاريخ ؟

ب - وماذا تفهم من المعنى الواضح فى الايات وهو ان اسباب هذه العلاقه التاريخية بين هذه الحضارات كانت معلومة عند قوم النبى الذين نزل اليهم القرآن بلسانهم ؟

السؤال الثالث : اذا كان المؤمنون - كما يؤكد القرآن الكريم - لاينتصرون فى كل اطوارهم بكثرة العدد ، وانما بخصائص وقوى الايمان وثمراته فى مجتمع المؤمنين ..

واذا كان من اهم خصائص وثمرات الايمان حرية الانسان ، وحرية الوطن ، والعدل الاجتماعى وانتشار التعليم ..

فكيف يوفق المسلمون فى هذا العصر بين الدعوة الى تحديد النسل ، وبين الحاجة الملحة الى خصائص الايمان التى تكفل الانتصار بقوة الكم أيد رايك من كتاب الله ؟

القسم الثانى :

القرآن الكريم والمجتمع

السؤال الاول : هل العبادة بمعناها وشعائرها فى الاسلام علاقة فردية خاصة بين المؤمن وبين الله . ام انها عقد بين الانسان والله له ابعاده وروابطه وشرائعه الاجتماعية لبناء وتحرر وتطهير المجتمع اشرح رايك وايده بآيات من القرآن الكريم .

السؤال الثانى : الركن الاول والاعظم للايمان هو الشهاده بانه لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والتصديق بما جاء به ....

أ - ماهو اثر هاتين الشهادتين اجتماعيا على المجتمع الاسلامى ؟

ب - وما اثر هاتين الشهادتين كذلك على ماتميز به المجتمع الاسلامى من الخصائص الانسانية والتحررية والتكافليه التى تتقدم على غيره من المجتمعات الالحادية والعلمانية ؟

السؤال الثالث : هل يصح عقلا وايمانا ان يؤمن المسلمون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وأن يتعبدوا الله بالصلاة فى المساجد ، ثم ينتهى اسلامهم عند هذا الحد فلا يقيمون مجتمعهم على شريعة الله واحكامه الواضحة ، كما اقامها المؤمنون فى مجتمعهم الاول من قبل .. وانما يقيمون هذا المجتمع على صورة وقواعد وغايات اخرى كتلك التى يفرضها الشيوعيون ، او غيرهم فى اقامة مجتمعاتهم المعاصرة ؟

أ - كيف تفند هذا الادعاء الذى روج له اخيرا بعض الكتاب السياسيين ؟

ب - كيف تثبت أن النظام الاسلامى الذى اساسه الايمان كل متكامل .. وان القول بغير ذلك جهل او تدليس ، وان هدف هذا الادعاء هو ادخال اليأس على قلوب المسلمين المعاصرين تجاه الحقيقة الواضحه لهم ، وهى ان شريعة الله - كما كانت - لاتزال تملك مقومات بناء المجتمع المنشود للسواسية بين المؤمنين . والعدل فيهم وقيادتهم الى التقدم والعلم بمفهوم يشمل الدنيوى والاخروى معا . ؟

أيد رايك بآيات من القرآن الكريم .

القسم الثالث :

القرآن الكريم والتدبر

السؤال الاول : يقول الله تعالى « **أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها** » ٢٤ محمد .

أ - ما هو المقصود بالتدبر ؟

ب - وما هى الشروط والقابليات التى تعين المؤمن على تدبر القرآن الكريم ؟

جـ - وهل يكون التدبر بالقلب وكيف ؟

د - وما هى نوع هذه « الاقفال » على القلوب التى لا تتدبر ؟

استرشد فى الجواب بآيات من القرآن الكريم .

السؤال الثانى : ما هى المعانى التى تكشف عنها لكلمات الروح ، والنفس ، والايمان والاسلام ، اذا ما تدبرناها فى ضوء الايات التى وردت بها فى القرآن الكريم ؟

السؤال الثالث : وماهى المعانى المتكاملة والمتقابلة لكل من كلمات : المولى - الولى - الولاية - الاولياء - اذا ما تدبرناها فى سياق الايات التى وردت فى القرآن الكريم ؟

القسم الرابع :

القرآن الكريم وعلم الغيب

السؤال الاول :

أ - ما معنى كلمة الغيب فى قوله تعالى « **ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير** » ١٢ - الملك .

ب - وما معنى كلمة الغيب فى قوله تعالى « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ١ - ٣ البقرة .

جـ ـ وما معنى كلمة الغيب فى قوله تعالى « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً** » ٢٦ الجن .

السؤال الثانى : يقول الله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم «**قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب** » ٥٠ الانعام .

وضح كيف انه نفى علم الغيب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غير ما ينزل عليه من وحى انما هو تأكيد لنبوته ، وعلامة على صدقه عليه الصلاة والسلام وانه لا ينقص من كونه افضل البشر والرسل .

السؤال الثالث : اذا كان الله تعالى لا يطلع على غيبه الا ماشاء منه لرسله . واذا كانت الرسالات قد انتهت برسالة خاتم الانبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم .

ا ـ فكيف تفند بآيات من القرآن الكريم دعوى من يدعون علم الغيب ؟

ب ـ وكيف تفند بآيات من القرآن ادعاء من يقولون بالكشف والمشاهدة ؟

جـ ـ وما راى الاسلام فيمن يرفعون انفسهم بهذه الدعاوى او يرفعهم الناس درجة فوق النبوه ؟

الامر الذى فتن المسلمين فى دينهم . وشغلهم عن تدبر كتاب الله والناس بسنه رسوله صلى الله عليه وسلم ايد رأيك بآيات من القرآن الكريم .

القسم الخامس

القرآن الكريم واللغة العربية

السؤال الاول : ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعل هذه اللغات الدينية والدنيوية مقوما اساسيا فى حياة العرب ، وقوميتهم ، اكثر مما تملكه اية لغة اخرى بالنسبة للناطقين بها .

اشرح ذلك وايده بآيات من القرآن الكريم .

السؤال الثانى : ماهى المزايا التى انفردت بها اللغة العربية فجعلتها قادرة ـ رغم كثرة المؤامرات المحدقة بها ـ على البقاء وعلى الدفاع عن نفسها ضد ابتلاع اللهجات العامية لها ؟

السؤال الثالث :

ا ـ ماهى اسباب ضعف الاجيال الحديثة من المثقفين فى اللغة العربية ؟

ب ـ وما هو دور الاعلام فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى تنشيط هذا الضعف ؟

جـ ـ ومن هم المسئولون فى رأيك عن اضعاف اللغة العربية فى مناهج التعليم ممن أبعدوا القرآن الكريم عن مراحل الاعداد الاولى لتعلم الاطفال ؟

د ـ وكيف يمكن ان تسترجع فضل القرآن الكريم فى دعم اللغة العربية وتقويتها فى مراحل التعليم الاولى حيث يتم الربط فى وعى النشىء بين حقائق الدين والايمان وبين الوعى اللغوى بلغة القرآن الكريم

القسم السادس

القرآن الكريم والامومة

السؤال الاول : لماذا فى رايك كان اسم السيدة مريم ام المسيح عليه الصلاة والسلام هو الاسم الوحيد الذى ذكره القرآن الكريم من اسماء النساء ، مع فضل الكثيرات ممن لم يذكر القرآن الكريم اسماءهن ؟

السؤال الثانى :

ا ـ ماهى الحكمة فى ان الله سبحانه وتعالى حفظ لموسى فى محنة طفولته حق رضاعته من امه ، كما وفر له سبحانه فترة حضانته سليمة فى ظل رعاية امراة فرعون المؤمنة !؟

ب ـ ماذا يفيدنا هذا الدرس فى تشريع رعاية الاطفال بالامومة والايمان ؟

جـ ـ ماذا تعرف عن المخاطر التى تتعرض لها الطفوله بالتمزق فى مجتمعات الشرق والغرب بسبب الامومة الصناعية ، و « المتحدة » فى حضانات الاطفال بتلك المجتمعات .

السؤال الثالث :

ا ـ لماذا اعطى الله الامهات فى القرآن الكريم درجة فى الحقوق على الابناء فوق درجة الاباء ؟

ب ـ ما هو معنى الحكمة التى تقول « ان الطفل ينشأ بين ذراعى أمه قبل ان يستطيع السير على خطى ابيه »

جـ ـ ما هى اهم العلوم والمعلومات التى تسبق كل المعلمين الى غرسها ـ اذا اعدت لذلك ـ فى عقل الطفل ، وفى شعوره ولسانه ؟

السؤال الرابع : ايهما هو العامل على تقدم المسلمين ؟

ا ـ ان يختار الزوج الزوجة اساسا لتكون اما صالحة لاولاده .

ب – أم يختارها لتكون زينة لعينه ومتعة لشخصه .

ج – استدل على الرأى الصحيح من قصص القرآن الكريم وآياته .

السؤال الخامس : يقول الله تعالى فى حديثه الى نساء النبى ، وأمهات المؤمنين ، حديثا الى جميع المؤمنات المسلمات « **وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى** » ٣٣ : الاحزاب

أ – كيف ترى انه يمكن تطبيق هذه الاية على المؤمنات فى العصر الحديث ؟

ب – كيف يمكن التوفيق بين الامومة الملتزمة بالبيت وبين ضرورات العمل فى بعض الاحوال ؟

ج – ما رايك فى « الجاهلية الاولى » بالنسبة لالوان الجاهليات المعاصرة ؟ ..

د – ما اقتراحاتك لتدارك الخطأ وادراك الصواب مستدلا على اقوالك بآيات من القرآن الكريم ؟

شروط المسابقة :

١ – الاشتراك فى هذه المسابقة مقصور على العاملين بالشركة فقط على كافة مستوياتهم العلمية والعمليه .

٢ – على كل مشترك ان يوضح البيانات الاتية :

الاسم ثلاثيا – المؤهل – العمل القائم به – جهة العمل – الرقم الثابت – السن .

٣ – ان تكون اجابة كل سؤال فى ورقة مستقلة يكتب عليها اسم المتسابق فقط .

٤ – تستبعد الاجابات المتشابهة .

٥ – تستبعد كل اجابة غير موضح عليها البيانات المطلوبة .

٦ – يذكر المتسابق المراجع التى استعان بها وترسل الاجابات فى مظروف مغلق الى ادارة شئون العاملين «المركز الثقافى» ٣٤ شارع عدلى القاهرة فى موعد غايته النصف الاول من شهر ذى القعدة ١٣٩٦ هـ ..

الجوائز :

● تذاكر سفر ذهابا وعودة لاداء فريضة الحج مع تكاليف الاقامة للفائزين الثلاثة الاوائل ، ومع مصحف مفسر .

● خمسون جنيها مصريا لكل من الفائزين الرابع والخامس مع مصحف مفسر .

● خمسة وعشرون جنيها مصريا لكل من الفائزين السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر مع مصحف مفسر .

● مصحف مفسر لكل متسابق بعد ذلك .

دعـوة الى مفكرى الوطن العربى والعالم الاسلامى

لقد أكد هذا المشروع نجاحه على المستوى القومى والعالمى ، وليس ادل على ذلك « مثلا » من ان جامعة « ميتشجان » بالولايات المتحدة الامريكية والمراكز الاسلامية هناك قامت بترجمة وطبع الاعداد الثلاثة التى صدرت للاستفادة بها فى الدراسات القرآنية ، والاطلاع على مفاهم الفكر الاسلامى من ينبوعها الاول القرآن الكريم . وفى هذه المناسبة يسر الاستاذ عبد الفتاح عساكر رئيس المركز الثقافى بـ«المقاولون العرب – عثمان احمد عثمان وشركاه» والذى يتولى الاشراف على هذا العمل الخير ان يوجه الدعوة الى المفكرين فى الوطن العربى والاسلامى خاصة فى الجامعات والمراكز العلمية بان يسهموا بفكرهم فى الاجابة على موضوعات المسابقة حتى تثرى التجربة ، ويتنوع الغرس ، وسوف تكون هناك مكافآت مالية سخية للبحوث التى ترد للمركز الثقافى بالشركة .

كما يسر الاستاذ عبد الفتاح عساكر ان يطلب الى كل المهتمين بالدراسات القرآنية وخاصة قراء مجلة منبر الاسلام ان يبعث كل منهم باسمه ومهنته وعنوانه الى المركز الثقافى للمقاولين العرب « عثمان احمد عثمان وشركاه » ٣٤ ش عدلى بالقاهرة وذلك لموافاتهم بالبريد بالعدد الرابع فى هذا المشروع والذى يصدر فى نفس الوقت الذى يكون فيه عدد رمضان من مجلة منبر الاسلام بين يديك . ويقع العدد الرابع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط على ورق ابيض فاخر وغلاف مصقول طباعة اوفست بالالوان .

ومجلة منبر الاسلام وهى تحيى هذا العمل بالمشاركة فى الدعوة اليه تعد قارئها فى انحاء العالم ان تقدم فى عدد لاحق عرضا وتقييما للعدد الرابع من مسابقة « القرآن الكريم » والذى يشمل الموضوعات التالية :

● القرآن الكريم والايمان
● القرآن الكريم والاسرة
● القرآن الكريم والاقتصاد
● القرآن الكريم والدعوة
● القرآن الكريم والعمران
● القرآن الكريم واللغة العربية – والله الموفق –

الفن الإسلامي

الفن الاسلامي

تسميته
مناطقه
تاريخه
مدارسه الخمس

لقد سمي الفن الاسلامي تسميات مختلفة قد لا تكون دقيقة في دلالتها فمنذ زمن بعيد كان الاسم الشائع الذى عرف به هذا الفن هو «الفن العربى» ولكن الفن الاسلامي ليس عربيا اذ لم يكن للعرب حظ من الفن ايام جاهليتهم .

وسمي بالمغرب أو « فنا مغربيا» وهى تسميه غير صحيحة أيضا اذ وجد فن جميل فى المغرب وفى أسبانيا كذلك تسميته « فنا بربريا » ليست بتسمية صحيحة ، فقد اطلقها الاغريق أولا ثم الرومان ثم الصليبيون . اما تسميته «الفن الاسلامى» فهى أليق اذ تجمع بين المعنى الجغرافى والبعد التاريخى وواضح ان كلمة « اسلامى » تفيد نسبة الفن الى الاسلام .

الأستاذة سميحة الجبالي

مناطقه

وقد شاع هذا الفن فى مناطق كثيرة منها : الهند ، والعراق ، وبلاد فارس ، وسورية ، وفلسطين ، وتركيا ، ومصر ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، واسبانيا ، وصقلية .

الوقت

وقد بدأ الفن الاسلامي منذ موت سيدنا محمد « عليه الصلاة والسلام » وأخذ حظه من الرقى والتقدم ثم بدأ يضمحل فى القرنين السابع عشر فى بعض الاقطار ، والثامن عشر ايضا

التاريخ

كان العرب قبائل متفرقة يعبدون الاصنام فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة رسولا فى سن الاربعين - دعاهم الى الاسلام فلم يستجب له الا قليل وكذبه سائرهم ، وآذوه حتى هاجر هو والمؤمنون الى المدينة فى ١٦ يوليو سنة ٦٢٢ م . وهنا بدأت اول سنة هجرية فى التاريخ الاسلامى . وفى المدينة كون جيشا استطاع به ان ينتصر على الكافرين وشيد هناك اول جامع للصلاه والمدارسة والاجتماع لكل أمر عظيم ، ثم توفى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة فى الثالثة والستين من عمره .

وولى أمر المسلمين بعده خلفاؤه ، واستمر الغزو الاسلامى دون توقف . وكان توسع المسلمين فى فترة قصيرة

جزء من قبة ذات الوان مختلفة

من الزمان أكبر من توسع اليونان والرومان فى سبعة قرون . وفى القرن السابع . أصبحت بلاد فارس ، والعراق ، ومصر ، وتونس تحت راية الاسلام . وفى القرن الذى تلاه أى فى القرن الثامن ، اصبح تحت امرة الاسلام ، بلاد المغرب ، وأسبانيا ايضا ، كما اجتازت الفتوحات الاسلامية جبال « البرانس فى فرنسا وبرجونيا » مقاطعة فى شرق فرنسا وغيرها » .

وفى سنة ٧٣٢ م ـ أوقف « شارل مارتل » هذا الزحف الاسلامى ـ فتراجع العرب حتى جنوبى اسبانيا وبقوا فى الاندلس

المدارس الخمس

وهكذا امتد العالم الاسلامى من الهند شرقا الى اسبانيا غربا وترعرع الفن واصبحت له مميزاته المختلفة تبعا لاختلاف الاقطار وصار للفن الاسلامى خمس مدارس « المراد بالمدرسة هنا : كل نوع متميز من الفن تسير عليه جماعة من الفنانين وتؤثره على غيره أو يشيع فى قطر من الاقطار لكل منها خصائصها .

١ ـ مدرسة مصر وسورية .

٢ ـ مدرسة المغرب والتى تشمل تونس ، والجزائر ، والمغرب ، وأسبانيا .

٣ ـ المدرسة الفارسية .

٤ ـ المدرسة العثمانية والتى تشمل تركية واوروبا والاناضول

٥ ـ مدرسة الهند .

ومن الممكن اضافة المدرسة النورماندية فى صقلية الى هذه المدارس الخمس .

مدرسة مصر وسورية التاريخ والتطور

نبدأ فى التعرف على الفن الاسلامى فى هذين القطرين فى خمس فترات مختلفة .

أولا فترة الخلفاء « ٦٣٩ ـ ٩٧١ م »

هذه الفترة تشمل عصر بنى أمية وفترة من حكم العباسيين ٦٣٩ ـ ٨٧٠ م اى نحو قرنين من الزمان . حكم مصر فيهما أربعة خلفاء . وكانت العاصمة اذ ذاك دمشق ثم بغداد . وفى ٨٧٠ م قرر حاكم مصر » ابن طولون» استقلال مصر وسورية . وكانت الجوامع فى تلك الفترة تبنى على شكل مستطيل والاعمدة تقام على طراز رومانى ـ كما الحال فى جوامع « عمرو » و « ابن طولون » بالقاهرة أما جامع « عمر » فى الاردن فهو على طراز بيزنطى وقبته من الموازيكو

ثانيا ـ الفترة الفاطمية ١٩٧٢ ـ ١١٧٠ م

فى الفترة الفاطمية ، نرى فى العمارة فن القباب ، والبدء فى استخدام المدليات ولاول مرة فى الزخرفة . وكان حكام الدولة الايوبية ، اقوياء واعظمهم كان صلاح الدين ، وقد لقى الفن منهم رعاية وتقديرا ، فأخذت مدارس الفن تمتاز فى بناء المساجد وطرق زخرفتها .

رابعا : فترة المماليك « ١٢٥٠ ـ ١٥١٦ م »

لقد شهدت هذه الفترة تطور الفن الاسلامى فى مصر . فقد كان مهندسو البناء فى ذلك الوقت ذوى حظ وفير من الدقة والابداع وكانت مواد البناء موفورة فاصبح البناء فى تلك الفترة مميزا عن أى فترة أخرى .

ومن أهم مبانى تلك الفترة ، جامع « السلطان حسن » وجامع « برقوق » وجامع « قايتباى » .

خامسا : فترة الاتراك ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م

واستولى العثمانيون على مصر سنة ١٥١٧ م وجعلوها قطرا تركيا وجعلوا فيها « باشا » يحكمها باسمهم . وكل مبانى تلك الفترة تبرز كل صفات المدرسة

التركية . فهى مغطاة بقباب كبيرة مرتفعة قليلا كما نرى فى جامع الملكة « صوفيا بالإستانة وجامع « شنن باشا » ببولاق . وفى نفس الوقت بدأت سورية تميل الى ارتفاع المبانى كما حدث فى الخان الكبير، خان « أسد باشا » .

المميزات العامة للعمارة

كانت المبانى حتى نهاية القرن الثالث عشر تبنى بالاجر الاحمر مع الجبس المنقوش . ثم بدأ البناء بالحجارة والاجر يشيع . وفى الوقت نفسه ظهرفى الاقواس وافاريز الابواب استعمال الصنجة والالوان المختلفة . وواحدة من أهم الاعمال التى خرجت من القرن الخامس عشر هى البوابه العظيمه المغطاه بنصف قبه على جانبين بارزين . وعلى دعامات زخرفية مدلاة . تلك البوابة هى بوابه جامع السلطان « حسن » بالقاهرة .

أهم الابنية

كثير من الابنيه التى تنتمى الى تلك الفترة قد هدمت . ولكن أحدها والذى يعتبر أكثرها كمالا هو جامع السلطان « حسن » بالقاهرة « ١٥٣٦ م »

هذا الجامع قد بنى على شكل صليب وأذرع الصليب عباره عن عمارات تحيط بفناء يتوسط المسجد ، والواجهات ذات طابع جميل يلاحظ فى رسم الاعمدة وزوايا البوابه الكبيرة . وأما مادة الزخرفة فذات طابع معتدل - ولها افريز جميل من الكتابات الزخرفية المنقوشة .

وجامع « قايتباى » بالقاهرة « ١٤٣٦ م » يعتبر من أروع الاثار الاسلامية فى مصر ، واعظمها اتقانا ، يروعك بدقة فنه ، وابداع زخرفته المتناسقة مع كثرتها ، ويستهويك للتأمل فيه ، وكلما تأملت زدت به اعجابا

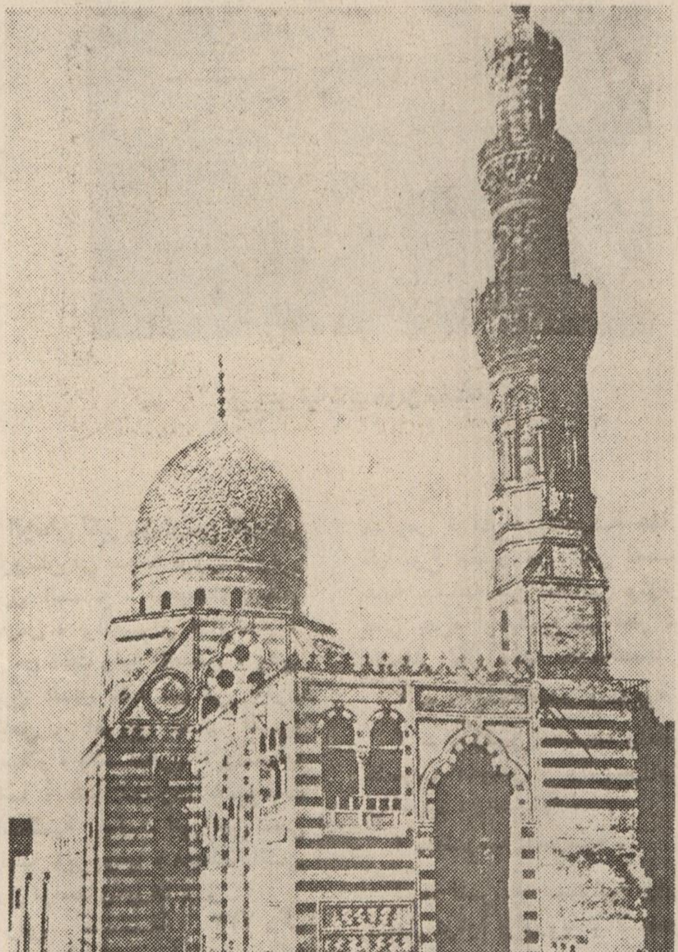

جامع قايت باى بالقاهرة

ومنارته تستدعى الانتباه مثل منارة جامع الازهر بالقاهرة . وهى مكونة من طابق مكون من ثمانية اضلع ، وفوقه طابق آخر مستدير . وهذا التقسيم المثمن لايظهر لانه محجوب بشرفة تحيط به مدعومة من اسفل بالمدليات . ونرى على واجهات هذا المسجد خصائص الفن الاسلامى فى مصر واتجاهاته .

أضرحة السلاطين

وأما بناء الاضرحة للسلاطين منذ أيام المماليك ، فقد بلغ المعماريون المصريون فيه مبلغا فائقا فى رقى العمارة . فنحن نعرف أنه من أجل بناء قبة لابد وأن تبنى على أساس مربع ثم بتطوير هذا المربع الى ضلع ذى ثمانيه اضلع او الى شكل دائرى — ولكن المسلمين المصريين كانت عندهم فكرة بناء القبة فى قلب مضلع بطريقة اخرى اخذت عن طريقة بناء القواعد المثلثة الاضلاع عندهم .

المساكن

كانت واجهات المساكن الاسلامية بسيطة جدا والشىء المميز فى المنزل الاسلامى هو «المشربية» . وهى نوع من الشرفات المغلقة من الخشب ولها استدارة صغيرة — وغالبا ما كنت تجد فى تلك المشربية « القلل » التى تملا بالمشروبات المختلفة . أما عن الزخرفة الداخلية فكانت الاسقف منقوشة نقشا مدهونا . وأشهر زخرفة داخلية للمنازل هى الزخرفة التى عرفت بالمدرسة المصرية والسورية . فكانت الافاريز غالبا ما تصنع من الخشب المؤلف كما فى المشربية وتكثر فيها المدليات شكل ٥ .

وسنتناول فى حديث قادم — ان شاء الله — المدرسة المغربية وما تلاها من مدارس ..

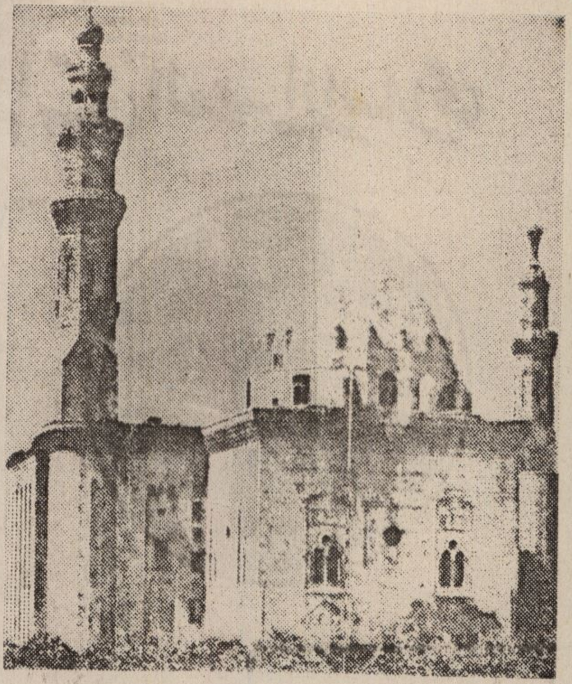

مع السلطان حسن بالقاهره

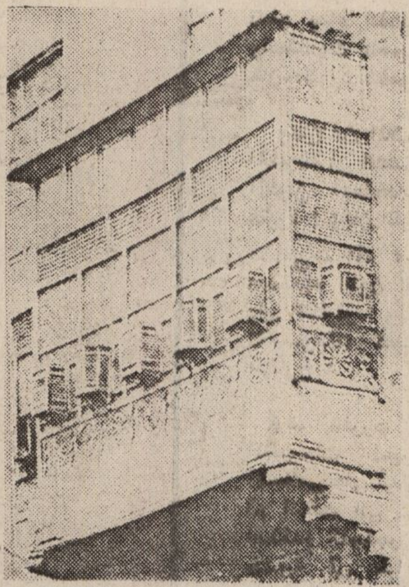

المشربيات فى القاهرة

طباعة المنسوجات فى العصر الإسلامى

وعلاقتها بطباعة المنسوجات المعاصرة

الأستاذة ثريا سيد أحمد نصر

نالت طباعة المنسوجات فى العصر الاسلامى اهتماما كبيرا وتقدمت تقدما عظيما وواضحا . وكانت الزخارف تعمل بماء الذهب والمداد الملون ، واستخدمت الصبغات المختلفة التى كان يستورد بعضها من الهند ·

وكان من الملاحظ على المنسوجات المطبوعة فى العصر الاسلامى أن عدد الالوان المستخدمة فى الزخارف كثيرة · وكان اللون السائد هو اللون الذهبى ، فقد عرف العرب كيفية استخدام اللون الذهبى في الطباعة وفي التطريز : وقد صدرت من هذه المنسوجات كميات كثيرة الى الخارج ·

وقد تطورت وتقدمت صناعة المنسوجات المطبوعة فى العصر الاسلامى على أيدى الصناع المصريين ثم انتقلت الى دول أوروبا · وقد استخدم النساجون المسلمون اختاما خشبية فى طباعة المنسوجات ، وكانت الطباعه بهذه الطريقة غالبا ما تغطى الثوب كله ·

وكان اللون الازرق من الالوان المفضلة عند العرب ، وقد استخدموا أيضا الالوان الاخرى مثل الاحمر والاصفر والبنى والاخضر والاسود والابيض ·

وتوجد قطع عديدة من المنسوجات المطبوعة من العصر الاسلامى بالمتاحف الاوروبية والامريكية ٠ فيوجد بمتحف المتروبوليتان بأمريكا ست قطع مطبوعة يرجع تاريخها الى العصر العباسى ، وكانت الزخارف المطبوعة عبارة عن اطارات بها كتابات دينية ، وزخارف نباتية بماء الذهب والمداد البنى الداكن ، وكانت طريقة الزخرفة تشبه الى حد ما الطريقة الزخرفية التى كانت تكتب بها عناوين السور القرآنية فى المصاحف التى كتبت فى العصر العباسى وهناك قطع أخرى من نسيج القطن مصبوغة بالطريقة الصينية والمعروفة باسم ايقات وهى طباعة النسيج طباعة سريعة من جانب واحد ويتميز هذا النوع من النسيج بالكتابات الكوفية المرسومة باللون الذهبى والزخارف محددة باللون الاسود

وبمتحف المتروبوليتان قطعة نادرة من نسيج الكتان المطبوع وهو نوع من الكتان الرفيع من القرن العاشر الميلادى ، وهذه القطعة عبارة عن رسوم أسود مطبوعة باللونين البنى والذهبى داخل مربعات محددة ، وقد استخدم الفنان فى طباعة هذه القطعة أختام مختلفة

وقد استخدمت هذه الاقمشة الجميلة المطبوعة فى العصر الاسلامى بدلا من استخدام الاقمشة الاخرى الغالية الثمن التى كانت ذات زخارف منسوجة أو مرطزة بخيوط الذهب

هذا ويوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة نماذج كثيرة للمنسوجات المطبوعة فى العصر الاسلامى ٠

وفى العصر الحديث أصبح الطابع الزخرفى فى ظل الالة لا يقف عند حد المهارة الطبيعية للفنان ، وانما أصبحت مهارة الفنان المصمم بزخارف الطباعة تتوقف أيضا على مدى معرفة الوسائل التكنولوجية والوسائل الحضارية التى سيستخدمها فى تصميماته ونوع الخامة التى تتناسب مع هذه الزخارف ٠ كذلك لابد له أن يعرف روح العصر الذى يعيش فيه والحالة الاجتماعية للافراد الذين يستخدمون تلك المنسوجات ٠ على أن تكامل عمل ونجاح المصمم يتوقف على قيمة فنه ومقدرته على الابتكار ٠ كما يتوقف أيضا على دراسة اجتماعية وميكانيكية تربطه بالمصنع وبالمجتمع ٠

ولقد كان للتقدم العلمى والكيميائى فى تصنيع الصبغات والتقدم الميكانيكى فى استخدام الالات والتقدم فى تجهيز المنسوجات أكبر الاثر فى رقى الانتاج وتنوع أصناف المنسوجات المطبوعة وتطورها فى القرن العشرين ٠

ومما لا شك فيه ان عنصر اللون فى المنسوجات المطبوعة من الاهمية بمكان فيجب أن يراعى فيه عدة اعتبارات لعل أهمها المجتمع الذى سيسوق فيه هذا النسيج
علما بأن اللون له دراسة خاصة

قطعة من نسيج الكتان المطبوع ٠
الزخارف عبارة عن أسود داخل مربعات ٠
مصر فى العصر الفاطمى (القرن ١٠ م)
محفوظة بمتحف المتروبولتيان بأمريكا

وواسعة يجب أن يكون مصمم الاقمشة المطبوعة على علم ودرايه بها ٠

ولا شك أيضا أن تصميمات الزخارف يجب أن تتناسب مع كل منسوج من حيث سمكه ونوعه ... الخ فيجب أن يكون ذلك على اسس علمية وفنية سليمة ٠ فيجب التعرف على المميزات التطبيقية لخامات النسيج المختلفة ، وفحص النسيج قبل الطباعة من حيث قوة تحمله على أن تختار ألوان الطباعه ذات الصبغات الثابتة ، وأيضا انتقاء التصميم المناسب ٠

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار الاتى عند استخدام المنسوجات المطبوعة :

١ ـ استخدام التصميمات الكبيرة على الاجسام الكبيرة فان هذا بلا شك يؤدى الى اتزان فى الشكل العام ٠

٢ ـ بعض التصميمات توحى بصفة عامة أن فيها خداع للبصر ٠ وعلى سبيل المثال :

التصميمات ذات الخطوط المستقيمة يمكن استغلال خطوطها ، فاستعمالها راسية على الاجسام يؤدى الى زيادة طول الجسم ، ويساعد بالتالى الى اطالة القامة القصيرة الى جانب تقليل مظاهر السمنة ٠

والعكس صحيح عند استخدام الخطوط العرضية ٠

٣ ـ استخدام التصميمات البسيطة لملابس الاطفال ٠

٤ ـ يجب أن يكون هناك تناسب بين الشخصية ونوع التصميمات التى تختار للملابس ، فلابد وأن تكون متناسبه مع السن ولون البشرة والقوام والوقت الذى ترتدى فيه ... الخ ، والا أتت الملابس خالية تماما من التعبير عن شخصية الفرد ، ولا تكون متسقة مع مظهره ٠

كما سبق واشرنا أن اللون والتصميم لهما المكانة الاولى فى طباعة منسوجات العصر الحديث ٠ لذلك يجب ان تكون التصميمات والالوان متوافقة مع الذوق الحديث والقيم السائدة فى كل عصر ٠

وهكذا تختلف المنسوجات المستعمله فى المدن عنها فى الريف ، والمنسوجات المستعملة فى أوقات العمل عن المنسوجات المستعملة على الشواطىء عن المنسوجات المستعملة فى السهرات ... الخ ٠

صوت القاهرة

إحدى شركات اتحاد الاذاعة والتليفزيون

تهنئ العالم الاسلامى بحلول شهر رمضان المبارك وتقدم

المصحف المجود والمرتل كاملين للشيخ محمود خليل الحصرى والشيخ عبد الباسط عبد الصمد

تسجيلات لمشاهير القراء

الشيخ محمد رفعت ـ الشيخ محمود على البنا الشيخ محمد محمود الطبلاوى ـ الشيخ محمد صديق المنشاوى ـ الشيخ محمد النادى الشيخ عبد العزيز على فرج ٠

- ابتهالات دينية للشيخ طه الفشنى
- مناسك الحج والعمرة والزيارة

اسطوانات وكاسيت

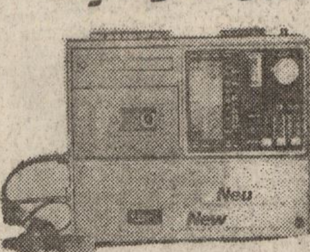

يباع بفروع الشركة وجميع محلات بيع الاسطوانات

صوت القاهرة

القصة

رجـل ومعـارك

عبد الله بن

المحارب الصائم دائما

الأستاذ محمد صالح

ونحن نستقبل شهر الصوم .. رمضان المبارك نستذكر سيرة أحد ابطال الصوم .. أحد أبطال العبادة والقنوت لله سبحانه

كان نموذجا من البشر يختلف عن والده عمرو بن العاص .

كان عمرو من أمكر دهاة العرب وأوسعهم حيلة .

وكان ابنه عبد الله من أزهدهم وأكثرهم عبادة وصوما .

سبق أباه الى الاسلام ، وتفتح قلبه لنور الله ، كان يحفظ الايات بمجرد نزولها على رسول الله .. وما أن اكتمل نزول القرآن حتى كان له حافظا .

وكان مع نزول كل من آياته ملبيا ومطيعا لما جاء فيها من نواهي وأوامر ..

كان يصوم النهار ويقوم الليل .. ولا يثبت على شيء من أمور الدنيا ما أمكنه دائما مع الله يذكره بلسانه وبقلبه مسبحا بحمده ..

عمرو بن العاص

أما اذا جاء أوان الحرب وحمل السيف فى سبيل الله ودينه ، كان من اوائل المجاهدين.. يتقدم الصفوف لمحاربة المشركين متمنيا الشهادة .. وتنتهى المعركة ليعود الى المسجد ذاكرا لله صائما النهار وقائما الليل .

ويعرف الرسول صلوات الله عليه أسلوب عبد الله بن عمرو فى الحياة فيرسل اليه يستدعيه ويطلب منه ان يترفق بنفسه فى هذا الصوم الدائم . فطلب منه أن يصوم ثلاث أيام فقط من كل شهر .

فيقول عبد الله ، انه يطيق اكثر من ذلك .
فيقول له النبى : حسبك أن تصوم من كل جمعة يومين

وعندما يرد عبد الله بأنه يطيق أكثر من ذلك
يقول له الرسول « **فهل لك اذن فى خير الصيام صيام داوود : كان يصوم يوما ويفطر يوما** »

وحول تلاوة عبد الله بن عمرو للقرآن كله فى ليلة واحدة ، يقول له النبى « علمت أنك تجمع القرآن فى ليلة وانى اخشى ان يطول بك العمر وان تمل قراءته »
ويطلب منه انه يكفيه أن يتم القرآن فى شهر ..
ويرد عبد الله بأنه يستطيع أكثر ..
فيطلب منه النبى ان يقرأه كل ١٠ ايام مرة
ويرد عبد الله بأنه يستطيع أكثر .
فيطلب منه أن يقرأه فى كل ثلاثة أيام مرة ..
ثم قال صلوات الله عليه لعبد الله بن عمرو : « انى أصوم ، وأفطر وأصلى ، وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

حدث ذلك فى حضور عمرو بن العاص ثم أخذ الرسول يد عبد الله ووضعها فى يد عمرو ابن العاص وقال له « أفعل ما امرتك به . واطع اباك ».

وعاش عبد الله عمره الطويل لا ينس لاحظة واحدة قول رسول الله له « افعل ما أمرتك به وأطع أباك » .

.....

ومرت شهور واعوام ،
وبدأت احداث الفتنة

رفض معاوية والى الشام وحاكمها ان يبايع عليا بعد مقتل عثمان

وكان طبيعيا من على كرم الله وجهه أن لا يدع هذا الخارج على خلافته وحقه فيها ..

وقامت الحرب بين المسلمين ، وجاءت موقعة صفين بعد احداث معركة الجمل .. وكان عمرو ابن العاص قد اختار منذ البداية جانب معاوية ..

وأراد عمرو بن العاص ان يعزز معاوية بجماهير المسلمين ولانه يعرف مدى حبهم لابنه عبد الله وثقتهم فى دينه فقد طلب من ابنه عبد الله ان يخرج معه فى معركة صفين ، وايضا لان عمرو كان لا يزال يذكربطولةابنهعبدالله فى منقع الشام ومعركة اليرموك ..

وكان اسلوب الطلب الذى تقدم به عمرو الى ابنه عبد الله ينم على منتهى الدهاء ..

فقد استدعى عمرو ابنه وطلب منه ان يتجهز للخروج معه وجيش معاوية الى صفين .

وعندما رد عبد الله مستنكرا ذلك ومذكرا اياه بأن رسول الله طلب منه أن لا يضع السيف على رقبة مسلم ، القى عمرو بكل دهائه .. قال لابنه : اتذكر يا عبد الله آخر عهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ بيدك فوضعها فى يدى وقال لك أطع أباك ، .

وانى لاعزم عليك الان أن تخرج معنا وتقاتل

وخرج عبد الله طاعة لابيه ولكنه انتوى الا يحمل سيفا ولا يقاتل احدا من المسلمين .

واحتدمت المعركة وعبد الله حاضر لها ولكن بلا سيف ويحدث أمر يدفع بعبد-الله الى أن يعلن بصوت عال انه ضد هذه الحرب ومعاوية ..

فقد سقط الصحابى الشيخ الجليل عمار بن ياسر الذى كان يقاتل مع الامام على فسقط شهيدا بأيدى رجال معاوية .. ومع سقوطه صريعا تذكر عبد الله بن عمرويومقال رسول الله عن عمار وهو يشترك فى بناء مسجد المدينة ، ويح ابن سميةتقتلهالفئةالباغية .

ما أن سمع عبد الله ان الشيخ الجليل سقط صريعا حتى انتفض صائحا فى رجال معاوية : او قد قتل عمار .. وانتم قاتلوه .. اذن فانتم الفئة الباغية

وانطلق عبد الله فى جيش معاوية يذكر الرجال بما قاله الرسول منذ أكثر من ٢٠ سنة بأن عمارا ستقتله الفئة الباغية .

● سمع معاوية بما يقوله عبد الله للمحاربين .. فأرسل يستدعيه فى حضور أبيه عمرو .. وقال معاوية لعمرو : الا تكف عنا مجنونك هذا ؟

فقال عبد الله «ما أنا بمجنون ، ولكنى سمعت رسول الله يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية » .

فقال له معاوية : لم خرجت معنا اذن ؟

فرد عبد الله : لان رسول الله امرنى بأن .. اطيع ابى ، وقد اطعته فى الخروج ، ولكنى لا اقاتل معكم »

وبينما هما يتحادثان وعمرو بن العاص معهما ، اذا بمن يستأذن لدخول قاتل عمار .

فيرد عبد الله بن عمرو صائحا : ائذن له ، وبشره بالنار .. ثم يلتفت الى ابيه قائلا : « لولا ان رسول الله امرنى بطاعتك..ما سرت معك هذا المسير

وكادت دعوة عبد الله بن عمرو ان تنجح وكاد جيش معاوية ان يتوقف عن القتال . لولا دهاء عمرو فقد وجد حيلة راح يقولها للناس : وهى : نعم ان رسول الله قال لعمار : ذات يوم : تقتلك الفئة الباغية ، ونبوءة رسول الله حق .. وهاهو عمار قد قتل .. فمن قتله ؟ . لقد قتله الذين خرجوا به وحملوه معهم الى القتال !

حيلة اشاعها منطق معاوية وعمرو . لم يتدارسها الرجال فى ساحة المعركه فعاد الالتحام « القتال ثانيه بين الجيشين .

وعاد عبد الله .. الى المسجد .. الى الصلاة ».. والصوم

وعاش بقية حياته نادما باكيا كلما تذكر موقعة صفين .. كان يقول دائما : مالى ولصفين .. مالى ولقتال المسلمين :

فى يوم سأل الحسين بن على ، عبد الله بن عمرو معاتبا : « ما الذى حملك على الخروج مع معاوية

فيرد عبد الله : ذات يوم شكانى عمرو بن العاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : ان عبد الله يصوم النهار كله ،ويقوم الليل كله ، فقال لى الرسول : « ياعبد الله صل ونم . وصم . وافطر . واطع أباك » ، ولما كان يوم صفين اقسم على ابى ان اخرج معهم ، فخرجت ، ولكن والله ما اخترطت سيفا ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت بسهم .

هذه هى بعض ملامح عن الصحابى الجليل ، عبد الله بن عمرو بن العاص الذى لقى ربه شيخا وهو يتضرع اليه فى الصلاة مسبحا بحمده .

الطب في الإسلام

الطب الوقائى بين الهدى النبوى

أنه لمن المبهر حقا والمثير للاعجاب حقيقة هو الاعجاز العلمى الذى ورد فى احاديث نبى الامة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد سبقت هذه الاحاديث العلوم ونظرياته بمئات السنين ورسمت للبشرية جمعاء طريق الخير وطريق السعادة والرفاهية وذلك لان الاسلام قد اهتم بالمحافظة على صحة المسلمين وعلى حيويتهم حتى يستطيعوا المشاركة فى بناء صرح حضارتهم ولعل المنهج الذى سار عليه هو ان الوقاية خير من العلاج ٠

ففى قول رسول الله الكريم صلوات الله وسلامه عليه (**اتقوا الملاعن الثلاث**)

البراز فى الموارد « أى موارد المياه الراكدة » وقارعة الطريق والظلال » ٠ صدق رسول الله ٠ بتلك الكلمات الوجيزة عبر عن معانى كثيرة شملت جزءا كبيرا من الطب الوقائى وليس هذا ببعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو معلم البشرية لان علمه من عند الله سبحانه وتعالى ـ وهو العليم الخبير ٠ وكما ذكرنا فيما سبق أنه تأدية لواجبنا فى حمل لواء الاسلام فى الدعوة اليه والتبشير به بالطريقة المثلى التى تتلاءم وروح العصر ٠ قد قمنا بمشيئة الله تعالى بشرح بعض من جزء من الحديث الشريف « **اتقوا البراز فى الموارد** » فقد شرحنا فى أسباب نهيه صلى الله عليه وسلم لذلك العمل هو منع تلوث المياه ببويضات طفيل البلهارسيا المعوية وبويضات الدودة الكبدية والهتروفيس هتروفيس والداى فيلوبوثريم لاتم ٠ وقد قمت فى العددين السابع والثامن من مجلة منبر الاسلام الغراء سنة ١٣٩٦ هـ السنة ٣٤ ٠ بشرح مستفيض عن دورة حياة طفيل البلهارسيا المعوية وعن اهم مضاعفاته وعن الدودة الكبدية والهتروفيس هتروفيس ٠ ويأتى بنا الحديث الان عن طفيل آخر يصيب الانسان ومن أسباب اصابته هو تلوث المياه بواسطة البراز المعوى على البويضات الداى فيلوبوثريوم لاتم :

التوزيع الجغرافى : روسيا ـ بروسيا ـ رومانيا ـ بولندا ـ فنلندا ـ شمال ايطاليا ٠ أمريكا ـ مناطق البحيرات فى افريقيا ٠

الدكتورة
ابتسام عبد الحليم

الشكل الظاهرى :

دودة شريطية الشكل طولها من ٣ ـ ١٠ أمتار وتحتوى على الراس الذى يحتوى منخفضين طويلين أحدهم أمامى والاخر خلفى وتليه الرقبة التى تكون القطع فيما بعد ٠ والقطع خنثى ولايوجد اختلاف فى الاجناس ٠

البويضة : لها غطاء وهى بيضية الشكل ٧٠ فى ٤٥ ميكرون ـ صفراء اللون ٠

دورة الحياة :

الدودة البالغة تعيش فى الامعاء الدقيقة للانسان وهى مثبتة بواسطة المنحنيات الى الغشاء المخاطى المبطن للصائم والمعى وتضع البويضات التى تذهب الى تجويف الامعاء وبالتالى تخرج مع البراز ٠ وقد سجل أن الدودة البالغة تعطى مليون بويضة فى اليوم ٠ وتكون البويضات غير ناضجة عند نزولها مع البراز فتحتاج من ١ ـ ٣ أسابيع فى المياه العذبة لكى ينمو الجنين بداخل البويضة ثم يفقس ويسمى فى هذا الحال « الكوراسيديوم » وهو مستدير الشكل ٨٠ ـ ٩٠ ميكرون فى القطر مغطى بواسطة الاهداب وله ستة خاطفات وحياته من ١٢ ـ ٢٤ ساعة ثم يعدم فى الماء الى أن يبلع بواسطة الوسيط المناسب « برغوت الماء » ٠ وبداخل امعاء « السيكلوب » نجد أن « الكوراسيديوم » يفقد أهدابه ويخترق امعاء السيكلوب ليقع فى فراغ الجسم وينمو هذا الى « اليرقة الاولية البروسيرلويد وهى مستطيلة الشكل ١٠٠ ـ ٥٠٠ ميكرون ولها ذيل مستدير وستة خطافات وتصل الى تلك المرحلة فى مدى اسبوعين الى ثلاثة أسابيع وتبلغ بعض أنواع من الاسماك مثل « السالمون » برغوث الماء بما قد يحتويه من البروسيركويد ويهضم فى أمعائه ويخرج البروسيركويد ويخترق طريقه الى مختلف أنسجة السمك الى أن يستقر أخيرا فيما بين العضلات وينمو الى « البليروسيركويد اليرقة الثانوية وهى مستطيلة الشكل تشبه الشريط ١٥ ـ ٢٠ مم وهى بيضاء اللون ويعتبر هذا هو الطور المعدى للانسان وعندما يتناول الانسان السمكة المعدية التى لم تنضج جيدا كالسمك المدخن فيثبت البليروسيركويد نفسه بالغشاء المخاطى المبطن للامعاء الدقيقة بواسطة البوثريا ويبدأ فى النمو وتكوين القطع ويبدأ البيض فى الظهور فى البراز بعد ٥ ـ ٦ أسابيع بعد ان يأكل السمك المصاب ٠ وفى مصر حيث لا يكون الطفيل متوطنا فان السمك المستورد هو الذى يقوم بالعدوى ٠

التغيرات المرضية :

أولا : بسبب الطفيل نوعا معينا من فقر الدم فقر الدم يسمى « الداى بوثريوكفاليك أنيميا » وهى نوع من الانيميا الخبيثة وسبب هذا هو تأثير أنواع معينة من السموم المفرزة بواسطة الطفيل كما قد يستهلك الطفيل كمية كبيرة من فيتامين بـ ١٢ ٠

ونظريات الطب الحديثة !

تشخص المرض : بواسطة وجود البويضات » فى براز المصاب » ·

ثانيا : الضعف العام وخصوصا فى المصابين بسوء التغذية الشعور الدائم بالجوع – عسر الهضم – مغص – اسهال – امساك – نزلة معوية معدية ·

الوقاية :

منع الانسان من التبرز فى المياه مباشرة وألا تلقى الفضلات فى الماء – طهو السمك طهوا جيدا · بعد هذا يصل بنا المطاف الى التحدث عن طفيل يصاب به الانسان عن طريق تبرز الانسان فى قارعة الطريق ويأتى هذا تفسيرا لجزء من الحديث « اتقوا البراز فى قارعة الطريق » وهو وقاية للانسان من الاصابة بديدان الاسكارس ·

التوزيع الجغرافى :

يوجد فى اماكن متفرقة من العالم وبخاصة فى الاماكن الدافئة التى تهمل الطريقة المثلى لتصريف الفضلات ·

الشكل الظاهرى :

اسطوانية الشكل – طويلة وتتميز الى الذكر والانثى

الذكر ١٥ – ٢٥ سم فى ٤ر سم

الانثى ٢ – ٣٥ سم وتكون طرفيها مدبب ·

دورة حياة دودة الاسكارس :

يعيش الطفيل فى الامعاء الدقيقة للانسان فى فراغ الامعاء وتقوم بتثبيت نفسها فى الغشاء المخاطى المبطن للامعاء الدقيقة بواسطة الشفاه مما تؤدى الى تقرحها · وتعتمد دودة الاسكارس فى غذائها على محتويات الامعاء الدقيقة من الغذاء المهضوم بعد التلقيح نبدأ الانثى فى وضع البويضات التى تنزل مع براز المصاب الى الارض حيث تمكث بعض الوقت لكى تنضج · والبويضه بيضية الشكل أو مستديرة وكل بويضة لها عطاءان الغطاء الداخلى أملس اما الخارجى فمتعرج وحجم البويضه ٧٥ فى ٦٠ ميكرون وينضج الجنين داخل البويضة عندما يجد الجو الملائم من الحرارة والرطوبة ويحدث نضوجه خلال أسبوعين الى ثلاثة أسابيع فى الظروف المواتية وقد قدر أن بويضات الاسكارس يمكن ان تعيش وتحدث العدوى الى ٥ر٦ سنوات ·

وعندما تكون الظروف مواتيه فان الاجنة بداخل البويضات تنضج وتتحول الى اليرقة بعد عشرة الى أربعة عشر يوما وبعد أسبوع اخر فان اليرقة بداخل غشاء البيضة تنمو الى اليرقة المعدية · وعندما يبتلع الانسان تلك البويضه مع المياه أو مع الخضروات وتلوث أيديهم باللعب فى قارعة الطريق « بالتراب » · فانها تفقس فى الامعاء الدقيقة وتخرج منها اليرقة ·

من الجدير بالذكر أن البويضات التى تنزل مع البراز ليست معدية فى الحال وذلك لعدم احتوائها على اليرقة المعدية ولكنها تحتاج الى فترة – الى فراغ الامعاء الدقيقة وتخترق الغشاء المخاطى المبطن له وتذهب الى النسيج الذى تحته ومنه الى الاوعية الليمفاوية والشعيرات الدموية ·

وتجد طريقها الى الدورة الدموية الى الناحية اليمنى من القلب ثم الى الشريان الرئوى ثم الى الرئة وتخترق اليرقة جدار الشعيرات الدموية الى الحويصلات الهوائية وتصل الى هذا المكان بعد عدة أيام من العدوى وتمكث هناك بضعة أيام تنسلخ مرتين فى خلال خمسة أيام ثم تبدأ رحلتها الى مستقرها الاخير · فتذهب الى الشعب الرئوية الصغيرة ثم الى الشعب الرئوية الكبيرة ثم الى القصبة الهوائية ولسان المزمار وتبلع وتنزل عن طريق المرىء الى المعدة ثم الى الامعاء الدقيقة فتستقر هناك وتنمو الى الدودة البالغة أما ذكرا او أنثى وبعد الانسلاخ الرابع فى الامعاء الدقيقة تصبح بالغة وتتزاوج وتبيض ·

التغيرات المرضية :

أولا : عند مرور اليرقان فى الرئة فان النزيف يحدث فى الشعيرات الدموية عند نقطة ترك اليرقة للسغرة الدموية وسقوطها فى الاكياس الهوائية · فعندما تكون اليرقات قليلة العدد فاننا نجد تغيرا طفيفا اما عند حدوث عدوى شديدة قد يؤدى ذلك الى الالتهاب الرئوى ·

ثانيا : التاثير السام بواسطة ما تفرزه الدودة الحية أو الميتة فيؤدى الى حدوث الحساسية والربو والارتكاريا كما يزيد عدد الاوزوينوفيل ويحدث ارتفاع فى درجة الحرارة ويحدث اضطرابات عصبية وأرق وتشنجات ·

ثالثا : قد تذهب الدودة الى القنوات المرارية فتحدث نوع من اليرقان الانسدادى ويؤدى الى المغص المرارى وقد ذهب الى خلايا الكبد ويحطم خلاياه ·

قد تنجح الدودة فى اختراق جدار الامعاء فتذهب الى البريتون وتحدث التهابا بريتونيا كما قد تؤدى الى أعراض التهاب الزائدة الدودية · فى حالة العدوى بكميات كبيرة قد يحدث انسدادا نتيجة لوجود كتلة كبيرة من ديدان الاسكارس ·

الاغراض :

مغص – قيء – اسهال أو امساك ·

ومما هو جدير بالذكر أن الاسكارس كثير الحدوث فى الاطفال وذلك نتيجة لعاداتهم القذرة فى التبرز فى فى الطريق حول منازلهم ولعبهم فى نفس المكان مما يعرضهم للعدوى ·

الوقاية : غسل الخضروات النيئة جيدا · عمل نوادى نظيفة للاطفال · غسل الايدى قبل الاكل ·

مما سبق فقد صدق رسول الله فى نهيه المسلمين عن التبرز على قارعة الطريق · وندعوا الله سبحانه وتعالى أن ينير لنا طريق الايمان وأن يضىء لنا طريقنا بنبراس من هديه ·

« للحديث بقية ان شاء الله تعالى »

١ = ٣

وهذا صحيح
ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية
المستثمرة تتضاعف إلى أكثر من
ثلاثة أضعافها

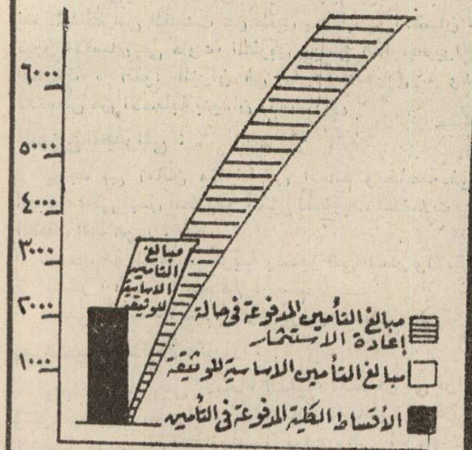

هذا هو أكبر استثمار تأميني
توفره لك
الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق
وارسله إلى :

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و ٢٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠
الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨
القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية : ص.ب ٤٤٦

الاسم ------------------------------

العنوان ------------------------------

شاهندة

شخصيات إسلامية

الامام علي رضي الله عنه

الأستاذ توفيق أبو علم

فى أواخر عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وعندما ساءت الحالة ، جمع الخليفة بعض وزرائه للتشاور فى اصلاح الحال ، ولم يكن الامام على رضى الله عنه بين المدعوين ، بل كان المدعوون الى الاجتماع من مخالفيه وهم : معاوية وعمرو بن العاص وعبد الله بن ابى سرح وعبد الله بن عامر ، وهم الولاة الذين شكاهم على وجمهرة الصحابة ، قال لهم الخليفة الثالث : « ان لكل امرىء وزراء ونصحاء، وانكم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى، وقد صنع الناس ماقد رأيتم ، وطلبوا الى ان اعـــزل عمالى ، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون ، فاجهدوا رأيكم واشيروا على » •

وكان رأيهـم جميعـا رأيـا فيـه الغرض والمصـلحة الشخصية • ولننظر الى المحاورة التى دارت ، والى التناقض فى كلام عمرو بن العاص كنموذج لما كان يجرى فى هذا الاجتماع •

قال عمرو بن العاص وهو بين السخط على ولاية فاتها ، والطمع فى ولاية يرجوها : « أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون ، فاعتزم أن تعدل ، فان أبيت فاعتزم أن تعتزل ، فان أبيت فاعتزم عزما وامض قدما » •

ثم أسمع الى قوله بعد أن تفرق المجتمعون وانفرد بالخليفة وحده ، وقال : « والله يا أمير المؤمنين لانت أعز على من ذلك ، ولكنى علمت انه سيبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولى فيثقوا ، فأقود اليك خيرا ، وأدفع عنك شرا •• » •

هذا هو جو الاجتماع الذى عقد عند الخليفة ، وهؤلاء هم الوزراء ومن ورائهم مروان بن الحكم ، وهو كفيـل بأن يمنع **كل ناصح أمين عن الخليفة ، وفى مقدمتهم الامام على رضى الله عنه •**

وتطورت الحالة من سىء الى أسوأ ، وكانت ثورة ، وكان الثوار قد وفدوا الى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة ، وبلغ السيل الزبى . كما قال عثمان رضى الله عنه ، فكتب الى على يذكر له ذلك ويقول : « **ان أمر الناس ارتفع فى شأنى فوق قدره ، وزعموا انهم لا يرجعون دون دمى ، طمع فى من لا يدفع عن نفسه •**

فان كنت مأكولا فكن خير آكلى
والا فادركنى ولما أمزق

وانتهت الثورة على الخليفة الثالث رضى الله عنه بمقتله ، ولم يرحمه الثوار ، وحاصروه فى داره أربعين يوما ، ولن نتعرض فى هذه العجالة الى الاسباب التى أدت الى قتله ، ولكن الثوار لم يذكروا له أياديه البيضاء على الاسلام والمسلمين ، ولم يذكروا له أن جيوشه صانت هيبة الدولة الاسلامية بعد مقتل الفاروق عمر ، ولم يذكروا له أنه جمع المصحف الشريف على ترتيبه الحالى •

وعندما نقل الخبر الى المسجد ، وفيه كان على جالسا فى نحو عشرة من المصلحين راعه منظر القادم وسأله " ويحك ! وما وراءك ؟ قال : والله لقد فرغ من الرجل • فصاح به : تبا لكم آخر الدهر ! واسرع الى دار الخليفة المقتول فلطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحه وعبد الله بن الزبير وجعل يسأل ولديه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ فأجاب طلحة : لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن ، لو دفع مروان ما قتل ، ولكنه ... وكان من رأى الامام على أن يقاتل دفاعا عن الخليفة المحصور ، واستأذن امير المؤمنين عثمان فى القتال ولكنه رفض خشية أن تقوم بين المسلمين حرب أهلية ، فاثر أن يضحى بنفسه ولا يكون سببا فى حرب شعواء واجتمع المهاجرون والانصار ، ومعهم الثوار وبقية الجماهير • ومن بينهم طلحة والزبير • فهرعوا الى الامام على وهو معتزل فى داره ، فأحاطوا به من كل جانب ، وقالوا له : « **يا أبا الحسن ان هذا الرجل قد قتل ، ولابد للناس من امام ، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الامر منك • لا أقدم سابقة ، ولا أقرب قرابة من رسول الله • فقال الامام : لا حاجة لى فى أمركم ، فمن اخترتم رضيت به ، ولا تريدونى ، فانى لكم وزيرا خير لكم منى أميرا • فقالوا : والله لا نعلم أحدا أحق بها منك ، وما نختار غيرك ، فقال الامام : دعونى والتمسوا غيرى » ، ثم أعرب لهم عن السر فى توقفه فى قبول الخلافة قائلا : « ايها الناس ، انا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول » وقال ايضا : « انى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وان تركتمونى فانما انا كأحدكم • ألا وانى من أسمعكم واطوعكم لمن وليتموه » • ويصف أمير المؤمنين على بن أبى طالب اصرار المجتمعين على بيعته واقبالهم عليه بقوله : « فما راعنى الا والناس كعرف الضبع ينثالون على من كل جانب ، حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاى مجتمعين حولى كربيضة الغنم » •**

وأخيرا قال لهم : « ان بيعتى لا تكون سرا ، ولكن ائتوا الى المسجد ، فمن شاء أن يبايعنى بايعنى » • وخرج الى المسجد فبايعه الناس ، وكان أول من بايعه طلحة بن عبد الله ، فنظر اليه رجل يعتاف يقال له حبيب بن ذؤيب **فقال : « انا لله وانا اليه راجعون ! أول يد بايعت يد**

شلاء ، لا يتم هذا الامر » • وسرعان ما نكث بها العهد ، ثم الزبير ، ثم بقية الناس من المهاجرين والانصار •

والرواة مختلفون فى بيعة الامام بعد قتل الخليفة ، فقوم يقولون أن عليا بويع اثر قتل عثمان مباشرة ، وقيل أن المدينة ظلت أياما وليس للناس فيها عليفة ، وانما يدبر امورهم فيها الغافقى بن حرب ، أحد زعماء الثورة ، على أنه قد تمت البيعة للامام فى المدينة بعد مقتل عثمان بخمسة أيام فى رواية ، وبثمانية أيام فى روايات أخرى •

وقد عمت المسرة جميع المسلمين ، وقد وصف الامام مدى سرور الناس ببيعته بقوله : « **وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياى أن ابتهج بها الصغير ، وهدج اليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت اليها الكعاب** » •

والخلاصة ان البيعة جاءت الى أمير المؤمنين منقادة راغمة ، ولم يكن غيره يصلح لها ، ولذلك كان كرم الله وجهه صادقا كل الصدق حين قال : « **ان العامة لم تبايعنى لسلطان غالب ولا لعرض حاضر** » • ومن العجيب أن يتهم معاوية الامام عليا بقتل عثمان رضى الله عنه وقد بذل كل جهد الحسن والحسين أن يقفا مدافعين عنه بسيفيهما مع انه كان مستطاع فى نصرته وحمايته ، حتى انه عهد الى ولديه يضن بهما خشية ان ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الارض ، ولم يحرك معاوية ساكنا فى نصرة عثمان عليه السلام ، وكان معاوية متمكنا فى ولايته بالمال والرجال ، وكان حاضرا الاجتماع الذى عقده أمير المؤمنين عثمان من وزرائه ومستشاريه للتفكير فى طلب الثوار •

بعد البيعة :

كانت البيعة يوم الجمعة ٢٥ من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة •

واتبع الامام من اليوم الاول فى خلافته أحسن السياسات التى كان له أن يتبعها ومنذ اللحظه الاولى أخذ فى تجنيد قوى الخلافة الدينيه التى لا قوة له بغيرها ، فعزل الولاة : الذين استباحوا الغنائم المحظورة ، وتمرغوا بالدنيا وطمعوا وأطمعوا رعاياهم فى بيت مال المسلمين ، وأثاروا على عثمان سخط السواد وسخط الفقهاء المتحرجين والحفاظ الغير على فضائل الدين ، ورد القطائع التى وزعتها بطانة عثمان بين المقربين وذوى الرحم فصرفتها عن وجوهها التى جعلت لها من اصلاح المرافق واغاثة المفتقرين اليها على شرعة الانصاف والمساواة ، ورجع الى خطة ابى بكر وعمر فى تجنب الصحابة الطامحين الى الامارة فتنة الولايات مخافة عليهم من غوايتها وابعادا لهم من دسائس الشيع والعصبيات ، ولم يوسع الامام للناس فى العطاء ولم يمنحهم النوافل من المال ولم ييسر لهم أمورهم ، وانما استأنف فيهم سيرة عمر من حيث انقطعت ، ومضى بهم فى طريقه من حيث وقف ، وفرق الامام عماله الى البلدان ، وكتب الى معاوية يستقدمه ، وعند فراغه من الكتاب جاء المغيرة بن شعبة فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : كتاب كتبته الى معاوية ، وأريد أن أبعث الرسول » فقال : « يا أمير المؤمنين عندى لك نصيحة فاقبلها منى » • قال : « هات » ، قال : « انه ليس أحد يتشغب عليك غير معاوية ، وفى يده بلاد الشام ، وهو ابن عم عثمان وعامله ، فابعث اليه بعهده تلزمه طاعتك ، فاذا استقرت قدماك رأيت فيه رأيك » • فقال على : لا والله لا يرانى الله مستعينا بمعاوية أبدا ، ولكن الى ما نحن فيه ، فان أجاب والا حاكمته الى الله » • ثم خرج المغيرة ، فلما كان الغد رجع ثانيا ، وقال يا أمير المؤمنين انى قد كنت جئتك بالامس وأشرت عليك بما اشرت وخالفتنى ، ثم انى رأيت ليلتى هذه أن الرأى ما رأيت فأرسل الى معاوية الكتاب الذى كتبت ، فان قدم والا فاعزله ، فقال : أفعل ان شاء الله تعالى •

فخرج المغيرة بن شعبة وفر الى مكة ، وكان يقول : نصحت عليا فلما لم يقبل غششته •

ويقول ابن عباس : « اتيت عليا رضى الله عنه بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به ، فقلت له بعد أن خرج : ما كان يقول لك هذا ؟ فقال : قال لى مرة قبل مرته هذه ، ان النصيحة أن تقر معاوية على عهده وابن عامر وعمال عثمان حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس ، ثم أعزل من شئت منهم وأبق من شئت منهم ، فأبيت عليه ذلك ، ثم عاد الى الان ، فقال : انى الان رأيت أن تصنع الذى رأيت أن تعزل من تختار وتقر من تثق به • قال ابن عباس : فقلت لعلى : اما المرة الاولى فقد نصحك ، وأما المرة الثانية فقد غشك » قال : وكيف نصحه لى ؟ قلت : لان معاوية وأصحابه اهل دنيا ، فمتى أثبتهم على عملهم سكنوا ، ومتى عزلتهم يقولون أخذ الامر بغير حق ، وهو قتل صاحبنا عثمان ، مع أنى لا آمن عليك من طلحة والزبير » • وكان طلحة والزبير قد طلبا من الامام ولاية العراق واليمن فكان رد على عليهما : « بل تلقيان معى لانس بكما » • وكان ابن عباس قد أشار على الامام بتولية الزبير البصرة وتولية طلحة الكوفة ، فكان رد الامام على ابن عباس : « **ويحك أن العراقين بهما الرجال والاموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلان السفيه بالطمع ، ويضربان الضعيف بالبلاء ، ويقويان على القوى بالسلطان ، ولو كنت مستعملا احدا لضره أو نفعه لاستعملت معاوية على الشام ، ولولا ما ظهر من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى** » •

ولم تمض أيام معدودة على مبايعة الخليفة الجديد حتى انتظمت صفوف الحجاز كله له او عليه ، فكان معه جميع الشاكين لاسباب دينية أو دنيوية ، وكان عليه جميع الولاة الذين انتفعوا فى عهد عثمان وجميع الطامعين فى الانتفاع بالولاية والاموال العامة ، وحالت الخلافة الجديدة بينهم وبين ما طمعوا فيه ، وعلى رأس هؤلاء طلحة والزبير ، وكان أمير المؤمنين على بن ابى طالب يميل دائما الى مفاتحة الخارجين عليه بالمهادنة أو المصالحة ، ويفضل اقناع خصمه قبل قتاله ، فنادى الزبير من بين الصفوف وقال له : أتذكر أنك يوما صافحننى وعانقتنى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لك : اتحبه ؟ فقلت : كيف لا أحبه وهو أخى وابن خالى ؟ فقال لك : « أما انك ستقاتله وأنت ظالم له » • فقال الزبير : « لقد أذكرتنى ما انسانيه الدهر ، لو ذكرت ذلك ما خرجت ، والله لا أقاتلك أبدا » • وانسحب من المعركة ، فعيره ابنه عبد الله بن الزبير وقال له تعيرنا نساء قريش ، فقال يا بنى لقد اذكرنى ما أنسانيه الدهر ، العار ولا النار ، ولما سألته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عما جرى من حديث بينه وبين الامام قال : « **والله ما وقفت موقفا ولا شهدت مشهدا فى شرك ولا اسلام والا ولى فيه بصيرة ، وأنا اليوم على شك من أمرى وما أكاد أبصر موضع قدمى** » • **وشق الصفوف وخرج من بينهم آخذا طريق مكة ثم قال :**

اخترت عارا على نار مؤججة
ما أن يقوم لها خلق من الطين
نادى على بامر لست أجهله
عار لعمرك فى الدنيا وفى الدين
فقلت حسبك من عدل أبا حسن
فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى

وسنتكلم تفصيلا فى الابواب القادمة عن حروب الامام على •

الحارث بن الصمة

بحث عن الشهادة إلى أن نالها

الأستاذ عبد المنعم حسن الادفوى

لا تفسير لمواقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلك المواقف التى لم تتمثل فى الصمود اتجاه أعداء الله لان محاولاتهم العسكرية والنفسية من أجل اعلاء كلمة الله ، فقط ولكنها تمثلت أيضا فى البحث عن الاستشهاد فى سبيل هذا المثل — نقول لا تفسير لهذه المواقف سوى أن العقيدة الاسلامية . كانت مستكتة فى ضمائر ونفوس العرب ، ثم تفجرت على سطح الحياة فى وقتها المقدور حين أذن اللـه تبارك وتعالى لدعوته أن تظهر .

وأبسط دليل على ذلك انه على راس ستة وثلاثين شهرا من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة ، جاء الى الرسول أبو براء مالك بن جعفر ، فعرض عليه رسول الله الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ، لعل ذلك خوفا من قومه ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يبعد من الاسلام ، وآية ذلك أنه قال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد — قومه — فدعوهم الى أمرك — الاسلام — رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله انى أخشى عليهم اهل نجد — وقد وقع ما خشيه الرسول قال أبوبراء : أنا لهم جار فليدعوا الناس الى أمرك ، فبعث رسول الله المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة — ذروة الخزرج — ليموت فى أربعين رجلا والعبرة فى هـذا الحادث لافى القـدر الـذى تعرض لـه من أصحابه من خيار المسلمين .

أصحاب رسول الله من أهل نجد ضد من يرشدونهم الى الخير . **فالقدر عند النفوس المريضة لا غرابة فيه ولكن العبرة الاعظم التى يجب على الانسانية أن تفهمها وتعيها تتجلى فى موقف أحد الذين بعث بهم رسول الله الى هداية أهل نجد وهو الحارث بن الصمة .**

كان الحارث بين الصمه وعمرو بن أمية فى السرح — مكانى لرعى الماشية ، فرايا طير على منازلهم ، وهذا يعنى أن هناك جثثا ملقاة على الارض فأتيا ، فاذا أصحابهما مقتولون فقال الحارث لرفيقه عمرو :ما ترى .. ؟ قال عمرو : أرى أن الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخبره بما وقع ، فقال الحارث : ما كنت لا تأخر عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو . واقبـل حتى لحق بالقوم — الاعداء ، فقاتل حتى قتل تلك هى العظمة الخالدة للرجال .

لقد كانت للحارث مندوحة لاكثر من سبب يجيز له أن يتوجه الى رسول ، لو أنه كان يؤثر السـلامة والعـافيه على الموت فى سبيل الله ، ولكن ايمانه أبى عليه أن يفر بجلده وينجو بنفسه ، بعد أن علم بقتل قائد المسلمين وأصحابه فى هذه الواقعة الخادعة ، فرجع الى حلبة القتال ليواجه الموت ، وقد واجهه فعلا

ان هذه المواقف الخالدة لاصحاب رسول الله ، وما أكثرها دليل مادى على أنهم جديرون بالدعوة الاسلامية وعلى أنها جديرة بهم ، يعطونها وتعطيهم يتأثرون بها وتتأثر بهم يمدونها وتمدهم ، يمدونها بالتضحية والفداء وتمدهم بالعطاء الذى لا ينفد .

وقد أثبت ابن الاثير فى أسد الغابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين الحارث بن الصمة وبين صهيب بن سكاف ، والمؤاخاة بين انصارى ومهاجرى تعنى بالدرجة الاولى التوافق بين الصاحبين فى كثير من الخلال والشمائل والخلفيات .

واذا كان كل قرين بالمقارن يقتدى عرفت منزلة الحارث بن الصمة اذا أنت عرفت منزل صهيب بن سناد الذى هاجر من مكة الى المدينة فى وضح النهار ، وهو وحيد ، ولما حاول ملا مكة أن يعترض هجرته حذرهم من أنه أعرف الرجال برمى السهام والنبال ، فقالوا له : قد جئت الينا صعلوكا فقيرا وأنت الان كثير المال ، فأجابهم بأنه على استعداد لان يسلمهم ماله ، ولكنه غير مستعد على الاطلاق أن يفرط فى عقيدتهم ، وفعلا أرشدهم الى ماله الذى كان قد حفر له فى الارض وذهب الى المدينة ، وحكى للرسول قصته من قريش ، فأثنى عليه الرسول . وقال له : بخ بخ ربح البيع أبا صهيب

والحارث بن الصمة سار مع رسول الله الى بدر ، فكسر بالروحاء فرده رسول الله وضرب بسهمه وأجره فى غنائم بدر مثل من شهدها بالفعل ، ثم شهد الحارث مع رسول الله أحدا فثبت فيها وقتل عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخذ سلبه ، فأعطاه رسول الله السلب ، ولم يعط السلب يومئذ غيره وبايع رسول الله على الموت

وروى الحارث بن الصمة : سألنى رسول الله يوم أحد وهو فى الشعب فقال : هل رأيت عبد الرحمن بن عوف ؟ قلت نعم رأيته الى جنب الجبل وعليه عسكر من المشركين ، قال الحارث فرجعت الى عبد الرحمن آخذا بين يديه سبعة صرعى ، فقلت ظفرت يمينك ، أكل هؤلاء قتلت ؟ قال أما هذا فأرطأه بن شر حبيل ، هـذان فأنا قتلتهما أما هؤلاء الاربعة ، فقتلهم من لم أره .. قلت صدق رسول الله .

هذه المواقف التى تستحق عن جدارة وصدق أن توصف بأنها مواقف مشهودة وخالدة على الدهر ساهمت بحق فى نشر دعوة الله ، وكانت مشاعل على الطريق لمن يسترخص أرواحهم للتمكين لدين الله فى الارض ، وهى مواقف قبل ذلك وبعد ذلك خليقة بأن يقتدى بها المؤمنون الصادقون ، كما هى خليقة بأن نلتزم بها اليوم تجاه الصهيونية الحاقدة الغادرة

والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار الانصارى الخزرجى من اخوال الرسول عليه السلام يكنى أبا سعد بابنه سعد الذى قتل يوم صفين بالشام مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه .

أبو بكر الرازى .. الطبيب الفيلسوف

الدكتور أحمد سعيد الدمرداش

قول شائع معروف . كان الطب معدوما ، فأحياه جالينوس . وكان الطب متفرقا فجمعه الرازى ونفس القول ينطبق على محمد بن موسى الخوارزمى الرائد الاول لعلم الجبر والمقابلة ، فكما كان هناك طب بابلى وآشورى وهندى واغريقى وجاهلى بدائى ، ينتشر فى مجتمع بين الرافدين فى المدن و القرى او العشائر ، كان هناك حساب وجبر بابلى وهندى واغريقى يتجهان فى اخدود مغلق فى هذا المجتمع ، براعم دابله واخرى نامية ، وثالثة ترهلت وعلوم متفرقه متنابذة لا سمط يجمعها ، ولانظام يؤلف بينها !

جاء الرازى مرسخ صناعة الطب ، فوق دعائم وصيده لبنانها الفكرى العلمى الموضوعى متزايد انتاجه وغزر مؤلفات تنوف على المائتى كتاب نصفها طبية ، ظلت المرجع الرئيسى لجامعات اوروبا طوال سته قرون . فموسوعته « الحاوى فى الطب » وكتابه « المنصورى » وغيرها ترجمت الى اللاتينية والقشتالية وغيرها ، باسم مؤلفها « رازس » كما كانوا يلقبونه فى أوروبا ، وباتت حجة الطب الاولى مع كتاب « القانون » لابن سينا لاينازعهما الرازى وابن سينا – عالم آخر فى العالم المتحضر حتى القرن السابع عشر .

طريقتان للعلاج اشتهرت بهما المجتمعات الاولى فى الجاهلية عند العرب ، وفى البابلية فى حوض الرافدين ، تعتمد الاولى على الكهانة والعرافة ، وتعتمد الثانية على العقاقير نباتية كانت او معدنية او نفطية ، بالاضافة الى الكى والعضد والحجامة ، ومن أشهر المتطببون العرب فى الجاهلية « ابن حزيم » حتى كانوا يقولون « أطب من ابن حزيم » ثم الحارث بن كلدة الثقفى .

وعرفت فى بابل طائفة من الكهنة الاطباء توفروا على الطب الباطنى ، واشتهروا باسم [اشيبو] وبجانب هؤلاء كهنة توفروا على الجراحة وعرفوا باسم آسو يعالجون الجروح والقروح والكسور ولدغات الافاعى . وبرع الاشيبو فى العلاج بالاعشاب والمعادن .

ومن المعادن التى وصفوها استعمال الكبريت لعلاج الامراض الجلدية ، واملاح الحديد والزرنيخ والزئبق والانتيمون [الاثمد والنحاس وزيت النفط .

وقد نظم قانون حامورابى مزاولة مهنة الطب ، ثم الاتعاب التىيجبان يتقاضاها المتطبب ، ووضع لها نوعين من الاجر . احدهما للاغنياء والاخر للفقراء ، كما قرر العقوبة التى توقع على الاطباء اذا أخفقوا ، من أهل صناعة اليد أى الجراحين ، ولم يجىء ذكر للباطنيين ، ولعل السبب فى هذا ان الطب الباطنى كان مقصورا على الكهنة ، وللكهنة امتياز طبقى خاص وفى العصر الاموى اشتهر من الاطباء ابن آثال وكان طبيبا لمعاوية بن أبى سفيان كان خبيرا بالادوية المفردة والمركبة ، وقواها ، ثم ابو الحكم وحفيده عيسى ، ومنهم ابن ماسرجويه الطبيب البصرى فى زمن عمر بن عبد العزيز ،وله كتاب فى الاطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .

طبيبة من بنى أود اسمها « زينب » اشتهرت فى أواخر عهد الامويين ، يقول عليها ابن ابى اصبعه « كانت عارفة بالاعمال الطبية » خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات ، هكذا كان تخصصها بين العرب ذلك الوقت .

وهكذا كان الحال فى بلاد العرب والشرق الاوسط ، أما فى مصر فى العهد القديم ، فقد نشأ فيها تخصص فى الطب عظيم ، فى جامعة الاسكندرية « ٣٣٢ – ٣٣١ ق م ونالت بحق سمعة طبية مرموقة ، فكان يؤمها طلاب العلم من كل صوب ، وتخرج منها « جالينوس » واشتهر فيها أساتذة علماء أمثال « هيروفيلوس » الذى يعتبر رائد علم التشريح فى العصور القديمة وارسطرطس مؤسس علم وظائف الاعضاء ، ثم الطبيب الفيلسوف « سرجيوس الرأس عينى » ثم بولس الاجانيطى واهرن وغيرهم مما كان لكتبهم تأثير خطير فى دراسات العرب الاولى .

يقول « داود الانطاكى » فى تذكرته :

« ثم انتقلت الصناعة الى أيدى النصارى فأول من هذب المفردات اليونانية ، ونقلها الى اللسان

السرياني « دويدرس البابلي » ولم يزد على ما ذكروا شيئا ، حتى أتى الفاضل المعرب ، والكامل المجرب ، اسحق ابن حنين النيسابوري ، فعرب اليونانيات والسريانيات ، وأضاف اليها مصطلح الاقباط لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وانطاكية ، واستخرج مضار الادوية ومصلحاتها ، ثم تلاه ولده حنين ففصل الاغذية من الادوية فقط ، ولم أعلم من النصارى من افرد غير هؤلاء واما النجاشعة ، فلهم كثيرمن الكناشات ، ثم انتقلت الصناعة الى الاسلام ، واول واضع فيها الكتب من هذا القسم الامام محمد ابن زكريا الرازي ، ثم مولانا المفرد الاكمل ، والمتبحر الافضل الامثل الحسين بن عبد الله بن سينا رئيس الحكماء ، فضلا عن الاطباء ، فوضع الكتاب الثاني من القانون ،

هو أول من مهد لكل مفرد سبعة اشياء ، واحل بالاغلب اما لإشتغال باله ، او لعدم مساعدة الزمان له ، ثم ترادف المصنفون على اختلاف احوالهم ، فوضعوا في هذا الفن كتبا كثيرة ، من اجلها مفردات ابن الاشعث وأبى حنيفة والشريف ، وابن الجزار والصائغ وجرجس بن يوحنا ، وامين الدولة ، وابن التلميذ ، وابن البيطار ، وأجل هؤلاء الكتب الكتاب الموسوم بمنهاج البيان ، صناعة الطبيب الفاضل يحيى بن جرله رحمه الله » .

عند الاغارقة - قبل انفراط القرن الخامس ق . م كان الطب مقصورا على عائلة أسقليبوس وكان ابقراط اول من أوصى بتعليم الطب للقرباء ، وفي العصر العباسي كان الطب احتكارا للنصرانيين أمثال آل بختيشوع من جنديشابور ، وكان ابقراط يأخذ العهد على المستجدين في المهنة ، فيقول حسب رواية داود الانطاكي .

« برئت من قابض انفس الحكماء . وفياض عقول العقلاء ، ورافع اوج السماء ، مزكي النفوس الكليه ، وفاطر الحركات العلوية ، ان خبأت نصحا بذلت ضرا ، او كلفت بشرا ، او تدلست بما يغم النفوس وقعه ، او قدمت مايقل عمله اذا عرفت مايعظم نفعه ، وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس ولا تعظم مرضا عند صاحبه ، ولا تسر الى أحد عن مريض ، ولا تجس نبضا وانت معس ، ولا تخبر بمكروه ولا تطالب بأجر ، وقدم نفع الناس على نفعك ، واستفرغ لمن القى اليك زمامه ما في وسعك ، فان ضيعته فأنت ضائع ، وكل منكما مشتر وبائع ، والله الشاهد » .

وقد كانت اليونان تتخذ هذا العهد درسا ، وهو ما يطلق عليه قسم أبقراط ، ثم تطور تدريجيا في الدولة العباسية تطورا في الالفاظ بما يتناسب والتعبيرات الاسلامية ، وهذا نصه كما هو في عيون الانباء لابن ابى أصبيعة .

« اقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، واقسم باسكلابيوس واقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا ، واشهدهم جميعا على أني افي بهذا اليمين وهذا الشرط واري ان المعلم لي في هذه الصناعة بمنزلة آبائي واواسيه في معاشي ، واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي ، واما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لاخوتي ، واعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير اجرة ولا شرط ، واشرك اولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالقاموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة واما غير هؤلاء فلا أفعل ذلك .

واقصد بجميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، واما الاشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ، ولا أشير ايضا بمثل هذه المشورة ، وكذلك ايضا لا أرى ان أدني من النسوة فزوجة تسقط الجنين ، واحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة ، ولا أشق ايضا عمن في مثانته حجارة لكن اترك هذا الى من كانت حرفته هذا العمل .

وكل المنازل التي أدخلها انما أدخل اليها لمنفعة المرضى ، وانا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد أرادي مقصود اليه في سائر الاشياء وفي الجماع للنساء والرجال الاحرار منهم والعبيد ، واما الاشياء التي أعانيها في أوقات العلاج للمرضى او أسمعها او في غير اوقات علاجهم في تصرف الناس من الاشياء التي لا ينطبق بها خارجا فأمسك عنها وارى أن مثالها لا ينطق به .

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد منها شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الاحوال وأجملها ، وان يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائما ، ومن تجاوز ذلك كان بضده » .

تاريخ الرازي

يكاد يجمع المؤرخون بالاشادة بالرازي الطبيب ، فابن النديم صاحب الفهرست يقول ان أبا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره وفريد عصره » ، أما ابن القفطي فيقول انه « طبيب المسلمين غير مدافع » بينما يسميه ابن أبي أصيبعة « جالينوس العرب » .

ويقول البيروني عن الرازي انه كان « دائم الدرس شديدا لاتباعه ، يضع سراجه في مشكاة على حائط واجهه . مسندا كتابه اليه كيما اذا غلبه النعاس سقط الكتاب من يده فأيقظه ليعود الى ما هو عليه ، ويقول الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين :

« اذا أردنا ان نجمل الصفات

العلمية للرازى اجمالا يبين مزاياه وضعفه . لم نجد خيرا من وصفه انه كان استاذا وكان طبيبا ممارسا ناجحا ، وفى هاتين الناحيتين تتلخص حياته العلمية .

كان استاذا فكان عليه أن لا يخرج خروجا صارخا على أسس العلوم الطبية كما عرفها اهل زمانه ومن سبقهم واساتذة الطب لا يرون من واجبانهم ان يثوروا على النظريات الطبية القائمه ، ولا أن يقدموا للناس نظريات جديدة حتى يصقلها الزمن ، ويتبين خطؤها او صوابها ، وكان الرازى كغيره من الاطباء العرب يؤمن ايمانا راسخا بالطب اليونانى ، فهو قائم على منطق لا يقبل الجدل ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يعترض على بعض آرائهم ، يفندها تفنيدا قد يكون احيانا قاسيا عنيفا .

وكان عليه – من حيث هو استاذ – ان يشرح ويفسر ما فى الكتب ، وان يجعلها اقرب الى الطلاب ، وايسر فهما ، وكان عليه ان يبين لطلابه كيف يتقنون هذه الصناعة ، وكان عليه أن يبين رأيه فى محنه الاطباء « امتحانهم » وان يهديهم الى ما يعينهم فى ممارستهم العلاج .

أما عنايته بتفسير الكتب وشرحها فيدل عليه قوله فى أول كتاب الفصول :

« دعانى ما وجدت عليه فصول ابقراط من الاختلاط وعدم النظام والغموض ، والتقصير عن ذكر جوامع الصناعة كلها أو جلها وما أعلمه من سهوله حفظ الفصول وعلقها بالنفوس ، الى أن اذكر جوامع الصناعة الطبيه وجملها على طريق الفصول .. ليكون مدخلا الى الصناعة ، وطريقا للمتعلمين » .

ويذكر عبد الحميد العلوجى فى مؤلفه « تاريخ الطب العراقى » ان الرازى كان من الائمه فى صناعة الطب ، ولد فى الرى سنة ٢٥١ – ٨٦٥ م ونشأ وتعلم فيها ، وكان فى بدء أمره صائغا ، ثم اشتغل بعلم الاكسير وسافر الى بغداد بعد سن الثلاثين ، وعكف على الطب فنبغ واشتهر فيه ، وكان عارفا بطب الاغريق وفارس والهند . وكان الى جانب ممارسته الطب والى جانب التاليف فى الطب ، يدرس الطب لتلاميذه وكان بارا بالناس حسن الرأفة بالفقراء ، وأصيب بنزول الماء فى عينيه حتى عمى ومات سنة ٣١١ – ٩٢٣ م فى بغداد » .

يقولون عن الرازى ايضا أنه منذ الصبا كان مولعا بالغناء ماهرا فى الموسيقى، وكان يعزف العود بمهاره ولكنه لما التحى وجهه قال : « كل غناء يخرج بين شارب ولحية لا يستظرف » وكان الرازى فى شبابه مكبا على دراسة الادب ، وكتابة الشعر ودراسة الفلسفة ، ومن المحتمل ان معلمه فيها هو البلخى ، واستاذه فى الطب هو الحكيم ابو الحسن على بن زين الطبرى صاحب فردوس الحكمة وغيره من التصانيف .

عين الرازى رئيسا لاطباء مستشفى الرى فخدم فيه ، يساعده عدد من زملائه وتلاميذه ، كان يفحص المريض قبل ادخاله المستشفى من قبل طبيب الخفر ، فاذا راى هذا فيه ماغمض عليه امره . عرضه على مساعدى الرازى ، فاذا التبس عليهم الامر رفعوه الى الرازى نفسه ، ثم عين الرازى بعدذلك طبيبا لمستشفى بغداد الكبير .

قال بعضهم ان الرازى كان فى جملة من اجتمع على بناء البيمارستان العضدى ، وان عضد الدوله استشاره فى الموضع الذى يجب ان يبنى فيه المارستان ، وان عضدالدوله لمابنى البيمارستان العضدى المنسوب اليه قصدآن يكون فيه افاضل الاطباء واعيانهم ، فأمر أن يحضروا الاطباء المشهورين حينئذ لبغداد واعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ماعلم من جودة احوالهم وتمهرهم فى صناعة الطب فكان الرازى منهم ، ثم اختار من الخمسين عشرة فكان الرازى منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازى منهم ، ثم ميزبينهم فبان ان الرازى افضلهم فجعله ساعور البيمارستان العضدى أى رئيس اطباء المستشفى ،وقد ذكر بعض الباحثين فى سيرة الرازى انه لما ذاع صيته استدعاه عضد الدولة ليكون رأس الاطباء فى بغداد .

ومن الواضح ان الرازى وقف جزء كبيرا من وقته على دراسة الكيمياء ، فقد ذكر البيرونى واحدا وعشرين من مؤلفاته فى الصنعة . وقد طرق فيها بابا جديدا ، فكان اول من استخدم المستحضرات الكيماوية فى العلاجات الطبية . وربما كانت الكيمياء ايضا احد موارد رزقه فمن قوله :

« أنا لااسمى فيلسوفا الا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من اوساخ الناس وتنزه عما فى ايديهم ولم يحتج اليهم » .

اكبر الظن انه قصد من قوله هذا ان الفيلسوف الذى لايملك موردا للرزق – له ان يحترف الصنعة حتى يعتمد فى كسب عيشه على نفسه ، فيحتفظ بحرية الرأى

ومات الرازى فى سن الستين تاركا وراءه ثروة علميه طائله ، فبلغت مؤلفاته مايقرب من المائتى كتاب فى شتى الفنون ، كالطب والطبيعيات والمنطق والفلسفة والكيمياء وغيرها ، وكانت ينابيعه العلميه اغريقيه وفارسية وهندية واسكندرانية ، مصر القديمة » ولكنه اضاف اليها الكثير من تجاربه وخبرته فأنعم للطب سجلا ، ثم اتبع سجلا .

يسر
شركة النصر للغزل والنسيج والتريكو
(شوربجي سابقا)
رمز
الأناقة والجودة والذوق الرفيع
بعد أن حازت ثقة الجميع
وقضت على عقدة المستورد في الداخل
وغزت الأسواق العالمية في الخارج
أن
تقدم
بمناسبة شهر رمضان المبارك
مشاركة منها في الاحتفاء بهذا الشهر العظيم
إنتاجها الجديد بمناسبة فصل الشتاء والاستعداد لدخول المدارس
منه
الملابس الجاهزة . والأقمشة التوتوتيه . والجوارب
والكولونات . واللانجيرى . والشراب التروكار
كما يسعدها أن تقدم :
اللينوهات . والمنسوجات القطنية على اختلاف أنواعها وأشكالها
الفروع : مصر الجديدة - الزمالك . عدلي . غمرة . إسكندرية « صلاح سالم »
شالهندة

ابن رشد

صفحات من التاريخ

الأستاذ عبد المنعم حمادة

اشرنا فى الجزء الثانى من هذا البحث الى رسوخ قدم ابن رشد فى العلوم والمعارف ، والى نجمه الذى اخذ يسطع فى السماء ، والذى راحت انواره تتألق فى اجواء اوربا عامة ، والذى نظر اليه اهلها نظرة التقدير والاعجاب حتى جعلوه فى مصاف فلاسفتهم ، والذى احترمه اهل الاندلس خاصة وعظموه حتى عدوه اعظم فلاسفة العرب ، واعظم حكماء القرون الوسطى .

ويهمنا فى هذا الجزء من البحث أن نشير الى أن ابن رشد قد استحق مكانته عن جداره وذاع صيته عن مقدرة فقد اخذ اسمه يصعد الدرجات درجة بعد درجة ، ويرتقى سلم المجد رويدا رويدا واخذ يرتفع مكانة بعد مكانة حتى بلغ قمة السؤدد ، فمن مناصب عالية لها وزنها وخطرها فى قضاء أشبيليه وقرطبة ، الى قضاء الاندلس عامة .. ومن منزلة سامية رفيعة لدى الخلفاء ، ومن نيل الحظوة عندهم ، الى درجة اتاحت له حرية التنقل فى بلاطهم سواء فى المغرب او الاندلس ، الى سمعة طيبة عند الناس ، وحب مكين فى قلوبهم ، الى أواصر صداقة قوية متينة جمعت بينه وبين كثير من الاساتذة والمريدين والتلاميذ دعتمها اخلاقه الطيبة ، وصفاته الشخصية .. وقد استمر ذلك حال ابن رشد الى أن تولى عرش البلاد الخليفة « ابو يوسف يعقوب » الملقب بالمنصور الذى سار سيرة أبيه فى تقريب الحكيم ابن رشد وفى اغداق حبه وعطفه عليه ، حتى جرى بينهما ما جرى من قطيعة ثم عقوبة نزلت بابن رشد واصحابه او من اكباره وتعظيمه ، الى ان وقع بينهما مالم يكن فى الحسبان .

يقول الدكتور كمال اليازدى استاذ الفلسفة العربية بالجامعة الامريكية ببيروت ، والدكتور انطون غطاس كرم استاذ الادب الحديث بالجامعة الامريكية كذلك فى كتابهما الضخم « اعلام الفلسفة العربية » ص ٧٣٣ :

« وفى سنة ١١٨٢ اعتزل ابن طفيل السياسة ، فأستوزر ابن رشد مكانه ، ثم توفى ابو يعقوب يوسف سنة ١١٨٤ فخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب على أريكة العرش ، واقام فيلسوفنا فى البلاط يطبب ، ويناقش ، ويؤلف مقربا مكرم الجانب .

ثم ان خليفة الموحدين حمل على الفونسو الحادى عشر ، فدحره ، ولقب بـ « المنصور » عقب ذلك الظفر الذى أحرزه . وغمر طبيبه ووزيره بالنعم ، فكثر حساده فى البلاط ، وعندها قام المحافظون فأوغروا صدر الامير عليه ، ورموه بالكفر ، وطالبوا بمحاكمته وقتله ، وحركوا الجماهير ، وأثاروا حفائظهم ، فانهالت الجماهير عليه بفنون التهم . وكان المنصور يعلم أن حكم الموحدين مرتكز على رجال الدين ونفوذهم ، فحمل على مجاراة المحافظين خشاة أن يستفحل الامر ، وتظاهر بالتغير على وزيره ودفع به الى المحاكمة ، وامر باحراق كتبه ، الا ماكان من باب العلم البحت ، وحوكم ابن رشد ونفى الى « اليسانة » .

لقد نقم الخليفة على ابن وشد فقلب له ظهر المجن وابعده عن حظيرته وكانت المحنة التى لم يتوقعها أحد والتى دوى رد فعلها فى طول البلاد وعرضها . بل وتعدى هذا الاثر حدود الاندلس الى غيرها فيما وراء الحدود العربية .. يقول الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه « من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ! ،صفحة ٧٢٢ » : ولما توفى ابن طفيل سنة ٥٨١ هجرية ـ ١١٨٥ ميلادية ـ انفرد ابن رشد بمنصب الطبيب الخاص ،ولبث على مكانته فى بلاط الموحدين حتى توفى الخليفة يعقوب يوسف سنة ٥٨٠ هجرية ـ ١١٨٤ ميلادية ـ وخلفه فى الملك ولده الخليفة ابو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور الذى أبقى ابن رشد على ما كان عليه من الحظوة والمقام ، وكان يعظمه ويكبره الى حد أنه كان يجلسه مباشرة الى جانبه ويتعدى بموضعه مواضع شيوخ الموحدين الاكابر ، وحينئذ جرى ما لم يكن فى الحسبان وكانت محنة فيلسوفنا القاسية » .

وليس من شك فى ان هذا التناقض فى موقف الخليفة المنصور من ابن رشد يحملنا على ان نبحث عن الاسباب التى غيرت اتجاه الخليفة من موقف التعظيم والاكبار ، الى موقف التجهم والغضب وانكار كل ماللفليسوف من علم وأدب ومكانة، ومن تقريبه الفليسوف من مجلسه ، الى ابعاده عن مقام الحظوة والمنزلة القريبة ، والابعاد عن بطانة الخليفة ونفيه الى « اليسانة » .. وهناتأتى الحقيقة التى لا جدال فيها ، وهى سرعة تقلب الامراء والملوك ، فليس من شك فى أن الحكيم ابن رشدقدتنعم فى بلاط الموحدين الذين عاصر ايامهم ، ولقى العطف والتأييد منهم م ا... عليه احد خلفائهم .. يقول الاستاذ محمد لطفى جمعه فى كتابه «تاريخ فلاسفة الاسلام صفحة «١١٣»: « **كان الفلاسفة فى الازمنة السالفة لا** يستطيعون الحياة والظهور الا اذا عاشوا فى ظلال الامراء والملوك ، لان الفلسفة لا تطعم خادمها ولا تكسوه ولا تجرى عليه رزقا ، وان كان هو ينفق فى خدمتها عمره وماله ، ويفقدفى سبيلها حياته وولده وحريته ،فلم يكن لمحب الحكمة بد من أن يلتمس العيش فى أكناف احد الملوك يؤلف الكتب ويهديها اليه ويحليها باسمه ولاعجب فان الفليسوف غريب فى وطنه ، أجنبى بين قربائه وأهله ، على ان الالتجاء الى الامراء والاحتماء بهم لم يكن منقذا فى كل حال ، فقديما كانت علاقة الفلاسفة بالامراء سبب نكبتهم ومصدر بلواهم وشقوتهم ، وما هذا الا لتقلب الامراء فى الود وسهولة انقيادهم للقوى .. الزعماء أو اضطرارهم لمجاراة تيار الفكر الشائع ، وطاعتهم صوت الخلق وقول الجماعة، حتى ولو كان هذا وذاك على خلاف ما يرغبون وعكس ما يضمرون وهذا الذى وقع لابن رشد فى محنته الاليمة » .

لقد وقعت محنة ابن رشد فى عهد الخليفة يعقوب المنصور وعلى يديه ، وكان عجيبا أن تحدث هذه المحنه على يديه هو بالذات وهو الذى ابتدأ بداية طيبة فسلك مسلك أبيه . واستدعى ابن رشد وهو متوجه الى حرب الفونس ملك أرجوان سنة ٥٩١ هجرية فأكرمه واحتفى به وجاوز به قدر مؤسسى دولة الموحدين العشرة الذين يعدون من آجلاء العلماء .. **غير أن الامل خاب فى الخليفة ، فبعد ان سمع وشاية الواشين ورضخ لما يرميه به الجاحدون والمنكرون للفيلسوف فضله .. فتنكر له . والحق به تلك المحنة التي كان لها آثار بعيدة المدى على التاريخ الاسلامى وتاريخ الفلسفة الإسلامية** »

« وقد احاط المؤرخون مدة يعقوب المنصور ببعض القصص التى هى اقرب الى الخيال ، فقال البعض أنه بايع ابنه الناصر بعد عودته من وقعة الارك ، ثم زهد فى الدنيا وساح فى الارض حتى وافته المنية . وقال بعض آخر أنه ذهب للحج وعاد منه زاهدا فمات فى الطريق ودفن فى الشام .

ولما فكر عمه سليمان بن عبد المؤمن فى الخروج عن طاعته ، وعصيان امره ، وكذلك لما فكر اخوه ابو حفص عمر فى نفس الشىء ، أمر بالقبض عليهما وحبسهما وتقييدهما ثم لم يتورع عن الامر بقتلهما ، وكان ذلك فى السنة السادسة والثلاثين من عمره ، فلما تم له ما اراد استراح باله ، واظهر ميلا الى الزهد والتقشف . يقول الاستاذ لطفى جمعة فى كتابه صفحة ١٣١ :

« وبعد قتل أخيه وعمه فى السنة السادسة والثلاثين من عمره ، أظهر زهدا وتقشفا وخشونة ملبس ومأكل ، وانتشر فى ايامه للصالحين والمتبتلين صيت ، وقامت لهم سوق وعظمت مكانتهم ، ولم يزل يستدعى الصالحين من البلاد ويكتب اليهم يسألهم الدعاء . ويصل من يقبل صلته بالصلات الجزيلة ، ولما خرج الى الغزوة الثانية سنة ٥٩٢

كتب قبل خروجه الى جميع البلاد فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة كان يجعلهم كلما سار بين يديه . فاذا نظر اليهم قال لمن عنده « هؤلاء الجند ، لا هؤلاء » ويشير الى العسكر ، ولما رجع أمر لهؤلاء القوم بأموال عظيمة .

وقد ذكرت فى بواعث هذه النكبة اسباب كثيرة ودوافع مختلفة ، أخذ الكتاب والمؤرخون يحللونها على أمل ان يقفوا على البواعث الخفية والدوافع الحقيقية .. يقول الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « ابن رشد » صفحة « ٢١ » : « **يحتاج المؤرخ فى كل مصادرة فكرية او** دينية الى البحث عن سببين : **أحدهما معلن والاخر مضمر** فقليلا ما كان السبب الظاهر هو سبب النكبه الصحيح ، وكثيرا ما كان للنكبة - غير سببها الظاهر سبب أخر يدور على بواعث شخصية او سياسية تهم ذوى السلطان ، ويسرى هذا على الشعراء كما يسرى على الفلاسفة ، ويسرى على الجماعات كما يسرى على الاحاد » .

وفى الاسباب الخفية والظاهرة لنكبة ابن رشد ، يقول عبد الواحد المراكشى صاحب كتاب « **المعجب فى تلخيص اخبار** المغرب » صفحة « ٣٨٤ » : **والمراكشى من المؤرخين الذين** يصفون تاريخ الموحدين وصف عيان ومشاهدة على نحو لا يشاركه فيه أحد ، يقول المراكشى « **وفى ايامه** اى أيام الخليفة المنصور نالت أبا الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد محنة شديدة وكان لها سببان : جلى وخفى ، فأما سببها الخفى وهو أكبر اسبابها ، فان الحكيم ابا الوليد - رحمه الله - اخذ فى شرح كتاب الحيوان لارسطو طاليس صاحب كتاب المنطق ، فهذبه وبسط اغراضه وزاد فيه ما رآه لائقا به ، فقال فى هذا الكتاب عند ذكر الزرافة وكيف تتولد وبأى ارض تنشأ : **وقد رأيتها عند ملك البربر .. جاريا فى ذلك على طريقة العلماء فى الاخبار عن ملوك الامم واسماء الاخرين غير ملتفت الى ما يتعاطاه خدمة** الملوك ومتحيلو الكتاب من الاطراء والتقريظ وما جانس هذه الطرق ، فكان هذا مما احنقهم عليه غير انهم لم يظهروا ذلك ، وفى الجملة فانها كانت من أبى الوليد غفلة ، فقد قال القائل : « **رحم الله من عرف قدره فماله : وميز مكانه** » .

وما أحسن من قال :

وانزلنى طول النوى دار غـربة
إذا شئت لاقيت الـذى لا اشاكله
محامقته حتى يقـال سـجية
ولو كان ذا عقـل لكنت اعاقله

ورجع الاستاذ محمد لطفى جمعة الى كثير من الاسباب التى زادت فى اشعال الثورة ضد ابن رشد وراح يحللها بمنطق المحامى فيقول فى كتابه المشار اليه صفحة « ١٢٥ » : وقد اتجه نظرنا منذ قرأنا كتب ابن رشد وعزمنا على ترجمته وتلخيص فلسفته الى المحنة التى اصابته واسبابها ونتائجها وأثرها فى التاريخ الاسلامى وفى تاريخ الفلسفة وعزمنا على تحقيقها وتحليلها والتدقيق فى معرفة أصولها لنصل الى حقيقة يحسن الوقوف لديها والسكون عليها .

« ولما كان الذى اوقع المحنة بابن رشد هو المنصور بـ[illegible] يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الرابع من خلفاء الموحدين اخذنا نبحث فى تاريخه لنعلم هل كانت النكبة فعلا فرديا [illegible] على الامير ظلمه وحمقه وجهله ، ام كانت فعلا قوميا يدل على حالة الامة فى اخلاقها وميولها ، وهل كان الامير سليم [illegible] والارادة مسئولا عن افعاله مسئولية تامة أمام التا[illegible]

والاجيال اللاحقة ، أم كان معتلا مختلا لا يسأل عما يفعل ذهبت بعقله سلطة الفرد ونزق الاستبداد وسوء الوراثة وملاهى القصور التى ينغمس فيها أمثاله ، فان الظاهر دل على أن نكبة ابن رشد كانت عملا عاما دعت اليه ضرورة سياسة أو دينية أو اجتماعية ، فاقيمت عليه الدعوى الجنائية وحوكم محاكمة استبدادية وصدر فى حقه عقوبة النفى والتنكيل . ولم يكن لدينا مصدر لفحص هذه المسالة الا كتب التاريخ لان عرب الاندلس لم يتركوا متاحف ولا سجلات ولا ملحقات ولا قيود يلجا اليها السلف كما هى الحال فى بعض الممالك الاوربية ، على اننا لانلومهم على ذلك ، فلو تركوا شيئا مما ذكر لما ابقى عليه ملوك اسبانيا الذين خلفوهم ، فقد احرقوا كل ما وصلت اليه ايديهم من آثار العرب الادبية ، وبددوا تحت تأثر التعصب الوطنى والدينى ثروة كانت تستفيد منها الانسانية أعظم فائدة » .

هذه نظرة عامة لاول سؤال يتبادر الى الذهن فى امر النكبة التى حلت بابن رشد وموقف الخليفة منها ، فاذا رجعت تعلل هذه النظرة الى تفصيلات فى اسبابها ودوافعها عثرنا على كثير من هذه الاسباب والدوافع التى تنقلنا من واحدة الى أخرى الى أن تستقر بنا عند ذلك الذى يخيل الى كثير من المؤرخين انه الدافع الحقيقى او الدافع الخفى للنكبة :

١ – ولعل أول هذه الدوافع ذيوع شهرة ابن رشد الطبية والفلسفية ، وبلوغه مكان الصدارة فى كل منهما مما جعل الخلفاء يقربونه منهم ، ويبقون على ما ينعم به من مكانة وحظوة عند الواحد بعد الاخر حتى كان الخليفة المنصور – وهو الذى كانت نكبة ابن رشد على يديه – يجلسه مباشرة الى جانبه ، ويتعدى بوضعه مواضع شيوخ الموحدين الاكابر

.. هذه الشهرة وهذا المجد جلبا على ابن رشد كثيرا من الحاسدين الذين نقموا عليه آراءه وأفكاره ، ونفسوا عليه منزلته ومكانته لدى الخليفة واذاعوا حوله الدعايات المسمومة ، وانكروا اشتغاله بالحكمة وعلوم الاوائل ، ورموه بالمروق والخروج على الدين . ولم يتهاونوا اولئك الحاقدون فى النكاية بابن رشد والنيل منه حتى أوغروا عليه صدر الخليفة الذى لم ير مناصا من الاصغاء اليهم والاستماع الى وشاياتهم ، ومسايرتهم وهو فى امس الحاجة الى محبة الشعب الذى كان يسيطر عليه خصوم الفيلسوف ومتهموه – والمتعصبون ضده ، ولذلك كان الخليفة مضطرا الى مصانعتهم والسير فى ركابهم كما يقول الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا .

ومما لاشك فيه ان الحقد والحسد ليسا بالشىء الغريب او المستبعد حدوثه فى النفس البشرية الضعيفة التى لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام النفوس القوية التى لها من صفاتها واخلاقها حماية تقيها تلك السموم القوية التى حاول ان تعمل عملها فى الخفاء .. فمما لاشك فيه ان قوما ممن يناوئون ابن رشد من اهل قرطبة ويدعون معه الكفاءة فى البيت وشرف السلف سعوا به عند الخليفة المنصور عندما عثروا على بعض المذكرات التى كان يكتبها ووجدوا فيها بخطه حاكيا عن بعض قدماء الفلاسفة بعد كلام تقدم : فقد ظهر ان الزهرة احد الالهة .. فأوقفوا الخليفة على هذه الكلمة واتهموه بالمروق من الدين . فاستدعاه الخليفة بعد أن جمع له الرؤساء والاعيان من كل طبقة وهم بمدينة قرطبة ، فلما حضر أبو الوليد رحمه الله – قال له بعد أن نبذ اليه الاوراق : أخطك هذا ؟ فانكر .. فقال أمير المؤمنين : لعن الله كاتب هذا الخط وأمر الحاضرين بلعنه .

بقية مقال « الحق فى الشرع الاسلامى »

ومن الحدود ما جعلها الله حقا له وللناس وحق العبد فيها غالب كحق القصاص . فالله سبحانه قد جعل لذاته حقا فيها زجرا ودفعا لشر الجرم عن خلقه ولكن حق العبد فيها غالب عملا بقوله .

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب »

فللفرد حق غالب فالعقوبة بالمثل النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص . وهذا ما يفيد رجحان حق العبد . وترجح حق العبد هنا له بالغ الاثر ذلك ان مقتضى تغليب حق العبد ان يكون له المطلبه بالدم كما يسوغ له العفو . فولى الدم حقه فى العفو امر مقرر فان تمسك بحقه فليس لولى الامر مخالفة وبذا تطهر النفوس من الاحقاد وتلتئم الجراح ويسود الامن بين العالمين .

فان بلغ المجرم حدا من الخطورة على مجتمعه بحيث اضحى يهدد سلامة قومه فان حق الله فى هذه الحالة يكون غالبا .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان حق العبد وان غلب فان فيه حقا لله تعالى فخالص حق العبد فى ماله ونفسه فيه حق لله من حيث حرمته على الغير .

والجزاء على الاخلال بحقوق الله هو العقاب حدا أو تعزيرا أو كفارة الى غير ذلك من الجزاءات المقررة شرعا . وحقوق العباد جزاء الاخلال بها تعزيرا أو قصاصا أو تعويضا . فالعقاب للاخلال بحقوق الله عقاب عام لا يجرى فيه عفو ولا ايراد ولا صلح ولا يجرى فيه التداخل وامر استيفائه منوط بولى الامر فهو مفوض به اما حقوق العباد يرد عليها العفو والصلح كما تتكرر العقوبة . لمخالفتها تبدو العدل وامر استيفائها مفوض الى المجنى عليه أو وليه .

هذا قبس ولمحة سريعة عن الحقوق فى شريعتنا وعجالة واستعراض لها فى لمس . والى لقاء قريب باذن الله لنعالج الحقوق تفصيلا فهى جديرة بالنظر حظية بالالمام ليعرف الانسان حق الله عليه فيوفيه ويدرك حقه فيقتضيه .

كفاح شاب مسلم عبد الرحمن عزام رائد من رواد العمل العربي والإسلامي

الأستاذ صبري أبو المجد

فى العدد السابق من مجلة منبر الاسلام الغراء تحدثنا اجمالا عن عبد الرحمن عزام الجندى المخلص والمناضل الفذ ورائد العمل العربى والاسلامى المشترك كما تحدثنا ببعض التفصيل عن كفاح عبد الرحمن عزام منذ مطلع شبابه المبكر وكيف قطع دراسة الطب فى لندن لكى يلتحق بكتائب الدفاع عن الاسلام أثناء الحرب البلقانية عام ١٩١٢ حيث تآمر الغرب على الاسلام والمسلمين وحيث راح يحيل المساجد الى كنائس ويرفع عليها الصلبان منتهزا فرصة ضعف الدولة العثمانية التى كانت تمثل وقتئذ الرجل المريض الذى يحاول الغرب القضاء عليه بالدرجة الاولى تمهيدا للقضاء على وجود الاسلام فى أوروبا وقد وقفنا فى الحلقة الاولى من تلك الدراسة السريعة عند لقاء الشاب عبد الرحمن عزام بأنور باشا رئيس أركان حرب الجيش التركى فى مدينة ادرنة وكيف كلف أنور باشا ضابطا تركيا اسمه طارق بالاهتمام بأمر عبد الرحمن عزام .

ومنذ اللحظات الاولى لوصول عبد الرحمن عزام الى أدرنة اكتشف أن أنور باشا يريد الصلح مع البلغار وان الفريقين - التركى والبلغارى - شرعا فى كتابة مذكرات الصلح ، وأنه لم يبق - بالنسبة له - ما يدعو الى التطوع فى الجيش التركى ، ولم يشأ عبد الرحمن عزام أن يعود بخفى حنين ، فآثر أن يجمع المعلومات الخاصة بتلك الحرب ويدونها قبل الرحيل فذهب الى خطوط القتال وقابل الضباط والجنود وعرف تفاصيل الفظائع التى ارتكبها البلغاريون أثناء محاصرتهم أدرنة حيث احرقوا أحياء كاملة لم يبق منها الا آثار الحريق بل أكثر من هذا كانوا يجمعون المواطنين اليونانيين فى البيوت قبل اشعال النيران وبعد اشعال النيران فى تلك البيوت كانوا يقفون وبنادقهم مصوبة الى أبوابها ونوافذها لقتل كل من يحاول الهرب من نيران الحريق ويرى عبد الرحمن عزام الجهود التى بذلتها بعثة الهلال الاحمر التى كان يرأسها الدكتور عبد الوهاب مورد - الطبيب المصرى المعروف ، فيشعر بالمزيد من الفخر والاعتزاز بما قام به الدكتور مورد ورفاقه من اعمال انسانية دفاقة رغم قسوة الظروف التى كانوا يعيشون فيها

ويعود عزام الى استمبول ومعه معلومات عن الفظائع التى ارتكبها الجنود البلغار لينشرها فى الصحف البريطانية حتى يلفت أنظار الرأى العام البريطانى الى هذه المجازر ويتأهب للعودة الى لندن ويصعد الى الباخرة التى ستقله الى العاصمة البريطانية ولكنه يفاجأ برجال البوليس التركى يقبضون عليه وينزلونه حيث ووجه من قبل البوليس التركى بتهمة محاولة اغتيال الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان يستقل نفس الباخرة ولكنهم يسمحون له بالسفر على باخرة أخرى **ويرسل عبد الرحمن عزام الى جمال باشا حاكم استمبول رسالة احتجاج - يؤكد فيها انه برىء من تلك التهمه التى الصقت به تدلل على علاقه طيبه بالحزب الوطنى وشارحا له الظروف التى تمر به باعتباره طالبا محدود الموارد دفع فى ثمن تذكره الباخره كل ما يملك كما انه سوف يضطر الى البقاء فى استمبول اياما عديده فى انتظار** باخره اخرى ويحمل الطالب عبد الرحمن عزام حاكم استمبول مسئوليه كل ما يواجهه من ظروف مادية ، ويعجب جمال باشا - رغم قسوته - بشجاعه هذا ويدفع اليه بتذكرة درجه اولى ويعود عبد الرحمن عزام الى كليه سان توماس الطبيه ويقرر أن يدرس بالنهار وان يشتغل بالسياسه ويشرح عزام مطالب الشعب الالبانى التى كانت تتلخص فى ان تكون له دوله مستقله يحكمها احد المسلمين . **كما يشرح للرأى العام البريطانى كيف كانت فظائع البلغار مدعما رايه بالوثائق التى كان يحملها وعن طريق سيده بريطانيه تعجب بجرأة عزام : وحماسته : واخلاصه للقضية الالبانيه يتعرف عزام الى لورد هادلى الذى كان قد اسلم حديثا وكان يرغب فى ان يكون بمعونه بريطانيا ملكا على البانيا وكانت ايطاليا تؤيد ترشيح الامير** احمد فؤاد وفرنسا لا تمانع بينما لم تتخذ بريطانيا قرارا فى امر هذا الترشيح ، على أن عبد الرحمن عزام ، نظرا لظروف هامة قد واجهته ترك موضوع عرش البانيا جانبا واتجه الى تعبئة جهود الطلبة المصريين الذين كانوا يدرسون فى انجلترا فانشأ

جمعية « أبو الهول » وكان هدفها استقلال مصر ، ويحدث الخلاف الاول بين أعضاء تلك الجمعية حول كلمة واحدة عبد الرحمن عزام يرى أن يكون برنامج الجمعية المطالبة بالاستقلال التام لمصر ، بينما يرى بعض أعضاء الجمعية الاكتفاء بكلمة الاستقلال ويحتكم الشباب الى محمد فريد زعيم الحزب الوطنى الذى ينصح الطلبة بأن يكتفوا لحكمة ارتآها بكلمة الاستقلال حتى لا تغضب كلمة « التام » تركيا ، كما أنه لا فائدة من تلك الكلمة فى الوقت الحاضر غير أن عبد الرحمن عزام ، ومن يرون رأيه لم يقتنعوا بنصيحة محمد فريد فصمموا على اثبات تلك الكلمة فى برنامج الجمعية وقد نجحوا فى ذلك وينصرف عبد الرحمن عزام الى دروسه تقريبا ، ثم يختاره الطلبة المصريون الموجودون فى أوربا ومعه أربعة من زملائه لتمثيل الطلبة المصريين فى مؤتمر الشبيبة المصرية فى جنيف وكان الزملاء الاربعة هم عبدالحليم حلمى ، وعبد الرءوف رشدى ، ومصطفى عمر وزيدان القصبى . ويشترك فى هذا المؤتمر ما يقرب من مائتى طالب من جميع أنحاء أوروبا ويذكر عبد الرحمن عزام أنه بينما كان محمد فريد وأمين الرافعى وزملاؤهما من أعضاء الحزب الوطنى يعدون لافتتاح ذلك المؤتمر دخل الدكتور منصور رفعت ثائرا متهما محمد فريد بعدم المحافظة على كرامة مصر لانه يقيم مؤتمرا للشبيبة المصرية فى مكان حقير ، مقسما بشرفه انه سيفض الاجتماع فورا وانه لن يسمح الا بعقد المؤتمر فى أهم مسارح المدينة ، وكان منصور رفعت يمت بصلة القرابة الى عبد الرحمن عزام فحاول أن يهدىء ثورته مؤكدا له أن العين بصيرة واليد قصيرة وأن الحركة الوطنية المصرية فى الخارج لا تملك المال لاستئجار مسرح كبير ، ولكن الشباب يصر على عقد المؤتمر فى مكان لائق ويتحقق لهم ما أرادوه **ويلقى عبد الرحمن عزام بالانجليزية خطابا رائعا فى المؤتمر عن استبداد كتشنر وعن مساوىء الاحتلال البريطانى لمصر : وتنشر الصحف البريطانية والسويسرية كلمة عبد الرحمن عزام ويكون ذلك أول عمل سياسى يقوم به الطالب عبد الرحمن عزام .**

ثم تقوم الحرب العالمية الاولى وهو فى جنيف وتنقطع المواصلات ، تتعذر المراسلات تتوقف البنوك هو وزملاؤه ينتظرون نقودا من اهلهم فى القاهرة ويطول انتظارهم بطبيعة الحال ويقع هؤلاء الشباب فى مأزق خطير ويقول عبد الرحمن عزام فى مذكرته : كانت صاحبة البنسيون الذى ننزل فيه تطالبنا بدفع ما علينا وتقسو فى المطالبة ووصل الامر الى محمد فريد فاعاننا وهو المحتاج الى كل مليم معه ، بمائة فرنك دفعناها لتسكين اعصاب صاحبة البنسيون وقد علمتنى مغامرتى الاولى - هكذا يقول عبد الرحمن عزام - التى وصلت فيها الى تركيا ان احسب حساب الغد ولذلك احتفظت بخمسة جنيهات من النقود التى كانت معى واخفيت امرها عن زملائى وبهذا المبلغ قررت السفر الى مصر لاتصل بعائلات زملائى وابحث عن وسيلة لاسعافهم بالنقود ، سافرت من جنيف الى برنديزى - الميناء الايطالى - فى ارخص درجات السكك الحديدية وكان لسكك حديد ايطاليا وقتئذ شهرة عالمية فى القذارة والاهمال وفى برنديزى اشتريت تذكرة لركوب الباخرة على السطح الى بيريه فى اليونان اشتريتها بأقل من جنيهين وكان الهلع والخوف من الحرب واغتنام فرصة حياد ايطاليا للعودة عن طريقها من اوروبا ، وازداد الهلع حينما ظهرت البارجة جوبن والطراد « برسلاو » الالمانيان فجأة فى البحر الابيض المتوسط وتعرض بوارج الحلفاء ، وكنت قد عولت على ان اعيش أيام سفرى على ما جمعته فى سلتى من خبز وجبن ولكن من نعم الله على ان الفوضى واختلاط الدرجات اتاحت لى ان أنال من الاخرين مقدارا من الحساء ، كان يوزع فى اكواب وقد بلغ سوء الحال بالمسافرين ان الاطفال وبعض الامهات من كرائم الناس كن يفرحن اذا قدمت لاطفالهن شيئا من الخبز والجبن وكان عندى منهما نصيب وافر وقد انسى الخوف ركاب الباخرة ما فقدوا من اسباب الراحة فقد كانت اذهانهم مشغوله بخطر جوبن وبرسلاو ، وتجسمت مخاوفهم حتى صار كل من فى السفينة لا هم له الا مراقبه البحر وظل الرعب يلازم الركاب الى ان وصلنا الى « بيريه » ويفاجأ عبد الرحمن عزام فى بيريه باثنين من المصريين هما حسن بك الزمر ، وابراهيم بك ابو رحاب وكانا زميلين لاخيه المرحوم محمد عزام ، ولا يقبل عزام رغم حاجته الملحة الى المال كل ما عرضه عليه فضل الزمر ، وابراهيم ابو رحاب من مساعدة ولكنه يجد فى النهايه نفسه مضطرا الى ان يتفق مع فضل الزمر على ان يدفع له ثمن تذكرة على باخرة يونانية على ان يترك له تذكرته على الباخرة الرومانية التى كانت قد تاخرت لعل احدا يستطيع الاستفادة بها ويصل عبدالرحمن عزام - بعد ان يمر بظروف بالغة القسوة والعنف - الى الاسكندرية ليجد الحماية البريطانيه قد اعلنت على مصر وبعد اتصالات عديدة اجراها مع القيادات الوطنيه فى القاهرة - اسماعيل صدقى ، سالم هنداوى ، زكى على ، عبد المقصود متولى - ويقرر الشاب عبد الرحمن عزام بمغادرة مصر والالتحاق بالجيش التركى والاشتراك بأية صورة من الصور فى قتال الانجليز وبينما هو بعد اجراءات الخروج من مصر استدعاه فيبليديس بك - وكان وقتئذ وكيلا للحكمدار وشخصية هامة جدا فى البوليس - وقال له : لن تخرج من مصر مادامت الحرب قائمة ويرسل عزام الى مدير مدرسة الطب التى كان ملتحقا بها رسالة يعتذر فيها عن الحضور لمواصلة دراسته ولكن المدير يرسل اليه خطابا يطلب منه فيه الحضور لان الاحوال عادية فى العاصمة البريطانية ويقابل عبد الرحمن عزام رسل باشا ومعه خطاب مدير كلية الطب ولكن رسل باشا يعتذر عن التصريح له بالسفر ويطلب من مدير مدرسة الطب المصرية د . كينج ان يقبله فى

مدرسة الطب المصرية ويقبل عزام هذا الحل ، كما يقبله د . كينج الذى كان متخوفا الى ابعد الحدود من اشتغال الطالب عزام بالسياسة حتى انه استدعاه يوميا الى مقابلته - بعد ان أصبح طالبا منتظما فى المدرسة ليقول له ، انت جرثومة فساد فى هذه المدرسة . لقد فكر صديقى الجنرال مكسويل قائد القوات البريطانية فى مصر فى شنقك أو القائك فى السجن ولكننى حميتك ويقول له الطالب عبد الرحمن عزام ان الامبراطورية البريطانية تستطيع ان تشنقنى أو تسجننى ظلما اذا ارادت لانها تملك القوة التى تمكنها من ان تعمل ما تشاء ولكننى لم آت عملا استحق عليه هذا التهديد .

ويقول له د . كينج

أنت مفسد

ويفتح احد ادراج مكتبه ويخرج مجموعة من المقالات والخطب من بينها خطبته فى مؤتمر الشبيبه فى جنيف عن استبداد كتشنر و . و .

ويقول عبد الرحمن عزام - وهو الرجل المنصف دائما - ان د . كينج كان مخلصا حقا ورحيما حقا لانه حمانى فعلا من رجال البوليس السياسى لاسيما فى ذلك الوقت الرهيب الذى كانت الاحكام العرفية فيه عى اشدها وكانت اية تهمه تكفى للالقاء بأى انسان الى السجن بل لقد كان الناس يساقون الى السجن زرافات ووحدانا بدون ان توجه اليهم اية تهمة .

ورغم ان عبد الرحمن عزام كان يعرف الكثير عن حوادث محاولات الاعتداء على السلطان حسين وابراهيم فتحى باشا وزير الحربيه المصرية وقتئذ ، الا ان وجدانه وتدينه - كما قال كانا يمنعانى من الاشتراك فيها على الرغم من حماستى اذ لم تطاوعنى نفسى ابدا على الاغتيال والغدر وبحكم دراسته للطب ووجوده بالقصر العينى كان يهتم بالجرحى الاتراك الذين جىء بهم من قناة السويس بعد محاولة تركيا غزو مصر عن طريق القناة ويتعرف عبد الرحمن عزام الى بعض الجرحى ويعرف منهم ان هناك فكرة لانشاء جيش تركى ليبى يعد لغزو مصر من جهة الغرب ويتجه ذهن عبد الرحمن عزام ، على الفور الى الاتصال بالشيخ عبد العزيز ابو مصباح - من مشايخ العرب - وكان بينه وبين اسرة عزام صلة قرابة ليساعده على الهرب الى برقة ، ويلتقى عبد الرحمن عزام بضابط تركى جاء متخفيا للتجسس والعمل على اشعال ثورة فى مصر ضد الاحتلال البريطانى ويشترك عبد الرحمن عزام فى اخفاء اقامته واخفائه وتهريبه من مكان الى آخر ويتفق معه عزام على ان يحمل معه كل ما جمعه هذا الضابط التركى من معلومات ، وخرائط وكل ما لدى رجال الحزب الوطنى من معلومات ووثائق يمكن ان تفيد الجيش ويختفى عبد الرحمن عزام اياما من شهر ديسمبر ١٩١٥ ثم يظهر فى الاسكندرية ثم يعود الى دمنهور فالكوم الاخضر ، وتبدأ رحلة فى الصحراء الغربية راكبا جملا ، معرضا نفسه لاخطار الجوع والضباع ولطائرات الاستكشاف التى يحاول ان يمسح بها العدو الصحراء ، و . و . ويصل ورفاقه بعد اسبوع كامل الى مرسى مطروح .

ومن مرسى مطروح تبدأ مرحلة جديدة من المراحل التى وصفها عبد الرحمن عزام اروع وصف فى مذكراته لقد كانت الرحله خطيرة للغايه : ولكن الايمان القوى الراسخ ، الذى كان يمتلىء به قلب الشاب عبد الرحمن عزام كان أقوى من كل تلك المخاطر التى تعرض لها .

كان الموت يواجهه فى كل دقيقة من دقائق المسيرة ولكنه كان على ثقه مطلقه من ان الموت الذى سيواجهه سيقربه من الشهادة .

لقد كان مؤمنا بالله ، وبالرسالة التى نذر نفسه فى سبيل تحقيقها كان الايمان هو زاده ، وهو سلاحه ، فى كل لحظ مرت به .

ولذلك لم يكن يشعر بأى تعب على الاطلاق .

وللحديث بقية ان شاء الله .

إملأ هذا الكوبون وارسله إلى ص . ب ٢٠٩٣ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم ______

العنوان ______

المهنة ______ السن ______

تليفون ______

المكتبة الإسلامية

الإمام الألوسى

وتفسيره روح المعانى

الالوسى هو العلامة المحقق شباب الدين الستي
محمود الالوسى البغدادى مفتى بغداد .
وكان مولده فى جانب الكرخ من بغداد سنة سب
عشرة ومائتين بعد الالف من الهجرة النبوية .
أخذ العلم عن العلماء الاعلام ، وعلى رأسهم والد
وكان من العلماء الكبار والشيخ على السويدى
والشيخ خالد النقشبندى . وكان حرصه على العل
وما وهبه الله من قدرة على التحصيل وتمكن م
الفهم ، وعمل على التزود من العلم من العوامل الت
جعلت منه أرضا خصبة صالحة للانبات ، فاثمر عام
يانعا جعل منه شيخ علماء العراق ، وصاحب التفسي
الجامع الكبير .

ابتدأ النشاط العلمى الزاخر وهو ابن ثلاث عشرة سنة
ودرس فى عدة مدارس وكان حريصا على تبليغ العلم كما ك
حريصا على جمعه فكان يشجع طلاب العلم ، ويواسيهم ب
يملك ، ويقدم لهم ما يستطيع من وسائل الحياة ومتلطبات
ليتفرغوا للبحث والتحصيل .

وتقلد الالوسى الكثير من المناصب العلمية ، والاعم
المتصلة بالناحية الدينية ، فعين مفتيا للحنفية فى الس
الثامنة والاربعين بعد المائتين والالف من الهجرة المحمدية

كما تولى قبل ذلك اوقاف المدرسة المرجانية .. وتفرغ
شوال سنة ثلاث وستين ومائتين بعد الالف لتفسير القر
الكريم حتى اتمه ، ثم سافر الى القسطنطينية فى الس
السابعة والستين بعد المائتين والالف عارضا تفسي
على السلطان عبد المجيد خان ، فنال اعجابه ورضاه ..

تميز الالوسى بسرعة الفهم ، واتساع الحافظة ، وثب
محفظ ، حتى لقد عبر عن ذلك شاكرا فقال :

الدكتور منيع عبد الحليم محمود

ما استودعت ذهنى شيئا فخاننى ، ولا دعوت فكرى لمعضلة الا واجابنى » .

وكان جادا فى تحصيل العلم ، لايبالى بما يصيبه فيه ، شعاره هذا البيت المشهور :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى
من وصل غانية وطيب عناق

وخلف رحمة الله كثيرا من المؤلفات المفيدة فضلا عن تفسيره المشهور .. منها حاشيته على القطر فى النحو ، اكملها الى موضع الحال ، وشرح المسلم فى المنطق والاجوبة العراقية عن الاسئلة اللاهورية ، والاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية ودرة الغواص فى اوهام الخواص،والنفحات القدسية فى المباحث الامامية : والفوائد السنيه فى علم أداب البحث ...

وقد توفى رحمه الله فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة ١٢٧٠ هـ ودفن مع أهله فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى فى الكرخ .. رحمة الله ونفع بعلمه ..

التفسير

قدم الالوسى لكتابه بمقدمة مهمة بين فيها منهجه وحدد فيها سبب تاليفه له ، وألمح الى بعض مظاهر حياته ، وجوانب شخصيته فقال بعد الحمد والثناء

أما بعد ، فيقول عبيه العيوب ، وذنوب الذنوب ، افقر العباد اليه عز شانه ، مدرس دار السلطنة العلية ، ومفتى بغداد المحمية ، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى عفى عنه .

ان العلوم وان تباينت أصولها وغربت وشرقت فصولها ، واختلفت احوالها فهى بأسرها مهمة .

ثم بين ان اعلاها قدرا ، واغلاها مهرا علم التفسير ، الباحث عما اراده الله سبحانه بكلامه المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثم قال بعد ذلك :

وانى ـ ولله تعالى المنة ـ مذ نيطت عنى التمائم ، ونيطت على رأسى العمائم لم ازل متطلبا لاستكشاف سره المكتوم، مترقبا لارتشاف رحيقه المختوم طالما فرقت نومى لجمع شوارده ، وفارقت قومى لوصال خرائده فلو رايتنى وانا اصافح بالجبين صفحات الكتاب من السهر ، واطالع ـ ان أعوز الشمع يوما ـ على نور القمر ، فى كثير من ليالى الشهر ، وامثالى اذ ذاك يرفلون فى مطارف اللهو ، ويرفلون فى ميادين الزهو ويؤثرون مسرات الاشباح على لذات الارواح ، ويهبون نفائس الاوقات لنهب خسائس الشهوات ، وانا مع وحداثة سنى ، وضيق عطفى ، لا تغرنى حالهم ولا تغيرنى افعالهم ، كان لبنى لبانتى ، ووصال سعدى سعادتى حتى وقفت على كثير من حقائقه ، ووفقت لحل وفير من دقائقه ، وثقبت ـ والثناء لله تعالى من دره بقلم فكرى درا مثمنا . ولا بدع فانا من فضل الله الشهاب وابو الثنا وقبل ان يكمل سنى العشرين جعلت امدح به واصدع، وشرعت ادفع كثيرا من اشكالات الاشكال وادفع ، واتجاهر بما الهمنيه ربى مما لم أظفر به فى كتاب من دقائق التفسير ، واعلق على ما أغلق ممالم تعلق به ظفر كل ذى ذهن خطير ولست أنا أول من من الله تعالى عليك بذلك ، ولا آخر من سلك فى هاتيك المسالك فكم وكم للزمان ولد مثلى ، وكم تفضل الفرد عز شانه على كثير بأضعاف مثلى :

الا انما الايام أبناء واحد
وهذى الليالى كلها أخوات

الا أن رياض الاعصار عراها اعصار ، وحياض تيك الامصار اعتراها اعتصارا ، فصار العلم بالفيوق » ، والعلماء اعز من بيض الانوق .

والفضل معلق بأجنحة النسور ، وميت حى الادب لا يرجى له نشور :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولكن الملك المنان ـ أبقى من فضله الكثير قليلا من ذوى العرفان ، فى هذه الازمان دينهم اقتناص الشوارد ، وديدنهم افتضاض ابكار الفوائد ، يروون فيروون ، ويقدحون فيورون ، لكل منهم مزية لا يستتر نورها ، ومرتبة لا ينتشر نورها ، طالما اقتطفت من ازهارهم ، واقتبست من أنوارهم ، وكم صدر منهم اودعت علمه صدرى ، وحبر فيهم أفنيت فى فوائده جبرى ، ولم أزل مدة على هذه الحال لا أعبأ بما عبأ لى مما قيل او يقال ، كتاب الله لى افضل مؤانس ، وسميرى اذا اخلولكت ظلمة الحناوس .

نعم السمير كتاب الله ان له
حلاوه هى احلى من جنيى الضرب
به فنون المعانى قد جمعن لها
تفتر من عجب الا الى عجب
أمر ونهى وامثال وموعظة
وحكمة أودعت فى أفصح الكتب
لطائف يجتليها كل ذى بصر
وروضة يجتنيها كل ذى ادب

وكانت كثيرا ما تحدثنى فى القديم نفسى ، أن أحبس فى قفص التحرير ما اصطاده الذهن بشبكة الفكر او اختطفه باز الالهام فى جو حدس . فاتعلل تارة بتشويش البال بشيق الحال واخرى بفرط الملال ولسعة المجال الى أن رأيت فى بعض ليالى الجمعة من رجب الاصم سنة الالف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم رؤية لا اعدها اضغاث احلام ـ ولا أحسبها خيالات اوهام : ان الله جل شأنه ـ وعظم سلطانه أمرنى بطى السموات والارض رتق ففتقهما على الطول والعرض . فرفعت يدا الى السماء ، وخفضت الاخرى الى مستقر الماء ـ ثم انتبهت من نومتى وانا مستعظم رؤيتى فجعلت افتش لها عن تعبير فرأيت فى بعض الكتب انها اشارة الى تأليف تفسير ، فرددت حينئذ على النفس تعللها القديم وشرعت مستعينا بالله تعالى العظيم ، وكأنى ان شاء الله عن قريب عند اتمامه بعون عالم سرى ونجواى . انادى واقول غير مبال بتشفيع جهول : هذا تأويل رؤياى ، وكان الشروع فى الليلة السادسة عشرة من شعبان المبارك من السنة المذكورة وهى السنة الرابعة والثلاثون من سنى عمرى جعلها الله تعالى بسنى لطفه معمورة وهاك نموذجا من تفسيره :

قال تعالى : « ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » .

« ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل »

والمراد من ـ الاكل ـ ما يعم الاخذ والاستيلاء ، وعبر به لانه أهم الحوائج وبه يحصل اتلاف المال غالبا .

والمعنى : لا يأكل بعضكم مال بعض ، فهو على حد « ولا تلمزوا انفسكم » وليس من تقسيم الجمع على الجمع : كما فى « راكبوا دوابهم » حتى يكون معناه لا يأكل كل واحد منكم مال نفسه . بدليل قوله سبحانه : «بينكم فانه ـ بمعنى الواسطة ـ يقتضى ان يكون ما يضاف اليه منقسما الى طرفين ، يكون الاكل والمال حال الاكل متوسط بينهما ، وذلك ظاهر على المعنى المذكور ، والظرف متعلق بـ « تأكلوا » كالجار والمجرور بعده ، او بمحذوف حال من « الاموال والباء للسببية ، والمراد من « الباطل » الحرام » كالسرقة ، والغصب ، وكل ما لم يأذن بأخذ الشرع .

«وتدلوا بها الى الحكام » عطف على تأكلوا : فهو منهى عنه

مثله ، مجزوم بما جزم به وجوز نصبه بأن مضمرة ، ومثل هذا التركيب وان كان للنهى عن الجمع الا أنه لا ينافى ان يكون فى ان يكون كل من الامرين منهيا عنه ·

والادلاء فى الاصل ارسال الحبل فى البشر ثم استعير للتوصل الى الشىء او الالقاء والباء صلة الادلاء وجوز أن تكون سيبية : والضمير المجرور للاموال أى لا تتوصلوا : أو لا تلقوا بحكومتها والخصومة فيها الى الحكام قيل لا تلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وقرأ أبى «ولا تدلوا » لتأكلوا بالتحاكم والرفع اليهم ·
فريقا : جملة

من أموال الناس بالاثم : اى بسبب ما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة ويحتمل ان تكون الباء للمصاحبة ، اى متلبسين بالاثم ، والجار والمجرور على الاول متعلق بتأكلوا وعلى الثانى حال من فاعله ، وكذلك : « وانتم تعلمون »ومفعول العلم محذوف : اى : تعلمون انكم مبطلون ·

وفيه دلالة على أن من لا يعلم انه مبطل وحكم له الحاكم بأخذ مال فانه يجوز له اخذه ، اخرج ابن أبى حاتم عن سعيد ابن جبير مرسلا ان عبد الله بن أشوع الحضرمى وامرؤ القيس ابن عباس اختصما فى أرض ولم تكن بينة . فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا ، فارتدع عن اليمين وسلم الارض فنزلت ·

واستدل بها على أن حكم القاضى لا ينفذ باطنا فلا يحل به الاخذ فى الواقع والى ذلك ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وابو يوسف ومحمد ، ويؤيده ما أخرجه البخارى ومسلم عن أم سلمة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

« انما انا بشر وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذنه فانما اقطع له قطعة من النار » ·

وذهب الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه الى أن الحاكم اذا حكم ببينة بعقد او نسخ عقد مما يصح أن يبتدأ فهو نافد · ظاهرا وباطنا ويكون كعقد عقداه بينهما ، وان كان الشهود زورا كما روى أن رجلا خطب أمرأة هو دونها فأبت فادعى عند على كرم الله تعالى وجهه انه تزوجها ، واقام شاهدين ، فقالت المرأة لم أتزوجه ، وطلبت عقد النكاح فقال على كرم الله تعالى وجهه : قد زوجك الشاهدان وذهب فيمن ادعى حقا فى يدى رجل واقام بينة تقتضى انه له وحكم بذلك الحاكم انه لا يباح له أخذه ،وان حكم الحاكم لا يبيح مدعى مخالفيه لانهم ان أرادوا انها دليل على عدم النفوذ مطلقا فممنوع ، وان أرادوا انها دليل على عدم النفوذ فى الجملة فسلم ولا نزاع فيه ، لان الامام الاعظم رضى الله تعالى عنه يقول بذلك ، لكن فيما سمعت والمسألة معروفة فى الفروع والاصول ولها · تفصيل فى ادب القاضى فارجع اليه ·

هذا وبالله التوفيق

بنك القاهرة
خدمة
وخبرة
البنك يعرف طلبات عملائه جيداً
من منطلق سياسة الانفتاح الاقتصادى واطلاق الحرية لشركات القطاع العام فى التعامل مع البنوك التجارية .. فان بنك القاهرة يرحب بتعامل جميع القطاعات الاقتصادية معه ، واضعا خبرات أجهزته الفنية فى خدمة شتى القطاعات من خلال فروعه بجميع أنحاء الجمهورية ووحداته بالبلاد العربية ومراسليه بشتى أنحاء العالم
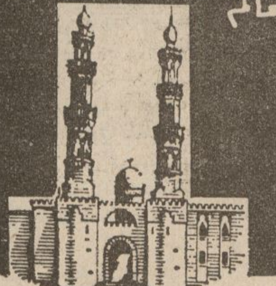
الإدارة العامة : ٢٢ ش عدلى القاهرة
تليفون : ٤٦/٤٩٤٤٣ تلغرافيا بنقاهر
صندوق بريد ١٤٩٥ - تلكس ٢٠٢٢
العلاقات العامة

الروض الفائق فى المواعظ والرقائق

للعلامة شعيب الحريفيش

عرض وتحليل
الدكتور على صافى حسين

ذكر هذا الكتاب عدد غير قليل ممن الفوا كتبا فى أسماء مؤلفات العرب ومصنفات الاسلاميين والتعرف بها وباصحابها من أمثال ، اسماعيل باشا البغدادى فى كتابه هداية العارفين لاسماء المؤلفين وحاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون فذكره بعضهم باسم « الروض الفائق » فحسب وبعضهم أضاف الى الاسم المذكور معنى المواعظ والرقائق اذا اورده تحت هذا العنوان « الروض الفائق فى المواعظ والرقائق » والعنوان الاخير أصح واليق واتم انطباقا على موضوع الكتاب ، اذ أورد فيه صاحبه كثيرا من القصص والحكايات التى تفيض بالحكم والعظات ..

ولا عجب فقد تصفحت هذا الكتاب من أوله لاخره فوجدته قد زخر بأخبار الصالحين وأحوال المتصوفين وقصص الزهاد والنساك وحكايات السالكين ونوادر المريدين ..

وقد استهله الشيخ شعيب ، بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله ، ثم شرع يتحدث فى مقدمه الكتاب عن المقاصد والاهداف التى الف من أجلها هذا الكتاب وهى

في جملتها وتفصيلها لا تخرج عن تبغيض الناس في الشرور والاثام وتشويقهم لفعل الخيرات وعمل الحسنات عسى أن يجتنبوا المحرمات والمحظورات وان يتحلوا بأجمل الخصال وأكرم الصفات ..

ثم ينتقل بعد الفراغ من المقدمة الى موضوع الكتاب وهو يقع في نحو نيف وخمسين بابا كلها في قصص شيوخ التصوف والمريدين وفي أحوال أئمة الزهادة والمتنسكين . وفي ذكر اقوالهم وجمع أشعارهم وما خلفوه من حكم وأمثال ..

ومن يتأمل أبواب هذا الكتاب وفصوله يستطيع أن يردها جميعا الى أبواب رئيسية ثلاثة هي :

اولا - ترجم شيوخ التصوف وزهاد الفقهاء فممن ترجم لهم في هذا الباب على سبيل المثال الامام محمد بن ادريس الشافعي . فقد ذكر مولده ونشأته وظروف زواج امه من ابيه ومن طريف ما اورده في هذا المقام قوله ان الشافعي مكث في بطن امه مدة أربعة أعوام وانها - أعني ام الشافعي - كانت قعيدة كسيحة .. فلما حملت به أخذت الحياة تدب في أعضاء جسدها ، فلم تضعه حتى أتم الله لها الشفاء .. ومن عليها بنعمة العافية التامة .

ثم يسترسل في ذكر أطوار حياة محمد بن ادريس الذي اشتهر فيما بعد باسم « الامام الشافعي » كما ترجم كذلك للامام مالك بن أنس فذكر أنه كان امام دار الهجرة وانه أول من صنف في الفقه . وجمع أحاديث الاحكام اذ يروى أن أبا جعفر المنصور طلب من الامام مالك أن يوطيء للناس موطأ يخلص فيه أحاديث رسول الله من غرائب أبي بن كعب وزيادات عبد الله بن مسعود ..

قال وكان الخليفة أبو جعفر يريد أن يحمل المسلمين في جميع أقطارهم على ذلك الموطأ غير أن مالك بن أنس أبى عليه ذلك وقال : أن اصحاب رسول الله قد تفرقوا في الاقاليم والاقطار وسمعوا ما لم نسمع وحفظوا ما لم نحفظ فدع الناس على ما هم عليه .

اما الباب الثاني : فهو في ذكر أشعار الصوفية العمليين والمتصوفين النظريين ممن انشأوا القريض ونظموا الاشعار في التعبير عن مواجيدهم وما كان يعرو قلوبهم في حبهم ربهم ، من لواعج ومشاعر وانفعالات .

فمن ذلك على سبيل المثال ما ذكره في هذا المقام منسوبا الى ابي الفيض ذي النون المصري شيخ التصوف في عصره وامام الزهادة في مصره قال :

ياذا الذي آنس الفؤاد بذكره
أنت الذي ما ان سواه أريد
يامنيتي دون الانام وبغيتي
يا من له كل الانام عبيد
تغني الليالي والزمان بأسره
وهواك غض في الفؤاد جديد

ولم يقتصر هذا الكتاب في ذكره أشعار الصوفية وقصائدهم على ما أنشأوه في الغزل والحب الالهي بل أورد كذلك أشعارهم التي نظموها في الزهد والحكمة والوعظ والارشاد فمن ذلك على سبيل المثال قول الشافعي :

صديق ليس ينفع يوم باس
قريب من عدو في القياس
وما يبغى الصديق بكل عصر
ولا الاخوان الا للتآسي
عمرت الدهر ملتمسا بجهدي
اخا ثقة فاكداه التماسي
تنكرت البلاد وعني حتى
كأن اناسها لسوا بناس
ان الذي رزق اليسار ولم يصب
حمدا ولا أجرا لغير موفق
فالجديد ين كل امر شاسع
والجد يفتح كل باب مغلق
واذا سمعت بأن مجدودا أحوى
عودا فأثمر في يديه فحقق
واذا سمعت بأن محروما أتى
ماء يشربه فغاض فصدق
واحق خلق الله بالهم امرؤ
ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

اما الباب الثالث والاخير فهو في ذكر ما روى عن أئمة الصوفية وشيوخ الطرق من كلام منثور مما عبروا به عن تعاليمهم وآرائهم حيال الوجود الحسي ومظاهر الحياة الواقعية مما يتصل بالنزعات الدنيوية والرغبات البشرية من جهة وحيال سلوك بني الانسان وأعمالهم فيما يتصل بعلاقة بعضهم أو يتصل بسلوكهم تجاه الله من جهة أخرى .

وقد نظرت في كل ما تضمنه كتاب الروض الفائق من أقوال أولئك الصوفية وحكمهم وأمثالهم مما صيغ في اسلوب النثر المسجوع او المرسل فوجدته ينحصر في فنون ثلاث هي

اولا : مناجاة الله والتضرع اليه كقول ذي النون :

« لئن مددت يدي اليك داعيا ، لطال ما كفيتني ساهيا . أقطع منك رجاي بما عملت يداي حسبي من سؤالي علمك بحالي »

ثانيا : الحكمة والارشاد وذلك كقوله : اذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه وقوله : الصدق سيف الله في أرضه ، فما وضع على شيء الا قطعة ..

ثالثا : التعبير عن المقامات والاحوال وارشاد المريدين وهذا الضرب من نثر أولئك الاعلام ، قد جاء بدوره كما يعطيه كثير مما تضمنه عدد غير قليل من أبواب هذا الكتاب . على نوعين - الاول - أسلوب الاقصوصة او الحكاية - والثاني - الاسلوب التعليمي فمن أمثلة أسلوب الاقصوصة أو الحكاية ما روى في هذا الكتاب عن ذي النون أنه قال :

« كان لي صديق فقير ، فمات ، فرأيته في النوم . فقلت له ما فعل الله بك ، قال - قال قد غفرت لك بترددك الى هؤلاء السفل ابناء الدنيا في رغيف قبل أن يعطوك »

ومن أمثلة الاسلوب التعليمي قوله : **« يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق ، فليلق العلماء بالجهد ، والزهاد بالرغبه ، وأهل المعرفة بالصمت »**

هذا على ان ما رواه الشيخ شعيب من نثر الصوفية والمتنسكين ليس قاصرا على تلك الفنون وهاتيك الموضوعات التي أسلفها بل وجدت فيه كذلك مجموعة ضافية من الاقوال والحكايات والاخبار والروايات مما يدخل في باب التعبير عن العواطف والانفعالات والمشاعر والوجدانات مما يمر به السالكون او يعانونه أثناء المجاهدة والمكابدة من حالات الحب الالهي ولعجات الوجد الروحي وجملة القول في كتاب الروض الفائق أنه جليل النفع عظيم الفائدة لكل الدارسين وجميع الباحثين من ذوي العناية بأخبار المتنسكين والمهتمين بسير المتصوفين سواء أكان هؤلاء الباحثون وأولئك الدارسون من رجال الدين والتصوف أو الوعظ والارشاد أو اهل الشعر وأرباب الادب . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في البلدان العربية والاقطار الاسلامية والنسخة التي بين يدينا طبعت في مصر عام ١٢٨٠ هجرية *

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

س ١ من السيد حنفى هريدى مؤسسة الاهرام بالجلاء – القاهرة

سها الامام فصلى الظهر خمس ركعات ولم يسجد للسهو وقد اختلفت الاراء فى صحة هذه الصلاة فما الحكم وما هو واجب المأمومين ؟

الجواب

هذه الصلاة صحيحة على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه سواء جلس الامام للركعة الرابعة قبل سجوده للخامسة أو لم يجلس وكان على الامام بعد جلوسه للخامسة وتشهده أن يسجد للسهو غير أن ترك سجود السهو فى هذه الحالة لا يبطل الصلاة .

أما الحنفية فانهم يفرقون فى الحكم بين ما اذا جلس الامام للركعة الرابعة قبل أن يسجد للخامسة وبين ما اذا لم يجلس ، فاذا لم يجلس للركعة الرابعة قبل سجوده للخامسة فقد بطل وصف الفرضية للصلاة وصارت نفلا ويضم ان شاء ركعة سادسة ليصير الجميع له نفلا ثم يعيد الامام والمأمومون صلاتهم لان صلاة الامام اذا بطلت فقد بطلت صلاة المأمومين .

أما اذا جلس للركعة الرابعة قبل سجوده للخامسة فقد صح فرضه لانه اتى بالقعود الاخير بعد الرابعة ويضم ركعة سادسة لتصير الركعتان الزائدتان له نفلا ثم يسجد للسهو لتأخير القعود الاخير فان لم يسجد للسهو فالافضل اعادة الصلاة مادام الوقت باقيا وان ضاق الوقت فلا اعادة والصلاة صحيحة .

وواجب المأمومين حين يقوم الامام ساهيا للخامسة أن يظلوا جالسين ويذكروا امامهم بنحو تسبيحة كقولهم « سبحان الله » فان عاد أتم معهم الصلاة وسجد وسجدوا معه للسهو وان لم يعد حتى سجد للخامسة وكان قيامه لها قبل جلوسه للرابعة فقد بطل فرض الصلاة للامام والمأمومين معا وعليهم اعادتها كما ذكرنا وان كان قيامه للخامسة بعد جلوسه للرابعة انتظره المأمون بعد أن يذكروه فان قيد الخامسة بسجدة سلموا وحدهم وصلاة الجميع صحيحة .

س ٢ من المواطنة رحماني عائشة من الجزائر

تقول : انها طالبة منضمة للمجموعة الصوتية التابعة للمدرسة ولما نجحت مع غيرها فى أداء الاناشيد المطلوبة أقيمت لهم حفلات فى نفس البلد الذى تقطن فيه ولكن فى ولاية غير ولايتها غير أن والدها منعها من الذهاب لان الاسلام يحرم ذهابها وحدها .

وتسأل هل الاسلام يحرم على المرأة أن تسافر وحدها خارج أو داخل قطرها ؟

الجواب

الاسلام لا يمنع سفر المرأة بمفردها لمسافة أقل من المسافة التى تبيح قصر الصلاة الرباعية وقدرها فقهاء الحنفية بثلاثة ايام من اقصر ايام السنة بالسير الوسط مع الاستراحات وهى بمشى الاقدام وسير الابل فى البر وفى الجبل بما يناسبه وفى البحر اعتدال الريح من الصباح حتى الزوال وهى مقدرة بحوالى ٨٠ كيلومتر تقريبا – أما مسافة القصر فلا يجوز للمرأة ان تسافر اليها بمفردها الا ان يكون معها زوجها أو احد محارمها من الرجال ويجيز الشافعية للمرأة أن تسافر مع رفقة صالحة من النساء – وذهاب الطالبة مع زميلاتها الطالبات وعدد من المشرفات على المدرسة يعتبر رفقة صالحة كما يرى الامام الشافعى رضى الله عنه .

س ١ : من المواطن العربى صفيح محمد من غليزان – الجزائر

يقول ان بعض الناس ينصب الخيام حول اضرحة الاولياء ويطعم الطعام ويقيم الحفلات الغنائية التى يحييها المغنون . واذا سئل احدهم فى ذلك قال انه يطعم الطعام على سيده « الولى » ولا يعرف ان هذا الطعام لوجه الله – فما الرأى فى ذلك .. ولماذا هذه الحفلات الغنائية حول الاولياء ؟

الجواب

اطعام الطعام حول قبور الاولياء او غير الاولياء عمل مباح ولا حرج فيه فمن اكل من هذا الطعام فقير فذلك صدقة ونحن مطالبون – بالصدقة على الفقراء والمساكين – والله تعالى يقول : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين » . ويقول تعالى فى عباده الابرار « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا .. انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . الخ »

وان أكل من هذا الطعام غنى كان الطعام هدية له وكان المطعم مأجورا على طعامه والمطعوم مأجورا على قبول دعوة صاحب هذا الطعام – وهذا كله عمل مشروع والله يجزى عليه خيرا بقدر اخلاص صاحب الطعام ونيته – والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى »

أما الولى فانه لن يأكل من هذا الطعام ولن يشرب بعد ان انتقل الى عالم الروح والبرزخ ولعل المطعم يقصد بقوله انه يطعم الطعام على سيده انه يجعل ثوابه لهذا الولى – أما الغناء والمغنون حول القبور او الاضرحه فهذا ليس من الدين فى شىء انما هو من العادات السيئة التى يجب محاربتها وتنقية اعمال الخير من شرها ووزرها .

س ٤ : من الطالب سمير الحسينى حسن عطيه بنهائى طب طنطا – من منوف

هل تذكر اى خاطر او شىء فى الصلاة يجعل الصلاه غير مقبولة مع العلم بأن الواحد يبذل كل جهده فى التركيز فى الصلاة والله يقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

الجواب

الخواطر التى ترد على الانسان وهو فى الصلاة انما هى من فعل الشيطان الذى يحاول جهد طاقته ان يفسد على العابد عبادته وهى لا تفسد الصلاة ونرجو الا تؤثر فى قبولها عند الله سبحانه فان القبول وعدمه أمر لا يعلمه الا من يعلم السر واخفى ، والمطلوب من المصلى أن يخشع لله قلبه لتخشع جوارحه وان يكون مخلصا فى عبادته . فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » وعلى المصلى ليفسد على الشيطان كيده ويبطل تدبيره ويدفع وساوسه . ان يذكر حين يدخل فى الصلاة انه بين يدى خالقه ومولاه وان يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فان الله سبحانه يراه وان يحصر تفكيره فى معانى الايات التى يتلوها من كتاب الله وان يتذكر الجنة وما أعد الله فيها لعباده المتقين ويذكر النار وما أعد فيها للعصاة المذنبين ثم ليجعل بصره الى موضع سجوده وهو قائم والى ظاهر قدميه وهو راكع والى أرنبة انفه وهو ساجد والى حجره وهو جالس والى منكبيه حين يسلم خارجا من الصلاة . فاذا راعى ذلك كله وادى لصلاته حقها من الخشوع والخضوع والاطمئنان واداء الاركان وغيرها على الوجه المرضى فان الله هو المرجو ان يقبله ويتقبل منه .

س ٥ : من نفس السائل

ينتابنى دائما احساس الخوف من الموت فى كل لحظة مع أنى أؤدى الفرائض بقدر الامكان وأقرأ

القرآن وهذا الخوف يؤثر على فى العمل وكلما شعرت بتعب بسيط اتذكر الموت وأرى أمام عينى كل ما ارتكبته من اخطار فأخاف وأحزن اذ كيف أواجه ربى بهذه الاخطاء ؟ فهل هذا دليل على ضعف ايمانى ؟

الجواب :

هذه ظاهرة صحية تدل على قوة الايمان لا على ضعفه غير أن الواجب على المؤمن ان يذكر الموت دائما ولكن لا يخاف منه واذا تذكر المؤمن الموت وأنه لا ريب آت فى أى لحظة من لحظات العمر فيبغى أن يعمل لاخرته كأنه يموت غدا كما يعمل لدنياه كأنه يعيش ابدا والخوف من لقاء الله يجب ان يكون حياء من المعاصى ورجاء فى عفو الله ومغفرته لا ياسا من رحمته فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون - وحال المؤمن دائما بين الرجاء فى رحمة الله والخوف من عقابه .

وتذكر الموت ينبغى أن يدفع المؤمن الى أن يخلص العبادة لله ويحسن العمل لدينه ودنياه واذا كانت صفحات أعمال السائل تنشر أمام عينيه فيتذكر فيستحى من نفسه كيف يلقى ربه بهذه الاخطاء فان هذا دليل على صحوة الضمير الدينى فليكن هذا حافزا له على التوبة الى الله توبة نصوحا يعقبها عمل صالح دءوب فان الله سبحانه يبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويقول سبحانه « **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما** .

س ٦ : من أ ٠ ع ٠ م الزقازيق

يقول أنه طالب متدين جدا ويخشى أن يناله عقاب الله فى الاخرة على ما يدرسه من القوانين الوضعية فى كلية الحقوق ويسأل ان كان الوزر فى ذلك عليه أم على المسئولين ٠ مع أنه غير مقتنع بهذه الدراسة ويطالب بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ولكنه ملتزم بالمذاكرة لاجتياز الامتحان ٠٠

الجواب :

لا وزر عليك يا بنى - ولا على غيرك من المسئولين فى دراسة ما يدرس فى كلية الحقوق انما الوزر فى عدم العناية بتدريس الشريعة الاسلامية وعدم اعطائها الزمن المناسب فى كليات الحقوق على الاقل - كغيرها من القوانين - والواجب فى دولة العلم والايمان بل الواجب على جميع الدول الاسلامية أن تعنى بتدريس الشريعة الاسلامية فى جميع المراحل التعليمية وخاصة فى كلية الحقوق التى ينبغى على المسئولين عنها أن ينظروا الى الشريعة الاسلامية على انها المصدر الرئيسى لجميع القوانين بل يجب أن تكون المصدر الوحيد للتشريع وأن تعطى القدر الكافى من الزمن لتدريسها لطلاب الحقوق الذين سيوكل اليهم أمر التشريع وتطبيق القوانين - وحتى يوفق الله المسئولين الى تطبيق الشريعة الاسلامية وجعلها المصدر الوحيد لجميع القوانين فعلى كليات الحقوق واساتذتها وطلابها أن يعدوا أنفسهم لتدريس الشريعة الاسلاميه وفهم نصوصها ومقارنتها بغيرها من القوانين ليتبين لهم مدى ما تحمله الشريعة الاسلامية من سعادة البشر فى كل زمان ومكان لانها من وضع رب العالمين الخبير بما فيه خير الناس واصلاح أمرهم .

س ٧ : من المواطن ابراهيم حامد ابراهيم اكوه - شرفيه - كراديس مركز ديرب نجم

يقول انه دار نقاش بينه وبين والده حول كتاب يسمى « اضواء على السنة المحمديه » لاحد المؤلفين يعترض مؤلفه على بعض احاديث رواها البخارى عن ابى هريره رضى الله عنه كحديث شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم - ووجه اعتراض المؤلف أن الله تعالى يقول « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين » فلم يكن هناك حاجة الى شق الصدر لاخراج حظ الشيطان منه ... والله سبحانه قادر على ان يخلقه نقيا لا سيطرة للشيطان عليه - ويريد السائل معرفة الصواب على هذا الموضوع .

جواب :

أحاديث شق الصدر فى البخارى ومسلم صحيحة ولا وجه للاعتراض بما ذكر ..

نعم الله سبحانه قادر على أن يخلق صدر رسوله نقيا مبرءا من حظ الشيطان ولكن الحادثة توجيه من الله تعالى لعباده المؤمنين يقر الى ما يجب عليهم من تطهير قلوبهم من الحسد والحقد والضغينة ونزع ما فى صدورهم من الغل والكبد للاخرين ثم الاتجاه الى الله بعد ذلك بقلوب طاهرة وصدور نقية ونفوس ذكية تقبل على العمل النافع للانسان ولغيره دنيا ودينا فمسألة شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة وقعت ترمز الى ما ينبغى فى تخلية القلوب من الاثام ثم تحليتها بنور العلم والايمان .

س ٨ : من السيد - محمد شعبان السيد ابو المجد ٠ ناهيا - امبابة - الجيزة هل يوجد حديث صحيح

عن صلاة الاستجابة وما هى كيفية أدائها وما عدد ركعاتها ؟ وما هو الدعاء الذى يقال فى آخرها ؟

هناك صلاة تسمى صلاة الحاجة وقد ذكرها الامام الغزالى فى كتابه « احياء علوم الدين » تحت عنوان النوافل التى تتعلق بأسباب عارضة ولا تتعلق بالمواقيت والاحاديث الواردة فى صلاة الحاجة لم تسلم من الضعف غير أن الاحاديث الضعيفة يعمل بها فى صالح الاعمال – وصلاة الحاجة لا تزيد على كونها عبادة لله تعالى من قيام وركوع وسجود ودعاء لله وصلاة على النبى صلى اللهعليه وسلم – فليس هناك ما يمنع من اداء هذه الصلاة كلما مست الحاجة اليها ..

قال صاحب الاحياء فى شأنصلاةالحاجة ،فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة ، فقد روى عن وهيب ابن الورد أنه قال : ان من الدعاء الذى لا يرد ان يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة – « وفى بعض الروايات انها ركعتان » يقرأ فى كل ركعة بأم الكتاب واية الكرسى وقل هو الله أحد ، فاذا فرغ خر ساجدا، ثم قال : سبحان الذى لبس العز وقال به ، سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له ، سبحان ذى المن والفضل ، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، أن تصلى على محمد وعلى آل محمد . ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها ، فيجاب ان شاء الله عز وجل ..

س ٩ : من الشيخ عبد الملك امام عبد الباقى عبد الرءوف – من مسلمى جنوب افريقيا « رأس الرجاء الصالح »

ما حكم خطبة الجمعة بغير العربية على المذاهب الاربعة .

الجواب :

يرى الحنفية أن خطبة الجمعة تجوز بغير العربية ولو كان الخطيب قادرا على التكلم بالعربية سواء كان القوم عربا أو غير عرب .

ويشترط الشافعية أن تكون أركان الخطبتين باللغة العربية فلا يكفى غير العربية متى أمكن تعلمها فان لم يمكن خطب بغيرها – هذا اذا كان القوم عربا – أما غير العرب فانه لا يشترط اداء أركانها بالعربية مطلقا ولو امكنه تعلمها ما عدا الاية فانه لابد ان ينطق بها بالعربية الا اذا عجز عن ذلك فانه يأتى بدلها بذكر أو دعاء عربى ، فان عجز عن هذا أيضا فعليه أن يقف بقدر قراءه الاية ولا يترجم .

وأما غير أركان الخطبة فلا يشترط لها العربية بل ذلك سنة ...

وقال الحنابلة : لا تصح الخطبة بغير العربية ان كان الخطيب قادرا على التكلم بالعربية فان عجز عن العربية أتى بغيرها مما يحسنه سواء كان القوم عربا أو غيرهم لكن الاية القرآنية التى هى ركن من أركان الخطبتين لا يجوز له أن ينطق بها بغير العربية فيأتى بدلها بأى ذكر شاء بالعربية فان عجز سكت بقدر قراءة الاية ..

والمالكية : يشترطون فى الخطبة أن تكون باللغة العربية ولو كان القوم غير عرب لا يعرفون العربية فان لم يوجد فيهم من يحسن اللغة العربية بحيث يؤدى الخطبة بها سقطت عنهم الجمعة ...

هذا – وليس من الضرورى التقيد بمذهب فقهى معين بل يجوز الاخذ بما يناسب من آراء الفقهاء الاربعة – والله أعلم ..

س ١٠ : من الطالبة ثناء أحمد اسماعيل – الزقازيق .

لماذا قال الله تعالى فى أول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق – ولم يقل اقرأ باسم الله الذى خلق ؟

الجواب :

كلمة الرب – فيها معنى الربوبية تربية وانعام فالله تعالى يقول لنبيه ومصطفاه وهو « الامى » الذى لا يعرف القراءة : ربك الذى أنعم عليك وعلى الوجود كله بنعمة خلق الانسان وتعليمه ربك الذى علم الانسان ما لم يعلم هو الذى سيتولى تربيتك وتعليمك ، فباسم الذى رباك وأنعم عليك اقرأ – **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .**

أما لفظ الجلالة « الله » ففيه معنى الالوهية واستحقاق العبادة له وحده فالله هو المعبود بحق دون سواه « **قل هو الله أحد ، الله الصمد** » .

لذلك – والله أعلم – كان المناسب لفظ « رب » فى بداية أول آية نزلت من القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

«بقية خطاب الرئيس فى مؤتمر عدم الانحياز»

١٩٧٣ بعد شهر واحد من لقائنا فى الجزائر والتأييد الاجماعى الذى وجدناه منكم .

ولعلكم تتفقون معى فى أن اسرائيل التى كرست نفسها لتكون مصدرا للعدوان على الشعوب العربية والافريقية واداة لتنفيذ المؤامرات والمخططات المشبوهة فى المنطقة التى تحكم بالحديد والنار شعوبا افريقية شقيقة عزيزة علينا جميعا تتفقون معى فى أن اسرائيل وهذا شأنها فى حاجة الى درس جديد يزيل ما بقى لديها من أوهام التفوق والسيطرة ويقنعها دون أدنى شك بأن الدول غير المنحازة لن تقبل ان تستمر دولة كهذه مهما كانت القوى التى تساندها وتقف وراءها فى تحدى ارادتها الجماعية ومشاعرها .

ونحن كما عاهدناكم لا نتنصل من مسئولية ولا نلقى على أحد عبء النضال من أجلنا فنحن نقبل التحدى ونصر على مواجهته مهما كلفنا ذلك من تضحيات وسوف نكون دائما فى طليعة المحاربين من أجل التحرير وانما يهمنا ويشد من ازرنا ان تتجلى وحدتنا فى كل خطوة نخطوها وان تكون هناك مشاركة حقيقية منا جميعا فى الكفاح ضد العدو المشترك .

ولست اتصور ان احدا منا يقبل ان يستمر العدوان الذى يتعرض له الشعب الفلسطينى ليس فقط فى حقوقه السياسية والعامة بل أيضا فى حياته اليوميه وحقه فى الحياة المنتجة الخلاقة كسائر الشعوب ولذلك فاننا مطالبون كما ذكرت من قبل بأن نتخذ معا الاجراءات العملية الكفيلة بوقف هذا العدوان وردعه وضمان عدم تعرض أى منا لمثله فى المستقبل .

ولست اشك كذلك فى أننا سوف نتصدى بكل حزم لمحور تل ابيب بريتوريا الذى يحاول ارهاب الشعوب الافريقية والعربية الى حد التلويح بانتاج الاسلحة النووية والتهديد باستخدامها . ويبدو أن هؤلاء العنصريين نسوا اننا . لانتعامل بهذا المنطق ..ولا ترهبنا تلك الحركات المسرحية فاننا وقد تصدينا للقوى الكبرى التى حاولت النيل من حقوقنا واهدار كرامتنا لا يمكن أن نتردد لحظة فى التصدى لمؤامرات الاذناب ومن يحاولون التشبث بالنظريات الاستعمارية التى أصبحت من مخلفات عصور الظلام والتخلف .

ومن جهة اخرى فنحن نؤكد من جديد تضامننا التام مع اخوتنا فى آسيا فى كفاحهم فى سبيل تثبيت استقلالهم الذى حصلوا عليه بعد كفاح مرير ونقف معهم ضد المخاطر التى يتعرضون لها نتيجه امتداد الصراع بين القوى الكبرى الى الارأضى والمحيطات الاسيوية .

التدخل الاجنبى فى لبنان

واذا نظرنا حولنا لوجدنا أن لبنان الشقيق وهو بلد غير منحاز له وضعه الاستراتيجى الحساس يتعرض منذ اكثر من عام لعملية مستمرة من التدخل الاجنبى هددت الامن والاستقرار فيه واحالت حياة الافراد والجماعات الى فوضى لا حد لها فلابد أن يكون هذا الوضع محل اهتمام بالغ من دول عدم الانحياز ولابد ان تعلن وقوفها الى جانب حماية لبنان من التدخل الاجنبى ومساعدته فى مقاومته والحفاظ على استقلاله ووحده اقليمه وشعبه . وتدعيم التعايش الاخوى بين الشعبين اللبنانى والفلسطينى وعلى ذلك فنحن ننتظر من هذا المؤتمر ان يقر تلك المبادىء التى هى جوهر النظام الدولى المعاصر وان يشترك معنا فى مطالبة من يتدخلون فى الشئون اللبنانية برفع ايديهم عن هذا البلد الشقيق وترك شعبه حرا فى تسوية مشاكله وحسم أموره .

ومن الظواهر الايجابية ان حركة عدم الانحياز تنتشر باستمرار فى امريكا اللاتينية ويأتى هذا الانتشار متوازيا مع تزايد ادراك شعوب تلك القارة أن طريق عدم الانحياز هو السبيل الوحيد الى السلام والعدالة والامان ويسعدنا أن تحضر مؤتمرنا هذا سبع دول لاتينية ذات عضوية كاملة وعشر دول أخرى بصفة مراقب . ولا يمكن أن نغفل كذلك الاسهام الايجابى الذى تقدمه الدول غير المنحازة فى أوروبا وبخاصة يوغوسلافيا التى حملت لواء الدعوة لعدم الانحياز وقدمت نموذجا مشرفا لاستقلال الارادة والالتزام بالاخاء العالمى .

السيدة رئيسة المؤتمر

أيها الاخوة .

أننا الان فى مفترق طرق تاريخى ونحن نواجه مسئولية جسيمة واختيارا مصيريا لا نملك ازاءه سوى ان نعقد العزم على السير معا على طريق التحرير والسلام والتقدم فنكون منحازين الى العدل والمساواه وكرامة الانسان الحر دون تفرقه او تمييز على أساس الجنس أو اللون او الدين .. منحازين الى الاستقلال التام وعدم التدخل فى الشئون الداخليه للدول وحق الشعوب فى استغلال مواردها الطبيعية . منحازين ضد الامبريالية وسيطرة رأس المال والشعارات الزائفه وامبريالية الايديولوجيات والاستغلال وانتهاك الحقوق الطبيعيه للشعوب ولسيادتها .

ومن جانبها تعاهدكم على ان يظل عدم الانحياز الدستور الذى لا نحيد عنه والالتزام الذى يسبق كل ما عداه والدرب الذى تسير عليه وهى تضع يدها فى أيديكم لكى نضع معا استراتيجيه جديده للسلام ومنهجا للتقدم الانسانى فى عصر الفضاء ونبنى صرحا نقدمه للاجيال المقبله من ابنائنا يكون جذوه لا تنطفىء والهاما لايخبو نوره وقوة لاتقهر توحد ولا تفرق تحمى ولا تهدد تعدل فلا تجور ولا تبغى وغدا تشرق شمس الحرية فى كل انحاء العالم وترفرف رايات السلام على كل مكان .

والله يوفقنا ويرعى عملنا وحركتنا .

الأسرة المسلمة

حلقات فى منهج إسلامى متكامل

قل: هذه سبيلى، أدعو إلى الله، على بصيرة.

... واذا كان « الامساك » عن الطعام والشراب فى رمضان انما هو « مجرد » مدخل ! للصوم الحقيقى ، وهو « الامساك » عن المعاصى والشرور ،امساكا يقطع ما بين الانسان والشيطان ، ويصل مابين الانسان وربه » ، فان ذلك لا يعنى ان شهر الصوم المبارك نهاية مطاف بالنسبة للمسلم ،ولكنه بداية ذلك المطاف.

وبما لم يفهم « الصوم » هذا الفهم ـ كما اراده الاسلام ـ فان المسلم لا يخرج منه بغير « رياضة » الجسد على تحمل متاعب الجوع والعطش ، أما رياضة « الروح » ، وهى هدف الاهداف فى الصوم الاسلامى ، فان الصائم يخرج منها صفر اليدين.

والحق أن الصوم لا ينفرد عن العبادات الاسلامية الاخرى بهذه الميزة ، فالعبادات الاسلامية كلها تمتاز عن عبادات الاديان السابقة الاخرى بانها « رياضات » روحية مقصودة ، يستصفى بها المسلم نفسه وروحه، ويخلصها من الادران التى يمكن ان تعلق بها بفعل الشيطان فى النفس الانسانية ، حتى يكون الانسان جديرا بذلك التكريم الذى كرمه به ربه يوم استخلفه دون غيره من خلق الله الكثير ، بما فى ذلك الملائكة المقربون أنفسهم :

ـ « واذا قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الارض خليفه . قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال : انى اعلم مالا تعلمون » البقرة ـ ٣٠ .

الصوم ـ كما سبق ـ ليس امتناعا عن الطعام والشراب ، وانما هو امتناع عن الشرور كلها ، وبالتالى امتناع عن سبيل الشيطان ، وسير فى طريق الله ـ والا فما أكثر الممتنعين عن الطعام والشراب من غير المسلمين ، لاسباب كثيرة ولايمكن اعتبارهم صائمين .

والصلاة ليست حركات جوفاء تؤدى ، تتردد فيها ايات قرآنية . وبعض ادعيه وتسبيحات ، وانما هى « اتصال ، وثيق بالله ، « ينقطع » به المسلم عن الدنيا ، بما فيها ومن فيها ، خمس مرات مفروضة كل يوم ، يناجى فيها ربه عن قرب ، ويذوق ، حلاوة تلك المناجاة ، فيتجنب طريق الشيطان ، ويسلك طريق الله الذى احس ـ ويحس ـ حلاوة مناجاته ، وبالتالى السير فى طريقه .

الدكتور عبد الغنى عبود

فهى رياضة « روحية » اخرى كالصوم ، ان اديت – مثله – على وجهها الصحيح ».

والزكاة ليست مجرد اخراج قدر معين من المال فى رمضان ، أو فى غيره من المناسبات ، والا فما أكثر المخرجين المال من القادرين غير المسلمين ، ربما بقدر اكبر مما يخرج به المسلمون هذه الزكاة ، ومع ذلك ، فليس هذا الاخراج من الزكاة فى شىء ».

وانما الزكاة هى الاخرى – كالصلاة والصوم – رياضة – « روحية » على « البذل » والعطاء، ورياضة « روحية » على اخذ القوى بيد الضعيف ».
واذا كان « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فان الزكاة تغدو « رياضة » روحية على « بذل » هذه الحياة الدنيا كلها رخيصة فى سبيل الله ، ان طلب بذل النفس والمال فى سبيل الله ».

والحج ليس مجرد « رحلة » الى بيت الله الحرام فى مكة ، تؤدى فيها طقوس معينة ، والا فما اقدر غير المسلمين على الارتحال الى كل مكان اليوم ».

وانما هو الاخر كالصلاة والصوم والزكاة – رياضة « روحية » على « الارتحال » فى سبيل الله ، وعلى « الاهتمام » بشئون المسلمين – كل المسلمين .
فهى « رياضة » تتجاوز آفاق « النفس » الى آفاق « الجماعة » وتتجاوز الافق « المحلى » الضيق ، الى الافق « الانسانى » الرحب ، وبها تترجم عمليا « مسئولية » المسلم عن الانسانية جمعاء ، وتتحول من مجرد شعار يرفع ، الى « حقيقة » واقعة.

• • •

فالعبادات فى الاسلام كلها ليست مجرد « حركات » تؤدى ، أو « أدعية » يتحرك بها اللسان ، وانما هى « رياضات » روحية ، يروض بها المسلم نفسه على السير فى طريق الله ، وتحمل مسئولية « الاستخلاف » التى شرف بها الانسان يوم خلقه ».

وهى « رياضات » روحية ، يروض بها المسلم نفسه على التصدى للشيطان ، الذى أقسم بعزة الله – يوم طرد من رحمة الله – ليغوين ذلك « الانسان » بكل سبيل ، حقدا منه على ذلك « الانسان » الذى فضله ربه عليه ، والذى تسبب فيما آل اليه من شقاء : –

« قال : فاخرج منها ، فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين . قال : رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال : فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال : فبعزتك لاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » « ص : ٧٧ – ٨٣ ».

وهذه « الرياضات » الروحية تنتظم ذلك « المنهج » الربانى الكريم ، الذى خططه لتربية النفس الانسانية ، التى خلقها وسواها ، **وهو سبحانه بها أعلم** ».

والوقوف عند « شكليات » **هذا** « المنهج » الربانى الكريم امر لايسىء الى هذا المنهج وانما يسىء الى من يسيئون تطبيقه ».

والاكتفاء « بشكليات » هذا المنهج الربانى لا يحقق الهدف المرجو منه .
والاخذ « ببعض » هذا المنهج الربانى وترك بعضه الاخر لا يقل خطرا عن الاكتفاء بالشكل فيه دون الجوهر ».

فلابد – لنجاح هذا « المنهج الربانى » من الاخذ به متكاملا ».

ولابد – أيضا – من الاخذ بروحه وشكله معا ».
وليس ذلك بالامر السهل اليسير ، اذ لا يقدر عليه الا من هدى الله قلبه الى الايمان الصحيح به ».

ودون ذلك الهدف العزيز جهاد عنيف للنفس وشيطانها ، دونه جهاد العدو ، بالسلاح التقليدى .

ولعل ذلك هو ماقصده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند عودته من احدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » **ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن هذا الجهاد الاكبر ، أجاب ، « انه جهاد النفس » .**

ان المسلم اذا « انتصر » على نفسه سهل عليه أن ينتصر على عدوه .

ولن يستطيع المسلم أن ينتصر على نفسه فينتصر على عدوه الا اذا اخذ بهذا المنهج الربانى المتكامل – شكلا وجوهرا ، فيه يملك الدنيا – كما ملكها المسلمون الاوائل – بعد ان ملكته ، وبه يكون المسلمون « خير أمة أخرجت للناس » ، بعد ان هانوا على أنفسهم – بتركهم هذا المنهج – فهانوا على الناس ».

وبهذا « المنهج الربانى » المتكامل . يستطيع المسلمون أن يقدموا الى الانسانية المعذبة الحل ، فيقودوها الى طريق الله ، تتخلص به وبالسير فيه من « كابوس » المادية الثقيل ، وتعود الى مافتقدته طويلا من امن وسلام :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب . ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، ان الله لا يخلف الميعاد »

الزاد الدينى للمرأة فى الإسلام

الأستاذة سهير محمد الحلبى

المرأة شقيقة الرجل وزوجته الحبيبة ووالدته الحنونة ، ومرضعته الكريمة ، ومربيته المتطوعة وشريكته فى تحمل أعباء الاسرة أثناء مرضه أو تعطله ، والمسئولة عن تكملة رسالتهما الاسرية بعد وفاة زوجها · كما أنها الوحيدة التى توفر له فرص اشباع دوافع الغيرية والابوة · وهى التى تستطيع – من خلال عملية التنشئة الاجتماعية – تنشئة اطفالها على الفضيلة أو على الرذيلة · ومن ثم فاننا اذا ارتفعنا بالمستوى الاجتماعى والثقافى والاخلاقى للمرأة ، فانها سوف تغرس كل تلك الخلال والصفات فى نفوس اطفالها ، الذين هم صغار اليوم ، ورجال الغد · وبذلك تتاح للمجتمع فرصة الحصول على جيل جديد يتميز بكل الخصال الطيبة ·· والعكس صحيح ·

وشهر رمضان أو شهر الصيام هو الفرصة التى يمكن أن يغتنمها المجتمع لكى يوفر للمرأة زادا دينيا ويعيدها امرأة مسلمة بالمعنى السليم لذلك الوصف · ولكن كيف يصل اليها هذا الزاد ؟

– هل من خلال المساجد ؟ كلا ، فمساجدنا أصبحت مساجد رجالى مع أن المساجد أسرية منذ كانت ، حيث كان يتاح للرجل وللمرأة وللابناء ارتيادها · ومن ثم يستحيل وصول الزاد الدينى الى المرأة من خلال المساجد · وتلك كارثة دينية أسرية ·

– **هل من خلال أجهزة الاتصال** الجمعى مثل الصحافة والاذاعة والتليفزيون ؟ ونقول ، هنا : كلا ايضا، ذلك أن أجهزة الاعلام لم تعد تدعو الى الاسلام بقدر ما تنفر منه ، فالصورة المفضلة لكل دجال أو مشعوذ أو ساحر فى كل المسرحيات والتمثيليات التليفزيونية هى صورة الرجل صاحب اللحية والذى يرتدى العمامة والكاكوله والقفطان وهو الرداء المفضل لدى علماء الازهر ، ومن ثم فان كل من يتابع برامج التليفزيون ينظر الى علماء الدين كما لو كانوا فئة من المشعوذين والدجالين حيث يختلط الامر عليه بين هؤلاء وهؤلاء ·

اذا ماذا ؟

اننا والحالة هذه أمام اهمال تام لحق المرأة فى الزاد الدينى ، وتلك مسئولية الرجل ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته الجامعة فى حجة الوداع « أما بعد ، أيها الناس ، فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا • لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا غيركم ، وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة • فان فعلن فقد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح • فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف • واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانما أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا ايها الناس قولى • فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ، ما ان أعتصمتم به ، لن تضلوا أبدا امرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله » •

ترى هل عقلنا وصية رسولنا صلى الله عليه وسلم بالنساء خير ، لانهن عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ؟ الحقيقة أننا نى حيرة ذلك أن فرصة التزود بالزاد الدينى – على فرض وجودها بالصورة الاجتماعية الجذابة – ليست متاحة للمرأة الا من خلال الرجل • ولان المرأة فى حاله امية دينية ، فانها لم تعد تعرف فضل الرجل عليها ، تماما ، كما أن كثيرا من الرجال لم يعد يعرف فضل المرأة عليه • وهذا التجاهل المتبادل من الرجل والمرأة يرجع الى جمود ألفاظ الوعظ الدينى داخل عبارات كلها الارهاب والتخويف والتقنيط من رحمة الله ، وكان الله جلت قدرته ليس هو الرحمن الرحيم ، بل هو المنتقم الجبار فحسب •

فالمرأة – من جهة – لا تعرف عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد ، لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها » • وكذلك لا تعرف ما قيل عن أم سلمة رضى الله عنها انها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايما أمراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » •

ونتيجة لجهلها هذا فانها تعيش مع زوجها حياة كلها الصراع وسوء الفهم والتقدير دون أن تدرى أن رضاء زوجها عنها سيكون من اسباب دخولها الجنة • ودون أن تدرى ايضا أن المرأة مطالبة بتقديم كل فروض الولاء والطاعة لزوجها طالما كان مخلصا لها وعاملا على توفير الحياة الكريمة لها •

والرجل ايضا – من جهة أخرى – يجهل أن الله يجعل الزوجة نعمة يجب أن تقابل بالشكر للمنعم ، والبنون والحفدة من الزوجة والابناء نعم يجب ان تقابل بالشكر للمنعم والثناء عليه • والطيبات من الرزق التى يسرها الله للزوج والزوجه والبنين والحفدة نعم تقوم عليها الحياة الطيبة • وبالتالى يجب ان يؤدى حقها بشكر الله الذى أنعم بها ويسرها لعباده الصالحين •

ويجهل الرجل – أيضا – أن الله قدجعل الزوجة للزوج من جنسه ليشعر بانها قطعة من نفسه فيسكن اليها ، ويكمل بها نقصه ، ويجمل بها حياته ويجد فيما فطرت عليه من رقة الشعور ولين الجانب وجمال التقويم ما يروى شوقه ، ويرضى ذوقه • كما يجد فيها تجيده من أعمال ميزلية لا يجيدها الرجال ما يكفيه الحاجة ، ويهيىء له اسباب السكون والراحة • ثم هى بالاضافة الى ذلك منبت أولاده وأحفاده ، يرى فيهم نماء فرعه وبقاء نوعه وامتداد وجوده • لدنيا كلها متاع – كما قال صلى الله عليه وسلم « وخير متاعها المرأة الصالحة » •

وكما قال ايضا النساء شقائق الرجال » • وكما نفهم من قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » • ومن ثم كان حسن المعاشرة اساسا ضروريا للعلاقة بين الرجل والمرأة ، كما يفهم من قوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » •

وحل تلك المشكلة من وجهه نظرنا تعتمد على ترشيد عملية الوعظ الدينى بابعاد أساليب الترهيب والتخويف واحلال أساليب الترغيب والتيسير مكانها ، فالدين يسر لا عسر • ومن جهة أخرى ضرورة تجنيب مكان ملائم فى كل مسجد قديم وتزويد كل مسجد جديد بطابق علوى بباب منفصل كما هو الحال فى مسجد أولاد الشيخ شارع محرم بك بمدينة الاسكندرية لكى تتاح الفرصة أمام النساء والفتيات لاداء فرائض الصلاة وسماع الاحاديث الدينية حتى تنال المرأة حقها من الزاد الدينى شانها شان الرجل

ومن جهة ثالثة ضرورة تحميل الرجال الذين يستمتعون بالدروس الدينية فى المساجد وغيرها أمانة توصل كل جديد فى معارفهم الدينية الى زوجاتهم وبناتهم ، حيث تقع مسئولية تثقيف المرأة دينيا وقيامها بفرائض الصلاة •• على الزوج ، باعتباره راعى الاسرة • وكل راع مسئول عن رعيته •

ولعل شهر رمضان هو الفرصة الثمينة التى يمكن الاستفادة منها فى شحذ همم الرجال للقيام بواجباتهم حيال زوجاتهم وبناتهم ، فقد أصبحت الفرائض الدينيه لدى كثير من الفتيات « موضة قديمة » فكل منهن يعتبر صيام رمضان عملا متخلفا لا يليق بثقافتها وتحضرها • ذلك أن مثل هذه الفتاة لم تسمع عن رواية أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من عبد « رجل أو امرأة ، تصوم يوما فى سبيل الله الا باعد بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » ، ولم تسمع أيضا عن رواية ابن المبارك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل شىء باب وباب العبادة الصوم » ، ولم تسمع كذلك عن رواية الامام أحمد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر » ، ولم تسمع أيضا عن رواية ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا أعطاه الله كتابه جهرا وقال له اقرا سرا ، حتى لا يفضحه بين خلقه » فيقرأ كتابه سرا ، فلم يسمعه احد ، فتقول الملائكة الهنا هذه عناية لم تسبق لاحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار فيقول سبحانه وتعالى يا ملائكتى انى أحرقته فى الدنيا بنار الجوع والعطش فى الحر الشديد فى شهر رمضان فلا احرقه اليوم بالنيران • وقد عفوت عنه وغفرت له ما سلف من الذنوب والعصيان ، وانا الكريم المنان » •

هذا عن الصيام اما عن القرآن فان كثيرا من الفتيات لا يعرفن المصحف الذى يقرأ ، وانما تعرفن فقط المصحف الذى لا يقرأ داخل العلب الذهبية والذى يتدلى بواسطة السلاسل الذهبية على صدورهن • وهذا لانهن لا يعرفن أن قراءة القرآن تشفع لقارئها يوم القيامة ، طبقا لرواية الامام أحمد والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة : حيث يقول الصيام : اى رب منعته من الطعام والشهوة

فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » •

أما عن النميمة وقذف المحصنات الغافلات من المؤمنات ، من خلال ثرثرة الصائمين ، فان السيدات والفتيات لم يسمعن عن رواية ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات • قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، السحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات من المؤمنات » ، ولم تسمع الواحدة منهن عن رواية البيهقى والديلمى وابن النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وذنبه مغفور » •

ولذلك فان المرأة لا تصمت عن « المكياج » فى رمضان ، أى الاصباغ الحمراء والسوداء والبيضاء التى تلطخ بها وجهها طوال النهار ، مع سعيها الحثيث على ارغام زوجها لمرافقتها فى التردد على محلات البيع والشراء بسبب وبدون سبب ، بالرغم من يثيرها وجهها بأصباغه من اشمئزاز لدى الصائمين ولاسيما الشباب • انها لا تدرى أن الاصباغ على وجهها فتنة للشباب ، وكان أولى بها والحالة هذه أن تقلل من مرات خروجها الى أدنى ، وأن تعطى لجلد وجهها راحة فى هذا الشهر الكريم من تلك الاصباغ حتى لا تثير التوترات الجنسية لدى الشباب الصائم بمسلكها هذا •

اننا نستطيع الاستمرار فى عرض حالة المراة بالنسبة لقواعد الاسلام الخمسة ، كما رواها ابن عمر رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله • واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » فللمرأة أراء تتجافى مع الدين فى الصلاة والصيام وايتاء الزكاة وحج البيت ، الامر الذى يتطلب ضرورة توفير وتيسير الزاد الدينى للمرأة ، حتى لا تنتشىء الاجيال القادمة من الاطفال تنشئة اجتماعية بعيدة عن الدين •

بقية مقال « وآتوا الزكاة »

لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » وكان يقول : والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه •

ولقد كان الاسلام حكيما فى تنظيم فريضة الزكاة تحصيلا وصرفا محافظة على عزة الفقير وحماية له من موقف قد يشعر فيه بالهوان •.

أيها الاغنياء : ان المال مال الله استخلفكم فيه وهو نعمة أنعم الله بها عليكم ومقتضى النعمة شكرها « **لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد** » فأجيبوا داعى الله وأدوا حقوق أموالكم « **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » ، ولا تحترفوا التكاثر فى الاموال حتى تلهيكم عن حق الفقير والمسكين « **الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ، ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** » ، ولا تجعلوا - أيها الاغنياء - من أنفسكم أمثالا لثعلبة بن حاطب الذى طلب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالغنى ، وعاهده على أداء حقه ، ودعا له الرسول عليه الصلاة والسلام فلما اغناه الله ماطل فى دفع الزكاة فنزل قول الله تبارك وتعالى :

ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكتبون » فلما علم « ثعلبة » بقول الله تعالى جاء بالصدقة فلم يقبلها النبى صلى الله عليه وسلم، فجعل ثعلبة يصب التراب على رأسه فقال له رسول الله : هذا جزاء عملك ، فلما تولى أبو بكر ثم عمر جاءهما ثعلبة راجيا قبول زكاته . فلم يقبلاها ،ثم مات فى زمن عثمان رضى الله عنه ولم تقبل منه الزكاة •

وأنه ليسرنى كثيرا أن أجد فى بلادى الان بنك ناصر الاجتماعى الذى يهدف الى تحقيق التكافل الاجتماعى لجميع أبناء المجتمع حتى يتسنى لهم الاشتراك فى حياة تتوافر فيها كرامة الانسان واطمئنانه الى حاضره ومستقبله ، ويعتبر هذا البنك نموذجا رائدا فى معاملاته التى تتمشى مع مبادىء الشريعة الاسلامية بعدم التعامل مع الغير بنظام الفائدة أخذا أو عطاء •

وقد بدأ البنك قبول زكاة المال لتوزيعها على مستحقيها الشرعيين فى أماكن جمعها •

وذلك بتشكيل لجان شعبية للزكاة منبثقة من المسجد تضم امام المسجد وبعض ذوى الاهتمامات الدينية ويصدر بتشكيلها قرار من رئيس مجلس ادارة البنك وقد بلغ عددها مايقرب من ١٥٠ لجنة بالقاهرة و ٢٠٠ لجان بفروع البنك •

وتقوم اللجان بدورها بشرح الفكرة للجماهير فى منطقة نشاطها بالاحياء والمدن والقرى وحصر من تحق عليهم الزكاة والاتصال بهم واكتساب ثقتهم وتلقى زكاة اموالهم بموجب ايصالات مختومة بخاتم البنك ، وايداع ما تتلقاه اللجان من أموال الزكاة فى حسابها الخاص بالبنك وفروعه •

وأفرد البنك حسابا خاصا بأموال الزكاة حتى لا تختلط بما عداها من اموال البنك •

وتسعى هذه اللجان لحصر الفئات المستحقة للزكاة مع استبعاد المتسولين ومحترفى الاعانات والتركيز على من قال الله تعالى عنهم « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .. الاية الكريمة » وتوصيل الزكاة اليهم بطريقة كريمة تتلاءم وعزة الاسلام •

وينهج البنك فى توزيع الزكاة منهجا علميا بالعمل على تحويل مستحقى الزكاة من القادرين على العمل من طاقات عاطلة الى طاقات انتاجية كلما أمكن ذلك

نماذج من التربية الإسلامية

• الدكتور السيد النمر •

استهدف الاسلام الانسان بالتهذيب والتقويم لينهض برسالته التى خلق من أجلها •

وقد عنى الاسلام عناية فائقة بالتربية وفى سورة لقمان نعرض طرفا من ملامح التربية الاسلامية ممثلة فى قيام الاب بمسئوليته نحو أولاده ، ذلك هو لقمان الذى جرد من نفسه ناصحا لابنه ومرشدا له الى سواء السبيل •

وقدجعل الله من وصيته قرآنا يتلى الى يوم القيامة وتقديرا لمكانته وسمو كلامه فقد جعل فى القرآن سورة تحمل ذكراه . وليس هذا فحسب بل ان لقمان وصفه الله بالحكمة فى قوله تعالى « ولقد آتينا لقمان الحكمة » •

واستهلت سورة لقمان باشتمالها على آيات من الكتاب الحكيم فقال تعالى : « الم تلك آيات الكتاب الحكيم » ، وفى هذا لفت الانظار الاباء أن يتأسوا بلقمان فى عنايته بأمر أولاده وحرصه على أن ينشأ الابناء نشأة كريمة •

وقد سلك لقمان فى تربيته منهج الاسلام فى عنايته أولا بأمر العقيدة ، واذا ما سلمت العقيدة فى النفس استقام السلوك ، يقول تعالى حاكيا على لسانه « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » •

وفى صدد تربية العقيدة يغرس لقمان فى نفس ولده ملكة المراقبة واستشعاره بوجود الله من حوله ونفوذ علمه الى بواطن الاشياء مهما تناهت فى صغرها وغابت عن اعين البشر • يقول تعالى على لسانه أيضا « يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير » •

ووصية لقمان فى هذا الصدد وتعريف ولده أنه لو كانت هناك ذرة فى صخرة ووضعت هذه الصخرة فى هذا الكون المترامى الاطراف فلا تغيب عن علم الله •

فهو بهذا يخلق فيه السلوك النظيف والغاية النبيلة ، فلا تمتد يده الى حرام ولا تتشوف نفسه الى اقتراف اثم ، وبذلك يحيا طاهر النفس بعيدا عما يدنس روحه ويعكر صفو ايمانه ٠ ثم يتدرج لقمان بعد التركيز على أمر العقيدة الى وصية ولده باقامه الصلاة فيقول « يابنى اقم الصلاة » ، وهذا يعكس لنا اهتمام الشرائع السابقة بأمر الصلاة لما فيها من الاسرار ولما تنطوى عليه من الاثار الكريمة على الفرد والجماعة ، ووصية لقمان ولده باقامة الصلاة يعطى مثلا حيا للاباء أن يتعهدوا أولادهم بملازمة هذه الفريضة التى تمثل أهم ركن فى الاسلام ٠ ولا يكتفى لقمان بان يجعل من ولده شابا صالحا بل يحفزه الى أن تكون له همة عالية ، وأن يحمل لواء الاصلاح فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ٠

وما المعروف الا ما تعارفت عليه الفطرة السليمة من الخير ، وما المنكر الا ما انكرته الطبائع السليمة من الشر ، والذى يتصدى للاصلاح يواجه من العنت والمشقة ما يفت فى عضده ويضعف من عزيمته فاعداء الحق كثيرون ومكايدهم لا تنتهى ، ومن ثم كان لقمان حريصا على أن يزود ولده بالتزام الصبر على ما يصيبه ٠ فالصبر أنضى سلاح وأقوى طاقة للدعاة الى الله فيقول « وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور » ٠

ثم يزود ولده بجملة من الاداب الاخلاقية التى تكسبه من الناس المحبه ، وتجعلهم يحيطونه بالاجلال والتوقير ٠

وهذه الاداب الزم ما تكون للداعية ، فيوصيه الا يتكبر على الناس ويصور المتكبر بصورة ذميمة هى صورة المرض الذى يصيب البعير فيلوى عنقه وذلك هو قوله « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا » ٠ قال ابن جرير واصل الصعر داء يأخذ الابل فى أعناقها أو رءوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤسها ٠

ويوصيه الا يداخله العجب بنفسه فيمشى مختالا فان ذلك امر يبغضه الله فضلا عن بغض الناس لمن يفعلواهذا يقول تعالى « ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » ، والمختال هو المعجب بنفسه ، اما الفخور فهو الذى يفخر على غيره ٠

وبعد أن نهى ولده عن أن يمشى مشية المتكبرين أوصاه أن يعتدل فى مشيته فلا يسرع ولا يبطىء فان ذلك يخلع عليه البهاء والسكينة وامره أن يغض من صوته فلا يرفع صوته الا عند الحاجة ، فان أنكر الاصوات الى الله هو صوت الحمار ٠

ونلمح فى وصية لقمان لابنه بعد نظره ومدى ما يتمتع به من الحكمة فقد كان متدرجا بابنه فى مدارج السمو فبعد أن وطد العلاقة بينه وبين الله امره بان يسلك مسلك المصلحين فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يتذرع بالصبر ، ولم يتركه يتعلم من المجتمع الفضائل بل كان ملقنا به الاداب الاجتماعية التى تنزله المكانة العالية عند الله وعند الناس ٠

ولو أن كل أب ترسم منهج لقمان فى تقويم أولاده وتعهدهم منذ نعومة اظفارهم حتى يشبوا كبارا لوجدت مجتمعا صالحا يتمتع باسمى الفضائل الخلقية ، فلا رذيلة تعكر صفو الاخلاق لان دعاة الاصلاح لا تلن لهم قناة ٠

ولم تجد تنافرا بين افراد المجتمع الواحد لان كل فرد كان حريصا على ما يرضى الله وما يجلب المحبة والاخاء ٠

[الحجاج يتوعد وهو يطلب الحجة على بنوة الحسين لرسول الله]

روى ابن عبد ربه : أن الحجاج بعث الى يحيى بن يعمر ،فقال له : أنت الذى تقول : ان الحسين بن على ابن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ؟ والله لتأتين بالمخرج من ذلك أو لاضربن عنقك .

فقال ابن يعمر : وان جئت بالمخرج فأنا آمن ؟ قال : نعم قال : اقرأ قوله تعالى :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم » الى قوله : « ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى » .

ثم قال للحجاج : فمن ابنه ؟ أعيسى ابن ابراهيم او الحسين بن محمد وانما هو ابن بنته . فقال له الحجاج كأنى والله ما قرأت هذه الاية .

مع القراء

إعداد: فؤاد هيبه

وجاء رمضان .. تجديدا للعهد ، وتبديدا للوهم .. احياء لكل ما هو انسانى وعظيم ، وخلاصا من كل ما هو مهين وسقيم .

جاء رمضان يذكرنا بالفتح المبين يوم دخل الرسول العظيم مكة فاتحا ومطهرا البيت الحرام من رجس الاصنام ومعليا لكلمة التوحيد مبرأة من كل شرك ظاهر وخفى « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلـون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »

وفى رمضان تحقق للامة العربية عزتها ، وللجزيرة العربية وحدتها ..

● وتدور الايام دورتها ويتعاقب على الامة العربية الغزاة من جميع الملل والنحل كما تتعاقب عليها عوامل الضعف والقوة فتنتصر حينا وتهزم احيانا ويظل عامل الوحدة سر انتصارها وعامل الفرقة سر هزيمتها مصداقا لقوله تبارك وتعالى « ان هـذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

●● واذا اردنا ان نحيى شهر رمضان احيـاء صادقا فعلينا باحياء ذكر كتاب الله وسنة رسوله قولا وفعلا وسلوكا « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » فالهداية مصدرها القرآن ولا مناص للامة العربية ان ارادت فعلا ان تعلن احياءها لشهر رمضان وولاءها لشهر القرآن وتطبيقها لمفهوم الهداية التى افاء الله بها على عباده الصائمين القانتين العابدين ان يخلصوا فعلهم وسلوكهم فى اطار الامة الواحدة وتحقيق الوحدة التى هى سبيل عزهم ومجدهم وان يبراوا الى خالقهم من آثام الفرقة التى لا يجنون من ورائها الا الحسرة والندم واعطاء العدو المتربص بهم فرصة الانقضاض عليهم .

●● ان هؤلاء الذين يستغلون اموال شعوبهم فى محاربة اخوة لهم فى العروبة من اجل تحقيق اغراض شخصية عليهم ان يثوبوا الى رشدهم وان يكون لهم فى شهر رمضان الوازع الحسن الـذى يدفع المسلم الى مراجعة نفسه والاستجابة الى دعوة الحق من أجل اقامة أمة عربية واحدة تحقق لشعوبها العزة والكرامة وتتحطم على اسوارها مخططات العدو الرابض على قطعة عـزيزة من ارضها . فانه لا يعقل ان يتقاتل العرب ويتناحروا مهما بلغت الدوافع والبواعث .. والارض العربية والمقدسات الاسلامية تئن من الم الاحتلال وسطوته وتشكو الى الله ما اصابها وتدعوه جل علاه ان يوحد الامة العربية من اجل خلاصها .. ان مال العرب يجب ان يرصد لصالح العرب وان سلاح العرب لا هدف له الا صدور الاعداء الغاصبين .

●● ولنا فى معركة العاشر من رمضان الاسوة والقدوة يوم أن اتحدت كلمة الامة العربية وقررت بقيادة الرئيس المؤمن محمد انور السادات خوض معركة تحطم من خلالها جدار الخوف وصلف العدو الاسرائيلى .. انها مناشدة صادقة مخلصة نتوجه بها الى الامة العربية شعوبا وقادة باسم نصر العاشر من رمضان وما تلاقيه الشقيقة لبنان وما شهده السودان وما يخطط من أجل اخلال الامن فى غيرها من الدول العربية .

قل هذه سـبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن أتبعنى ..

مع دعاء صادق خالص ان يخلص الله الامة العربية مما تعانيه من الم الصراع وان يجعل الله شهر رمضان شهر صفاء ونقاء ووحدة واتحاد .

بقلم الصديق قباناى مخلوف

بعد التحية . يسرنى ان ارفع قلمى لاعبر لسيادتكم والى نخبة الاساتذة والدكاترة المحررين عن مدى اعجابى بمجلتكم الغراء [منبر الاسلام] واشكركم على المجهودات الجبارة التى تمتم بها من اجل نشر دين الحق واعلاء لوائه فى ارجاء المعمورة . ان مجلتكم الغراء تساهم بقسط وافر فى تعليم المسلمين - وخاصة الشباب - دينهم وتزويدهم بالتقوى . وهذا العمل يعتبر جهادا فى سبيل اعلاء كلمة الله ورفع لواء الاسلام . واخيرا نرجو من المولى عز جلاله ان يوفق خطاكم ويسددها وان يوفقكم لخدمة الاسلام والمسلمين . والله ولى التوفيق .

ويقول الصديق احمد بوزياني

تحية عربية . وبعد . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيسرنى كثيرا فى هذا اليوم العظيم ان اتقدم اليكم والى كافة الاساتذة الافاضل والدكاترة المحررين فى المجلة الغراء [منبر الاسلام] بتقديم وافر الاحترام وعميق الشكر لكم على المجهودات العظيمة التى تقدمتوها لنا من أجل نشر العلوم الدينية والشريعة الاسلامية فى انحاء العالم وخاصة العالم العربى ، كما انى مسرور بهذه المجلة واقتنيها كل شهر وكل ما فيها فهو عظيم ومفيد ، والقراءة فيها تعتبر من اسمى العبادات كما تحتوى على تفسير من ذكر الله الحكيم واحاديث نبوية مفيدة ، واخيرا اشكر الاخوة القائمين بالمجلة كل الشكر وابلغ احترامى اليهم واضرع الى المولى العلى القدير ان يوفقهم الى ما فيه الخير ، وان يكلأهم برعايته حتى يؤدوا لنا ولجميع المسلمين افضل الخدمات واطيبها من أجل المصلحة العامة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

• والمجلة لا يسعها امام هذين الصديقين الا ان تقدم لهما عميق شكرها مع العمل الجاد المثمر الذى يصل اليهما والى جميع الاخوة فى انحاء العالم الاسلامى دائما بالجديد المفيد وفقنا الله واياكم .

رسالة السودان

بقلم الصديق احمد ابو عشر

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا المصطفى محمد ابن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحابته الكرام ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . لقد حازت هذه المجلة اعجابى واعتزازى بها كواحد من الامة المحمدية وهى والله لشحنة ايمانية عامرة تزيد الايمان قوة على قوة ونورا على نور وهدى على هدى وهى الرباط المتين للامة الاسلامية جمعاء فى انحاء المعمورة وكم يطول الشوق واللهف عليها اذا تأخرت عن الميعاد وياللفرحة عندما تكون بين ايدينا .. كسقيم نال الشفاء وكأعمى ابصر ولا اطيل عليكم بارك الله لنا ولكم وللامة العربية جميعها لما فيها الخير والسلام عليكم ورحمة الله .

• والمجلة مع اعتزازها باراء قرائها تشكر الصديق السودانى على رايه هذا الذى يدفعنا دائما الى المزيد والمزيد من العمل والمثابرة للوصول الى تحقيق الغرض المنشود والله الموفق .

ومن قصيدة للصديق صلاح عبده الحناوى ج.م.ع

ها انت يا انور لاحت مواكبكم
وكل طالب مجد سائر فيها
فمصر عزت بكم وارتاح خاطرها
والارض من بشر فاحت اقاحيها
انت الربيع لها فى كل اونة
بل انت كالماء يسقى كل من فيها
ياناصر الدين فى شتى مدائنها
ومظهر الخير فى دنيا امانيها
هذى مناقبكم مختالة بكم
والعالم الحر فى فخر يحييها

ويقول الصديق سيد احمد عباس مصطفى ج.م.ع

ان الصورة الدينية الجميلة التى تبرزها مجلة منبر الاسلام لنا جميعا هى التى جذبت اليها الكثير والكثير من شبابنا المتعلم .. وهى التى دفعتنا جميعا الى اقتنائها .. ليس لمجرد القراءة وانما قد تصل الى الحفظ لما فيها من دراسات وتشريعات دينية من اساتذة افاضل مستندين فى ذلك الى ائمة الاسلام لا لمجرد الاستناد وانما بالتفحيص والتمحيص حتى تبدو الصورة واضحة جلية امام العالم الاسلامى .. وهنا اقف وقفة بسيطة لاشكر السادة القائمين على العمل فى المجلة مخرجين لنا تلك الصورة الصادقة النظيفة رغم اعتقادى انهم ليسوا فى حاجة الى شكرى فهم يعملون بوازع من عقيدة راسخة .. وانى وان كنت اكتب الان لهذه المجلة الغراء الا انى اجد نفسى غير قادر على اعطائها ما تستحق من تقريظ رغم انها ليست فى حاجة الى ذلك .. وفق الله القائمين عليها والعاملين من اجلها والمقدمين يد العون لها حتى تخرج بهذه الصورة المحببة الى نفوسنا والله الموفق .. نعم المولى ونعم النصير ..

بريد التعارف

الاسم : بدرى حسين بن الطاهر
البلد : الجزائر
السن : ١٧
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة باللغة العربية بالفرنسية والانجليزية
العنوان : ١٥ شارع الجمهورية سيدى خالد ولاية بسكره

الاسم : كمال التركى
البلد : تونس
السن : ١٨
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : مراسلة الشباب المسلم وتبادل الافكار الدينية
العنوان : ١٣ نهج المنجى بالى صفاقس — تونس

الاسم : عبد الباقى معروف يوسف
البلد : العراق
السن : ٢١
المهنة : طالب
الهواية : المناظر والطوابع والرحلات والاطلاع
العنوان : عراق موصل ـ محلة نبى الله شيت عليه السلام — رقم الدار ١٦/١٠٩

الاسم : عبد الغنى السليمانى
البلد : المغرب الاقصى
السن : ١٩
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء والمعلومات
العنوان : شارع الحى الحسينى بلوك ٧ رقم ٦٩ الناضور

الاسم : عبد الرحمن عبد القادر ساتى
البلد : السودان
السن : ٢٢
المهنة : طالب بكلية الحقوق
الهواية : المراسلة وتبادل الافكار
العنوان : ص.ب ٢٥٢٣ الخرطوم السودان

الاسم : محمود القادرى
البلد : ج.م.ع
السن : ٢١
المهنة : طالب جامعى
الهواية : جمع المناظر والفكر الدينى والثقافات المتبادلة
العنوان : مركز الحسينية — محافظة الشرقية

الاسم : مسعودى عبد الله
البلد : الجزائر
السن : ١٧
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة وتبادل الصور والطوابع
العنوان : رقم ٨٩/٤٩ شارع أولاد أحميدة — بو سعادة ولاية المسيلة

الاسم : على محمد على
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٨
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة — القراءة — الرحلات
العنوان : ٢٦ ش عبد الحميد حمودة المنيرة امبابة الجيزة

الاسم : عباس البشير
البلد : الجزائر
السن : ١٩
المهنة : طالب بمركز التكوين الثقافى
الهواية : المراسلة فى الوطن العربى والاسلامى
العنوان : بواسطة السايب براو — حى أرزيق رقم ٢٥ بسكره

الاسم : محمود عبد الحميد شومان
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٩
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : مراسلة الشباب الاسلامى وتبادل المناظر
العنوان : شارع الكافورى — المحلة الكبرى —

الاسم : محمد هادى اسماعيل
البلد : العراق
السن : ١٧
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب الدينية والادبية
العنوان : محافظة ديالى — ناحية السعدية — حى الشهيد حمدى

الاسم : على صادق أبو السباع
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٢
المهنة : تاجر فواكه وخضروات
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : الغردقة — محافظة البحر الاحمر

الاسم : ابراهيم مرزوق مرسى
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٤
المهنة : محصل بشركة الاتوبيس
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء
العنوان : شركة الاتوبيس — ملوى

الاسم : صالح عبد السلام مهنا
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٨ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : الاطلاع والخطابة
العنوان : المفنى — مركز سيدى سالم — محافظة كفر الشيخ

اقـــرأ فى هذا العدد

■ معـــالم الطريق : نص الخطاب التاريخى الهام الذى القاه السيد الرئيس محمد انور السادات فى مؤتمر اقطاب عدم الانحياز بكولومبو ١٦/٨/١٩٧٦.

■ دراســات قرآنية :

تفسير سورة آل عمران	الاستاذ احمد حسين	١٢
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	١٩
دعوات الانبياء	الدكتور احمد الحوفى	٢٢
خصائص القصة القرآنية	الاستاذ فتحى رضوان	٢٤
العلم فى القرآن	الدكتور احمد حسنين القفل	٢٨
قضايا فكرية فى فهم العربية	الدكتور محمد بدرى عبد الجليل	٣١
الفتح المبين	الدكتور محمد القيعى	٣٣
تاملات فى البيان القرآنى	الدكتور ابراهيم عوضين	٣٥
الحالات الناشئة عن رفع المنسوخ	الدكتور محمد سعاد جلال	٣٧
من اخلاق القرآن	الدكتور احمد الشرباصى	٣٩
القرآن وكيفية دلالته على الاحكام	الدكتور عبد العزيز عزام	٤٢
العقل واللب والقلب فى القرآن الكريم	الاستاذ عبد السلام القوصى	٤٥
من هدى القرآن	الدكتور احمد عمر هاشم	٤٧

■ التشريع الاسلامى :

التطبيق المعاصر لزكاة المال	الدكتور شوقى شحاته	٥٠
الامانة	الاستاذ عبد العظيم منصور	٥٣
البيوع فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس	٥٦
التجارة فى الاسلام	المستشار عبد الستار آدم	٥٨
مثالية الاسلام	الدكتور نصر فريد واصل	٦٠

■ مع الدعوة والدعاة : يشرف على تحريره منصور عبيد - فؤاد هيبة - على عياد

حديث الى الائمة باقلام الدعاة		٦٤
كيف يستقبل ائمة المساجد شهر رمضان	الشيخ محمد متولى المراكبى	٦٥
رمضان شهر الجهاد والنصر	الشيخ عبد المنصف محمود	٦٦
الصوم تربية للنفوس	الشيخ مبارك حسن حسين	٦٧
رمضان شهر الصوم والقرآن	الشيخ احمد مسلم ابراهيم	٦٩
الزوجة الصالحة اساس الاسرة الصالحة	الشيخ على زقزوق	٧١
منهج الاسلام فى تربية الشباب	الشيخ منصور عبيد	٧٣
اربعة دروس هامة من بدر الكبرى	الاستاذ صلاح عزام	٧٥
نصر بدر يوم التقى الجمعان	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٧٧
رمضان وذكريات ايام خالدة	الاستاذ مأمون غريب	٨٠
دعاء		٨٢

■ التصـــوف :

الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٨٤
علاقة الصوم بزيادة الانتاج	الاستاذ زكريا عامر البكرى	٨٨
وآتوا الزكاة	الاستاذ محمد ابراهيم الخطيب	٩٠

العلم والايمان :	خواطر عن رمضان	الاستاذ احمد زين	٩٢
	هذا هو الاسلام قوام البشرية	الاستاذ محمود ابراهيم طيرة	٩٤
	مكانة العلم فى الاسلام	الدكتور عبد الحميد ابو المكارم	٩٦
	الايمان صانع الحياة	الدكتور ابراهيم هلال	١٠٠
	من ملامح واخلاق مجتمع العلم والايمان	الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندى	١٠٢
	تكريم الله للانسان	الاستاذ محمد النظامى	١٠٤
	الاسلام دين العمران	الشيخ رجب العايدى	١٠٦
	حب الوطن من الايمان	الدكتور محمد جمال الدين عواد	١٠٩
	القاهرة ودورها فى الحضارة الاسلامية	الدكتور عبد الرحمن زكى	١١١
	حول مادبة الله	الاستاذ محمد دياب	١١٤
	الحق فى الشرع الاسلامى	الاستاذ احمد بهجت	١١٦
	مسابقة القرآن الكريم [المقاولون العرب	عثمان احمد عثمان وشركاه]	١١٧
الفـــن :	الفن الاسلامى	الاستاذة سميحة الجبالى	١٢٢
	طباعة المنسوجات فى العصر الاسلامى	الاستاذة ثريا سيد نصر	١٢٦
القصـــة :	رجل ومعارك	الاستاذ محمد صالح	١٣٠
الطب فى الاسلام :	الطب الوقائى	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٣٤
شخصيات اسلامية :	الامام على رضى الله عنه	الاستاذ توفيق ابو علم	١٣٨
	الحارث بن الصمة	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	١٤٠
	ابو بكر الرازى	الدكتور احمد سعيد الدمرداش	١٤١
	ابن رشد	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٤٥
	كفاح شباب مسلم	الاستاذ صبرى ابو المجد	١٤٨
المكتبة الاسلامية :	الامام الالوسى	الدكتور منيع عبد الحليم محمود	١٥٢
	الروض الفائق فى المواعظ والرقائق	الدكتور على صافى حسين	١٥٥
الافتـــاء :	انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	١٥٨
الاسرة المسلمة :	حلقات فى منهج اسلامى متكامل	الدكتور عبد الغنى عبود	١٦٤
	الزاد الدينى للمراة فى الاسلام	الاستاذة سهير محمد الحلبى	١٦٦
	نماذج من التربية الاسلامية	الدكتور السيد النمر	١٦٩
	القراء	اعداد فؤاد هيبة	١٧١
	بريد التعارف		١٧٤

بنك ناصر الاج

٣٥ شارع قصر النيل - القاهرة ت :

الأنشطة :

- ★ قروض اجتماعي
- ★ قروض إنتاجي
- ★ قروض لطلاب الجامعات والمع
- ★ تأمين اجتماعي
- ★ تأمين تعاوني
- ★ حسابات جارية
- ★ دفاتر إدخار متعددة السحب
- ★ الزكاة
- ★ الودائع الاستثمارية
- ★ مشروع تسيير سيارات التاكسي بمحافظات الجمهورية

فروع البنك : القاهرة - الإسكندرية - أسيوط - الزقازيق - طنطا - شبين الكوم - بورسعيد - السويس - الإسماعيلية - بني سويف - قنا - الفيوم - أسوان - الوادي الجديد - المنصورة

بنك ناصر الاجتماعي

رائد العمل المصرفي الاجتماعي في الشرق الأوسط
ونواة البنوك الإسلامية في العالم الإسلامي .

ق الجديدة

فماذا
أعددت
لهم ؟

ويقة ... الجديدة تحقق الأمان لأسرتك

فهى الوثيقة ذات المزايا العديدة

- في نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلي .
- في حالة الوفاة العادية تدفع الشركة للمستحقين فورا مبلغ التأمين الأصلي مضافا إليه زيادة قدرها ٥٪ عن كل سنة من بدء التأمين حتى الوفاة .
- في حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة للمستحقين مبلغ التأمين الأصلي بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق في حالة الوفاة العادية .
- في حالة الإصابة بعجز كلي دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلي
- تأمين إضافي على الأرملة بمبلغ التأمين الأصلي بدون دفع أقساط .
- تغطية أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافي .
- تمنح الشركة قروضا بعد سداد أقساط سنتين معفاة من الفوائد في حالة الحج والتقديس والعمليات الجراحية .

(انظر الكوبون صفحة ٥٤)

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسي ١٥ شارع قصر النيل - القاهرة

يسري

مطابع الأهرام